محمد حسين يونس

خطوات على الأرض المحبوسة



دار المستقبل العربي

٢٠٠ قرشاً

خطوات على الأرض المحبوسة

محمد حسين يونس

خطوات على الأرض المحبوسة



دار المستقبل العربي

صمم الغلاف : سعد عبد الوهاب

دار المستقبل العربي
٤١ شارع بيروت • مصر الجديدة
ت / ٦٦٥٩٠٠ القاهرة

الطبعة الأولى ١٩٨٣

اهـــــداء

الى الرجــــل الذى علمنى كيف اتكـــــلم وكيف امشى وكيف اكتب وكيف اكون شريفا ٠

الى والذى الذى هجـــــر سريره ونام على الأرض طـول فترة نومى على الأرض فى الأسر ٠

محمد حسين يونس

مقـــدمة

بقلم : محسن الخياط

هذا الكتاب .. وهذا المؤلف

الكتاب الذى بين أيدينا يقدمه مهندس شاب عاش بين صفوف القوات المسلحة المصرية وشارك فى حرب الأيام الستة التى عرفت بأيام النكسة .. وهو يقدم من خلال رؤيته الخاصة ومشاركته الفعلية فى الحرب الكثير مما يراه السبب فى الكارثة التى حلت بالجيش المصرى آنذاك .. ويتعرض بقلب الوطنى الغيور على مصير شعبه وأمته ، لكثير من السلبيات التى شابت حرب ٦٧ مستهدفا التبصير بمستقبل أفضل للانسان المصرى والعربى على ضوء تخطى السلبيات وتجنب الوقوع فيها ..

واذا كان من سلبيات المعركة عدم التدريب الكافى للقوات المسلحة ونقص المعدات الحربية والزج بالاحتياطى غير المدرب فى المعركة والخلل الذى اصاب القيادة العسكرية نفسها .. فان ذلك لا يعنى بالضرورة أن حرب أكتوبر كانت التصحيح لهذا الوضع الذى كانت عليه القوات المسلحة فتصحيح الأوضاع فى القوات المسلحة قد بدأ مباشرة بعد النكسة واتخذت المعركة فى الثلاث سنوات التالية للنكسة طابع الصمود ثم الاستنزاف الذى جاء نتيجة مباشرة لتدريبات مكنته على القتال وعلى عبور القنال بل وتم فى تلك الفترة تدمير أجزاء كبيرة من خط بارليف .. ومن هنا فان معارك الاستنزاف والتدريبات الشاقة هى التى فتحت الطريق أمام القوات المسلحة لعبور القناة وانهاء خط بارليف .

وقد نتفق جميعا مع المؤلف فى أن غيبة الديمقراطية وحرية الرأى قد يكون لهما أثر مباشر فى مسار المعارك الوطنية .. ولكن الذى حدث أن حرب اكتوبر وعبور القناة قد تم أيضا فى غيبه الديمقراطية .

وفى غيبة الديمقراطية أيضا فقدت حرب اكتوبر الكثير من ايجابياتها فقد أثبتت الحرب مقدرة المقاتل المصرى العربى على القتال والصمود وأكدت امكـــانية التحرك من موقع التفوق والقـــوة ولكن الذى حـدث ترك خلفه من السلبيات ما نعانى من خطورته سواء فى « طابا » أو فى غزو لبنـــان البربرى الذى وضع الأمة العربية فى وضع لا تحسد عليه لقد وضعت هزيمة ٦٧ الشعب المصرى فى موقف الصمود والتصدى بينما لم يحقق انتصـــار أكتوبر فى غيبة الديمقراطية سوى النتائج التى وصلت اليها المفاوضات والتى كان أكثرها بروزا اقدام اسرائيل على تحقيق أطماعها التوسعية بقوة السلاح ·· متجاهلة كل دعاويها للسلام ·

وكل ما تم بعـد عام ١٩٧٣ تم فى غيبة كاملة للديمقراطية بالرغم من وجود المنابر وتحولها الى أحزاب فيما بعد ··

فالديمقراطية الليبرالية لا تقوم بقرارات فوقية ·· ولكنها حق طبيعى لكل الطبقات التى لها الحق فى تشكيل أحزابها والتعبير عن رأيها ·· حـق يكفله دستور ليس من صنع فرد أو أفراد ولكنه من صـنع الشـعب الممثل فى جمعية تأسيسية منتخبه من اجل وضع دستور يقنن لمكتسبات الشعب السياسية والاقتصادية والاجتماعية ·

وعلى أى حال ، فالمؤلف ـ شأنه شأن أى مقاتل فى صـفوف القـوات المسلحة ـ قد صدمته حقيقة النكسة ·· وهو يسرد الأحداث كما رآها بعينى رأسه ، وهو لا يفقد الأمل فى المقاتل الفرد حين يلتقى بأحد الأبطال الذين فجروا مستودعات للذخيرة فى الأرض المحتلة ـ حتى يرى مع مستقبل الايام كيف تمكن الجندى المصرى الشجاع من اقتحام القناة فى عام ١٩٧٣ ورفع علم مصر على أرض سيناء المحتلة ·

وهو نفسه ·· ذلك الجندى الواعى الذى يفيق من الشـــلل المؤقت ليواجه بشجاعة مأساته ورفاقه فى معتقل « عتليت » الاسرائيلى ·· حيث يتمكن جميع الأسرى من تنظيم صفوفهم فى النهاية فى مواجهة العدو المنتصر المتعجرف ·

ولعل أخطر ما يتعرض له المؤلف فى كتابه هو الفصل الذى يتحدث فيه عن الاستلاب الفكرى الذى مارسته قوى الغزو الاسرائيلى على أسرانا

فى معتقل « عتليت » فقد استفاد الاسرائيليون الوافدون فى كافة أنحاء العالم ·.· استفادوا من خبرات كل المعتقلات الفاشية والنازية ·· وبعد دراسة لتلك الخبرات ·.· توصلوا الى أن التعذيب البدنى والتهديد بالابادة الشاملة ـ ليس وحده كافيا لاستدراج الاسير الى الاعتراف أو الادلاء بمعلومات هامة ـ ليس وحده كافيا لتحويل الأسرى أو بعضا منهم آلى عملاء لهم فى وطنهم ـ ادركوا أن الاساليب الاكثر ايجابية هى تفريغ العقل العربى من كل المثل والقيم التى عاش لها وآمن بها ـ وتقويض كل ما آمن به من مسلمات عن الوطن والدفاع عن النفس والحرية والديمقراطية ·

ويدرك القارىء أحداث معتقل « عتليت » انهم كانوا بارعين فى بذر عدم الثقه فى نفس الانسان العربى ، وتشكيكه فى كل شىء ·· فى قيادته ·· فى انتمائه القومى ·· وتجميل وجه العدوان الاسرائيلى الذى يبرره الدفاع عن النفس وليس طرد شعب بأكمله من وطنه ·.· فهم يمدونهم بكل ما يزرع فيهم عدم الثقه فى كل شىء ·· مستغلين فى ذلك المجلات والكتيبات والشائعات المختلفة المتقنة الصنع ·· وهم يصطحبون أسراهم بعد فترات ترويض وتخويف نسبية ، فى رحلات استكشافية لحياة الانسان الاسرائيلى ـ ايهاما للاسرى بحضارة مزيفة ·· ومعانى للتحضر والديمقراطية ·· لا يمتلك مفاتيحها فى المنطقة سوى « شعب الله المختار » ·

ولكنهم فى بعض المواقف ·.· يحدث ما يكشف عورتهم ·· فيحسون بأنهم قد أخطأوا الطريق ـ فيغيرون من أساليبهم ·· ويغيرون أيضا خرائط الرحلات المعدة سلفا ـ

ويفضح الكتاب من خلال رؤية صديقنا الراوى خرافة الكيبوتزات الاسرائيلية التى اتخذت مظهرا اشتراكيا ·· ولكنها وضعت أفرادها فى وضع لا يمكنهم الفكاك من الأرض والا ماتوا جميعا هالكين ـ وبهذا يصبحون أداة طيعة فى يد المؤسسة العسكرية الاسرائيلية ـ يشاركون بالأمر وتحت واقع الارتباط الاجبارى بالأرض فى تحقيق الأطماع الصهيونية فى التوسع واحتلال أرض الغير بالقوة ـ وقد كشفت أحداث لبنان المأساوية الأخيرة والغزو الاسرائيلى البربرى لها ·· أن كلمات الدفاع عن النفس التى طالما تحدثوا بها لأسرى ٦٧ لم تكن سوى بعض فقاقيع الهواء فى زجاج مياه غازية ··

ويطرح المؤلف فى روايته لأحداث حرب ٦٧ قضية التحدى الحضارى ـ تلك القضية التى همس له بها أحد الأصدقاء العرب بالناصرة ـ فالتحضر الاسرائيلى المستورد ـ لا يمكن مواجهته بحضارة أخرى مستوردة ـ حضارة لم تستنبت فى واقعنا ·· ولكن من الممكن مواجهتها بحضارة أمة تمتد جذورها

الى تاريخها ٠٠ حضارة تنمو فى جو طبيعى ـ تضع الانسان العربى فى مقدمة الشعوب المتحضرة ٠٠ تدرك أسباب تخلفه من فقر وجهـل وامية وقدرية وتدفع به الى الأمام الى مستقبل أفضل ، يقف بتحد فى المواجهـة للتحضر الاسرائيلى المزيف ٠٠.

ان المؤلف وهو بحق ابن جيل عاش فترة الصراعات الوطنية ، ضد قوى الاستعمار الامبريالية ٠٠ عاش ثورة ٢٣ يوليو ومجانية التعليم ، وخروج الانجليز من مصر وتاميم القناة ـ وبناء مئات المصانع ٠٠ وارتفاع السد العالى وعاش القومية العربية حركة عدم الانحياز ـ عمل فى جيش مصر ـ وعاش يحلم ببناء وطن متحضر يتطور فيه المد الثقافى والفكرى الذى عاش فى الستينات من خـلال الكتاب والفيلم والرواية والمسرحية والأغنية ٠٠ هو نفسه الذى عاش انتكاسات الثورة وقهرته أحيانا السلبية والخوف ٠

أن كتاب « خطوات على الأرض المحبوسة » الذى تتقدم على نشره دار المستقبل العربى بالرغم من مرور ١٥ عاما على أحداث ٦٧ يضـع الشـعب المصرى أمام مسئولياته الحقيقية ـ فأحداث ٦٧ وما أصاب الأمة العربيـة بسببها كانت نذيرا بالخطر الذى يتهدد المنطقة بأكملها ٠٠ كما أن نتائج حرب ٧٣ لم تنجح فى ازالة هذا الخطر ٠٠ فالغزو الاسرائيلى للبنان أكـد استمرار الخطر وبشاعته ٠٠ ولا مفر من اعادة صياغة المجتمع العربى بأكمله ٠٠ وهى مهمة ملقاة على عاتق الشعب العربى كله ٠٠ بحيث يمسك المجتمع العربى بأسباب التحضر الحقيقى بأوسع معانيه التى تتمثل فى رفع المعاناة ودحر الفقر والأمية والقضاء على السلبية والقدرية ٠٠ مجتمع يخطو بخطى ثابتة نحو آفاق تشيع فيها روح الديمقراطية وتصبح فيها وسيلة للتطور وليست غاية فى حد ذاتها ٠٠ حتى يمكن لهذه الأمة بأصـالتها وتاريخهـا وروحها المتحضرة من الوقوف فى وجه الخطر الزاحف عليهـا ٠٠

أخيرا ، لا يفوتنى أن أنوه أن هذا العمل التسجيلى الروائى قد كتب باحساس شاعر وروح فنان عاش لحظة حرجة فى تاريخ الشعب المصرى ٠٠ وهو أحيانا لفرط حساسيته يسخر من نفسه يعريها ويصـلبها ٠٠ ويلفحها بالكرباج ـ حتى تبدو لعينيه الحقيقة المختفية تحت جلده ٠٠

انها لحظة صدق قد نتفق أو نختلف فى تفسير بعض ظواهرها ولكنها فى النهاية حرية الرأى وحرية التعبير بما ينير الطريق الى المستقبل ٠

محسن الخياط

١٩٨٢/١٢/٢٠

الفصل الأول

٥ يونيـــو ١٩٦٧

الفرق بين الانسان والحيوان .. أن الانسان حيوان قادر على التجريد أي يمكنه أن يحول الرموز الى كائنات .... تولد وتنمو وتمرض وتموت فى بعض الأحيان ... وكلما كان لدى الانســـان القدرة على التجريد كلما أصبح أكثر انسانية .. وصديقنا الذى ســـنتكلم عنه كانت لديه قدرات فائقة على التجريد وكانت الكلمات لديه تحمل مذاقا ورائحة ولونا وشـــكلا ترتبط بعلاقات مركبة شديدة التعقيد .. قد يكون لدراسته أثر فى ذلك فهو مهندس معمارى يبنى القصـــور فى مخيلته ثم يضـــعها رموزا على الورق ثم يراها تنمو وتكمل بالخرسانة والحديد والطوب والزجاج وقد تكون الأحداث التى مر بها قد صقلته فجعلته أكثر انسانية وأكثر تفاعلا مع الأحداث ..

فى صباح هذا اليوم وكان يوم اتمام استرجاع ســـيناء ... ورفع أعلام مصر على مدنها الرئيسية عندما قلت له « صباح ســـيناء » امتلأت عيناه بالدموع وسألنى وما هى سيناء بالنسبة لك ؟! ثم أكمل ـ مساحة من الأرض الصحراوية يفصلها عن الوادى خليج وقناة السويس وفى أحسن الاحوال مصدر لعديد من المواد الخام !!

كنت أعرف أنه مر بظروف صعبة خلال حرب ٦٧ عندما فقدناها فقد أسر فى ذلك الوقت وأغلب الظن أن تجربة الاسر هذه أثرت فى تكوينه النفسى والعقلى والاجتمـاعى فقد كنت أعرفه من زمن أبعد من ذلك اليـوم الـذى جلس فيه معى يتكلم عن أسباب هزيمة ٥ يونيه . وشـــعرت بالتعـاطف معـــه عنـــدما قـال أن الهـــزيمة ليســـت هزيمة جيش وانمـــا هزيمة مجتمع . وتقابلنا بعد ذلك كثيرا ودارت بيننا حوارات عديدة ...

أكمل : يا صديقى هل نمت يوما تحت ظلال النخيل على شاطىء ذى رمل أبيض ناعم وأمامك بحر ذو زرقة شـديدة هادىء ·· ويتجول حولك أسراب من الماعز التى ترعى فى سلام ·· ان لم تفعل فأنت لا تعرف سيناء ·

هل قذفت فى يوم بحبل صغير فى نهايته شص لبحر كثير العطاء ·· فمنحك أغلى ما عنده من أسماك ·· هل شاهدت الفجر من خلال أشـجار النخيل أو من خلف جبل وأنت تتحرك على الطريق ·· هل جلست فى يوم تشاهد الشمس وهى تسقط فى البحر وتترك خلفها غلالات صفراء تكسو الافق ·· هل عاشرت بشرا يسهرون طول الليل حولك يحرسـونك لانك تهذى من الحمى حتى تشفى ·· هل عطشت حتى الموت ثم اندفع الى حلقك سرسوب من اللبن الدافىء من ثدى عنزة وهبت لك الحياة ·· هل شممت رائحة زهور البرتقال تلفك من كل جانب ·· هذه هى سيناء ·· هل حلمت بالمستقبل وبنيت المدارس والوحدات الصحية والاجتمـاعية المتناثرة على مسـافات لا تقل عن المائة كيلو بين الواحدة والاخرى وشـاهدت الأطفـال والنساء وهن يملأنها ·

هذه هى سيناء بالنسبة لى ·· ثم صمت قليلا وتابع كلامه فى حزن ··

يا عزيزى ـ سيناء كانت مريضة ·· لقد تركناها وهربنا ·· فحبسوها عنا وحبسونا عنها ·· وداسـوها بالأقدام ·· وعرضوها فى المعارض والمتاحف والكبريهات ···· سيناء مريضة وستبقى مريضة حتى نهتم بعلاجها ··

كان يتكلم كما لو كان يحلم ·· لقد كان يكبرنا قليلا ·· ولكنه كان يشعر بأن هناك فارقا ضخما بيننا ·· وكان يصر على ذلك ففى تصوره أن الأحداث التى مرت على العالم ومصر خلال الاربعين عاما الماضية فصـلت الأجيال بشكل تعسفى ·· جعلتها بحيث تصبح لعدد أصابع اليد من السنوات ذات فارق محسوس فى تشكيل البشر وتميزهم ···

ولد صديقنا فى حارة من حوارى القاهرة فى أول ليلة يقصف فيها الالمـان مدينة القاهرة ·· ونقلوا والدته الى المخبأ وهى تلده فاسـتقبل الحياة بين صرخات الزعر والرعب وطلقات المدفعية المضادة للطائرات والاضواء الكاشفة وأصوات القنابل والانفجارات وكان مقدمه ايذانا ببدء الازمة الاقتصـادية فى مصر ·· وفى عائلته · وكان يرى الجنود الانجليز ببنطلوناتهم القصيرة

ووجوههم الحمراء وهم جالسون على أفاريز شبابيك ثكناتهم يقذفون المارة بقشر الفاكهة والعلب الفارغة وكان يلحظ بذكاء شديد نفور والده واهله منهم هو الاخر حتى عندما لاعبه أحدهم وحاول أن يمنحه قطعة من الشيكولاته رفضـــها .

وعندما أخلى الانجليز هذه الثكنات رفعه والده فوق كتفيه ليشـــاهد الملك فاروق وهو يرفع علم مصر بدلا من العلم الانجليزى لقد أثر فيه هـذا المشـــهد كان يقول لنا : أنتم لم تروا هذا . لقد ولدتم ولم يكن على أرض مصر جندى أنجليزى واحد .. ومع ذلك لم نستطع أن نحافظ على استقلالنا .

قلت له : هل تريد زيارة ســـيناء الان .

قال : وما جدوى الزيارة المهم أن نحافظ عليها .. المهم أن نعالجها .. لا أريد أن أرى اليوم الذى يرفع فيه علم اخر غير علم بلدنا على أى جـــزء من اجزاءها . هل جلست فى يوم على شاطىء القنال وفى مواجهتك علم اسرائيلى يرفرف على الجانب الاخر ولا تستطيع العبور لتنزعه ؟

قبل قيام الثورة كان صديقنا مازال طفلا صغيرا وكان والده يصحبه معه ليشهد ـ الاجتماعات السياسية التى كانت تقيمها احزاب المعارضة وتعلم القراءة فى صحفها وكان يشترك فى المظاهرات التى تندد بالملك والحكم الفاسد والاحتلال .. كان لا يستوعب ما يقال حوله .. ولكنه تعلم كيف أنه وفى ظل الديمقراطية والحرية يمكن أن يتحول البشر الى بشر ايجابيين ولو طاردهم جنود بلوكات النظام والبوليس الســـياسى .

. وعندما قامت الثورة .. تصور أن كل مشاكل بلده قد انتهت ولم يبق ألا أن يعمل الجميع بجد لبناء الوطن كان متحسا الى اقصى درجة لتأميم القناة .. والدفاع ضد العدوان الثلاثى .. وبناء السد العالى . وهكذا عندما تخرج من كليته كان تصوره أن دوره الاساسى هو أن يعمل وباخلاص وذكاء تحت راية الثورة فى جيش البناء .

لقد كان ابنا للثورة .. تعلم تحت مظلة مجانية التعليم وتكونت افكاره وعلاقته بالعالم من خـــلال رحيقها .

سألته : وما تصورك لكيفية المحافظة على سيناء •

رد : دع كل الزهور تتفتح ومائة فكرة تتصارع ... نحن ما زلنا لا ننظر الا تحت أقدامنا •• رغم أن عصرنا أصبح عصرا للجماهير صانعة الحياة يجب أن نتكلم لغة العصر .•.

عندما سأله قائد الكتيبة هل تريد الذهاب لليمن ـ اجاب : ولماذا ؟؟ ليس لدى أولاد فى سن الزواج او زوجة مريضة اريد علاجها او منزل لم يتم بناؤه واريد استكماله •••

سأله : وهل هذه هى الاسباب فقط ؟؟ أجاب : هذا ملخص الطلبات المقدمة للمشير بغرض السفر لليمن من مئات الطالبين •••

لقد كان يلاحظ ما حوله من سلبيات ولكن كعادة أهله يطلق النكات فقط •••• ولا يقاومها •• وسافر •

وفى اليمن تعلم الكثير •

كان أول دروسه عندما سأله زميل أكبر سنا عن طريقة تصرفه فى أول بدل سفر له •••• عندما أجاب بانه اشترى نظارة بيرسول •• رد الآخر يا خسارة كان لدى الأمل فى جيلكم ثم أردف نحن جيل عاش محروما ومقهورا بواسطة كرابيج الاقطاع والبشوات فتلفنا أما أنتم فما عذركم •• كل الاشياء الكبيرة تبدأ بتنازلات صغيرة ••• اليوم اشتريت نظارة فبدلة فولاعة •• ثم تغير البوتاجاز لانه صغير ثم الثلاجة لان المستورد أفضل ولا مانع من بعض قطع الموازنو والسجاجيد ثم عربة صغيرة تكبر والشقة تصبح فيلا ولا تنتهى الطلبات ونحتاج لنقود فنبيع كل شىء حتى نفسك •

كذلك تعلم كيف تفتت الجيش الى قطع صغيرة غير متجانسة •• وانخفضت كميات اسلحته •• وكيف أصبح الاهتمام الأكبر للرجال هو جمع أكبر قدر من الاموال من خلال بدلات السفر وتهريب العملة واستجلاب البضائع المستوردة •• وكيف انحطت الكفاءة القتالية للجيش ••

وفى النهاية أدرك أن القيادة قد وقعت فى المصيدة التى نصبت لها لاضعافها وتشتيتها فى حرب اليمن •

ويعود صديقنا محملا بالهموم ويتحدث عما شاهده من تصرفات البعض في تهريب السجاير والسلع والاستهتار بارواح البشر واصدار تعليمات وأوامر غير مدروسة وعفوية ..

سألته وما لغة العصر .... !!

رد : عندما تكلمنا لغة العصر بعد الهزيمة .. كان معناها .. عمل خطة واستكمال المعدات ... وتدريب الافراد عشرات المرات وتفهم جيد لمهامهم القتالية . ودراسة الموقف سياسيا واقتصاديا .. ثم التطبيق .. فاستطعنا أن نجبر سد بارليف ونحقق موقفا متوازنا أمام القوات الاسرائيلية ان لم يكن انتصارا .

هذه هي لغة العصر .. وما تم بعد ذلك من معارك سياسية انتهت بجلاء القوات الاسرائيلية حتى حدودنا الدولية .. هو لغة العصر .. ولكن هل ستستمر هذه اللغة .. يتوقف هذا على هامش الديمقراطية والحرية اللذين سوف يتمتع بهما الشعب المصرى .. وعلى قدر الحرية ستزيد المبادرة الفردية والجماعية .. قد يستغرق هذا أجيالا حتى نسوى حسابنا مع أمراض الماضى ولكن هناك أملا !! أما في غيبة الحرية والديمقراطية .. فلا أمل على الاطلاق ..

يوم عاد صديقنا من اليمن .. كان يمثل مقدمة كتيبته التى تقلصت بعد ترك نصف قوتها في اليمن .. وكانت هناك حركة تنقلات مفاجئة في القيادات أتت بقائد جديد ورئيس عمليات جديد .. اللذين اجتمعا بهم ليحدثاهم عن سياستهما في ادارة الكتيبة .. والتى تتلخص في الحصول على أفضل تقدير اثناء التفتيش عليهم من هيئة التدريب .. ولذلك كان عليهم تجهيز فصول للتدريب وملئها بمساعدات التدريب .. ودهان وترميم بناء المعسكر واستكمال بعض المنشئات وأهمها بوابة فاخرة وملء نماذج التدريب وتجليد الدفاتر الخ من مهام عديدة تتصل بالظهور بمظهر مناسب أمام اللجنة .

وكان على صديقنا بصفته معماريا يقع العبء الاكبر .. على أن يتم قبل ١٥ مايو ١٩٦٧ وهو اليوم المحدد لزيارة اللجنة . وكان قد تعود على هذه المهام بل اتقنها خلال الفترات السابقة لخدمته لذلك لم يتذمر . حتى كان يوما ينظم مكتبة وحدته يرتبها ويصنفها .. فعثر على كتاب أسمه (كتيبة ومعركة)

قصة سوفيتية حاول استطلاعها فقرأ أول صفحة ثم ثانى صفحة ولم يستطع أن يتوقف حتى حضر الميكروباس الذى ينقلهم لمنازلهم ركبه وهو مستمر فى القراءة صعد الى شقته وهو مازال يقرا ·· جلس على أقرب كرسى وظل يقراء حتى أنهى الكتاب ·· كان يقص قصة كتيبة سوفيتية فى الحرب العالمية الثانية أثناء حصار موسكو بواسطة الالمان وكيف أن قائد الكتيبة استلم جنودها رجالا مدنيين بملابسهم المدنية ثم كيف دربهم حتى تحولوا الى جنود دخل بهم معركة دفاعية وهجومين · يقص من خلال قصة مشوقة للغاية كيف تغلب هؤلاء المدنيون على عقبات لا نهائية فى ميدان القتال ·

وتغير صديقنا ـ أصبح لا ينام ·.· يراجع كل افكاره وموقعه من العالم والحياة ·· ويقارن بين ما تم فى هذه الحرب وما يتم فى الجيش فى ذلك الوقت ·.· ان الحرب تحتاج الى تدريب وفهم وعلم ·· ان كل ما يعمله الان هو من قبيل الغش ·.· غش فى حياة أفراد ومصير أمة وشعب · عندما حمل أفكاره وهمومه لزملائه ····· سخروا منه ·· عندما ناقش قادته قالوا له اهتم بما هو فى اختصاصك فقط ·

وكان وكانوا يعللون النفس بانهم لن يشهدوا حربا حقيقية فى يوم ما · ولكن للأسف كان اليوم أقرب مما يتصورون ·

سألته : ولكن الديمقراطية والحرية تحتاج لشعب متعلم ونحن نسبة الامية لدينا لا تقل عن ثمانين بالمائة ·.

رد : ليس قفزا فوق الواقع ولا استسلاما لتخلفه ·.· علينا أن نتعامل مع مجتمعنا من خلال واقعنا ·· ان الممارسة والعمل الجاد فى الواقع ورفع كفاءة الانتاج عمل يومى ودؤوب ·.· ولكن لن يقوم به الا بشر احرار ·· مزيد من الديمقراطية والحرية تنخفض نسبة الامية ·· هل تعلم ان هذه النسبة كانت ستين بالمائه قبل الثورة ·

فى يوم ١٣ مايو ١٩٦٧ أعد صديقنا جنود سريته واستعد للذهاب لميدان النار لتدريبهم استعدادا للاختبار · وذهب ليستأذن القائد فوجده مرتبكا أصفر الوجه · ورد عليه باقتضاب ·.· لا تخرج للميدان ·

سأل : هل الغى التفتيش ·

وكان الرد : لا ... ولكن صدرت الأوامر بفك التخزين واستدعاء الاجازات وكان معنى هذا ان الجيش أصبح فى أقصى درجات الاستعداد والطوارىء .. ساد الكتيبة الوجوم ثم انتشرت الحركه فجاة فى كل اطرافها .. الف أمر وألف شخص يتكلم .. الاصوات عالية .. والاعصاب متوترة .

كان عليهم فك تخزين المعدات المعدة للحرب .. واستكمال نقص العدة .. وفتحت مخازن الجيش أبوابها لاستقبال مندوبى الوحدات واجتمع الضباط أكثر من مرة وملئت عشرات النماذج الخاصة بالصرف والارتجاع وأعيد الكتابة فى دفاتر العهد .. وخرجت العربات تزمجر .. وتصايح السائقون أريد بطارية .. فردة الاستين نايمة ..

وكان على الكتيبة الانتقال الى مكان الانتشار فى خلال ساعتين .

وازدحمت العربات بالمهمات والكراسى والخيام والمناضد والبضائع المتبقية فى الكانتين واخيرا الجنود وسلاحهم .

وتحركت الكتيبة الى مكان الانتشار . وأوقفت الاجازات والمبيت خارج المعسكر . جلس صديقنا مع زملائه داخل عربة زيل فى ضوء فانوس ميدانى . المطر ينهمر فى الخارج وهم يرتعشون من البرد .. يشعلون سجائرهم ويبحثون من معنى لكل ما يحدث من خلال الاستماع للمذياع .

لا ترجد الا أغانى عادية ....

كانوا يتساءلون .. هل معنى هذا أننا سنحارب !!

كان احدهم سعيدا لالغاء التفتيش . وكان الاخر يحاول أن يجد مبررا أو وسيله للذهاب لمنزله .. وكان صديقنا الوحيد المندهش كيف يمكن أن نحارب ونحن نصف كتيبة فقط ...

فى الصباح كانت العناوين الرئيسية فى الجرائد .. اعلان درجة الاستعداد القصوى بالقوات المسلحة ردا على حشد القوات الاسرائيلية على الحدود السورية

سمح لهم بالتغيب ساعتين لاستكمال مهمات كل منهم .. وفى الشارع .. كانت القاهرة تعيش عيدا .. الكل يشجع رجال القوات المسلحة .. المحلات ترفض أخذ نقود مقابل البضائع التى يشترونها ..

عندما ضمته أمه الى صدرها وبكت ٠٠ قال لها ٠٠ لا تخافى سنعود فورا ٠٠٠ بعد أن نحقق حلم العرب وننهى المشكلة ٠٠٠

وبعدها تساءل ٠٠ ولكن كيف ٠٠ ! وأصابه الشك !!

وعاد فعلل نفسه بأن يكون الجيش المقابل جيشا متخلفا ٠٠ اليست قواته الرئيسية احتياطية ٠٠ ان القيادة لابد وان تكون قد درست كل شيء ٠٠ والا كيف تخاطر ٠٠

وتصاعدت الاوامر ٠٠ ورحل صديقنا مع وحدته الى سيناء ضمن القوات التى لا أول لها ولا أخر ٠٠ ونشرت فى الجرائد صور دخول الفرقة الرابعة المدرعه سيناء ٠٠٠ وكان يعجب ٠٠ هل هذه حرب ٠٠ أين السرية والمناورة ٠٠ الجرائد على الطرف الاخر تنشر صور الجنود الاسرائيليين يستحمون على البلاج وصور للمجندات الاسرائيليات ونحتها جيش العاهرات ٠٠٠ ما هذا ٠٠ من سيحارب من !! ٠

ولفت نظر صديقنا خبر صغير فى جريدة الاخبار ٠٠ بأن القادة الانجليز ينصحون بضرب المطارات والطيران المصرى أولا ثم قتل الجيش المصرى فى مقبرة سيناء المهجورة ٠٠ انها نفس خطة ٥٦ ٠٠ ومستحيل تنفيذها مرتين٠٠

سألته : ما معنى ليس قفزا فوق الواقع ولا استسلاما له ؟ ٠٠

رد : هناك بعض الافراد الذين ينبهرون بما يتم حولهم فى العالم بعضهم انبهر بانجازات الاشتراكية السوفيتية والاخرون بانجازات الرأسمالية الامريكية ٠٠٠٠ وحاول كل طرف استجلاب التجربة وتطبيقها فى مصر بدون تصور لواقعنا الذى نعيشه ما الذى حدث ؟ مزيد من الالم والعنف أو السرقات والفجر ٠٠ البعض الاخر تصور أن الاستكانة للتخلف الواقع والعودة الى القديم هو الحل ٠٠٠ ومعنى هذا ايقاف حركة التقدم والبعض الاخر طالب بالرجوع الى أخلاق القرية ٠

ما هى أخلاق القرية تلك التى يتغنون بها ٠٠٠

وعندما صاحبت القوة فكرة من هذه الافكار أصبحت الضحية هى الحرية والأمل فى التطور ٠٠ أما فى ظل الديمقراطية وصراع جميع هذه الافكار على

أرضيه الحرية والشرعية فان الديماجوجية والسلفية وكل ما هو غث سيرغض ويبقى للناس ما يفيدهم ٠

عقد الرئيس عبد الناصر فى ذلك الوقت مؤتمرا صحفيا قال أن أمريكا أموى دول العالم وهى لن تتدخل أو نرجو ذلك ونحن كفيلون بارجاع الحق لاصحابه وتأديب اسرائيل ٠٠ وعندما سأله أحد الصحفيين الانجليز بأن مرور عشر سنوات منذ ٥٦ هل أثرت فيه رد : هل تتخيل أننى مثل مستر الخرع ٠

رشدت انتباه صديقنا هذه العبارة ـ ما هذا ـ هل المشكلة مطروحة على بساط الجدية والتسامة والفتونة ٠٠ ليس ممكنا أن تنتهى هذه الاحداث بحرب لابد وأنها مناورة لارهاب اسرائيل فقط وارغامها على عدم الهجوم على سوريا ٠٠٠

عندما عبر الى سيناء قال له قائد كتيبة الكبارى وكان قائده السابق ان شاء الله ستعودون سريعا ٠هذى مناورة ٠كان سكان الاسماعيلية يقابلونهم بالزغاريد والشربات والحلوى والدعاء وكانت العربة تتحرك متوغلة فى عمق سيناء فى الظلام تصدر أصواتا رتيبة وتبعث الدفء والخدر فى جسده فتدور الافكار وتصطدم برأسة ثم تخرج تجول حوله ٠ وتعود له توزعه ٠٠ لماذا تم تغيير القيادات قبل الحرب بمدة قليلة ـ اليست القيادات القديمة أبعث للثقة ٠٠ !! هل هى حرب فعلا ٠٠٠ اذن لماذا ينشرون كل هذه الصور والتصريحات ٠٠ ولماذا الطرف الاخر يجلس فى برود يراقب ٠٠ وفى يأس قال لنفسه ماذا سيحدث اقصاها سوف أموت ٠٠ وتذكر قائد كتيبة ومعركة عندما كان يقول لجنوده ٠٠ نحن نحارب لكى نعيش لا لكى نموت ٠٠٠ ما فائدة جندى ميت ولكى نعيش يجب أن نستعد ونتدرب ٠٠ وكان يسأل نفسه ترى هل استعددنا ٠٠ هل تدربنا ٠٠

وظهرت فى الافق الاضواء الحمراء والبرتقالية ايذانا بظهور الفجر ٠ وانشغل فى متابعة اثار الضوء على الموجودات حوله عن أفكاره حتى ظهرت الشمس تماما كان جسده قد أصبح جزءا من العربة ولم يعد يشعر بأنه يسافر وكان الجندى السائق بجواره يتململ ٠

سأله : هل انت خائف ؟!

رد عليه : لماذا ٠٠ ربنا معانا ٠٠ ان شاء الله نرميهم فى البحر ٠

سألته : ولماذا نرميهم فى البحر .

رد : دول ولاد كلب كفرة .

وتعجب صديقنا من الرد .. ولكن هذا هو مستوى الاقناع .. وحاول أن يشرح للجندى القضية ولكنه توقف فقد فات الاوان . وتنبه أنه هو نفسه لو وجه أحدهم له هذا السؤال ماذا سيكون رده .. هل هناك أى مبرر مهما كان لأن يقتل انسان آخر أو يرميه فى البحر .

سألته : هل ستزور اسرائيل بعد الصلح ؟؟

تردد قليلا ثم رد : وهل يتحتم على أن أزور جميع بلاد العالم . ان ليبيا قريبة جدا ولم أزرها والسودان أقرب وأوربا وباقى أفريقيا .

عندما وصل صديقنا الى نهاية رحلته وجد نفسه فى معسكر كان يستعد لاستقبال مندوب هيئة التدريب ... وبسرعة انتشرت العربات وابتدأت البلد وزرات تعمل فى حفر الملاجىء وخنادق الوقاية واقامة الخيام..واستغرق العمل اليوم بكامله .. وكان أهم خبر هو انتصار الترسانه على الاهلى وحصولها على الكأس لاول مرة بعد حصول الاسماعيلى على الدورى ... واحتد الاهلاويه والزملكاوية .. وكان هناك مقال فى مجلة صباح الخير بقلم محمود السعدنى أربع صفحات عن الانتصار العظيم للاسماعيلى .

استدعى بعض الضباط لحضور مؤتمر يعقده المشير عامر فى مقر قيادة الفرقة ..

وذهب صديقنا لحضور المؤتمر .. استقبلهم قائد الفرقة الجديد المعين منذ أيام عثمان نصار بتعليماته قبل حضور المشير .. لا شكاوى .. لا طلبات .. نحن مستعدون للتضحية فقط مفهوم ...

وحضر المشير عامر وصدقى محمود قائد الطيران وعبد المحسن كامل مرتجى قائد الجيوش البرية وعديد من قادة الاسلحة والقوات .

---

(١) هامش : لم يصدر أى تصريح من أى مسئول مصرى برمى اسرائيل فى البحر ولقد أكد السيد الوزير محمود رياض ذلك أكثر من مرة فى عديد من المؤتمرات وفى هيئة الامم المتحدة ولكن هذا التصريح صرح الشقيرى فى بداية الازمة .

تكلم المشير عن المعركة القادمة بصفتها نزعة عسكرية وطلب من الضباط ايضاح أى استفسارات لهم ٠٠٠

لم يتكلم أحد ٠٠ حسب أوامر قائد الفرقة ٠

احتد وقال أنا عارف انكم بتتكلموا فى الميزات اشمعنى هنا ٠

أحدهم يسأل : ترى هل نحن مستعدون ٠

اجاب ـ بالطبع احنا عندنا أقوى طيران فى الشرق الاوسط انتم جهلة قول لهم يا صدقى قول لهم عن السخوى والتوبيلوف ٠٠

رد الاخر : يافندم لن يحتاج المشاة للحرب ٠٠ سأنهى المعركة ولن يحتاج جندى المشاة حتى لتطهير الخنادق سأطهرها بالطيران ٠ وخرج الضباط عن وقارهم فصفقوا ٠

سأل ضابط أخر : يافندم الجيش كله فى سيناء وهذا ما حدث فى ٥٦ ماذا سيحدث لو هاجموا مصر ٠٠

دق المشير المنضدة بعنف بقبضته وقال ٠٠ أنا المشير عبد الحكيم عامر يقول انى قادر على حماية مصر وتحقيق نصر فى اليمن وتحقيق نصر فى سيناء ثم انتصب واقفا وغادر القاعة وهو يبتسم ويقول ان شاء الله لن يحدث شىء وكان صديقنا فى حاجة شديدة لهذا الرد ٠٠ معنى ذلك ان كل ما يراه فى القوات البرية لا قيمة له ٠٠٠٠ لان الحرب الحديثة تعتمد على الطيران والقيادة أعدت اقوى طيران فى الشرق الاوسط وشعر بالغيرة وفى نفس الوقت بالاطمئنان ٠٠ وكما حدث له ٠٠ حدث للآخرين ٠٠٠٠ ولكنهم اعتمدوا على الكلمة الهامسة المبتسمة ان شاء الله لن يحدث شىء ٠٠ وابتدأوا يحسبون موعد الاجازة والزيادة المتوقعة للمرتبات ٠٠ ومتى سيبدأ تفتيش هيئة التدريب ٠

سألته : ولكن اسرائيل ليست أى بلد فى العالم ٠٠ لقد زرتها أسبرا ذليلا ٠٠ فهل ترغب فى زيارتها ضيفا عزيزا ٠

أجاب : لقد قال لنا سكرتير الحزب الحاكم فى ذلك الوقت المابای أننا اليوم أسرى ولكن شئنا أم لم نشأ فسيأتى اليوم الذى نصبح فيه أصدقاء ونزورهم بهذه الصفة ٠ ولكن كيف يحدث هذا وفى اسرائيل وحولها مليونان من العرب الفلسطينيين مطرودين ومشردين كيف أستطيع أن

اواجه ذا العيون الزرقاء والذى قابلنى هناك ‥ قد استطيع ذلك يوم آن تحل القضية الفلسطينية ويرتضى الطرفان شكلا مناسبا للعلاقة والتواجد ·

صدرت بعد ذلك الاوامر لكتيبة صديقنا بالتحرك الى موقع جـــديد قرب الحسنة بكيلومترين ‥ وجلس صديقنا بجوار سائق جرار ضخم يصدر أصـــواتا عالية وهو يصـــعد المنحدر فى الطريق الى الحسنة ‥ كانت الشمس قد قاربت على المغيب ونسمه هـــواء بارده تهب من الشـــباك على يمينه بكابينة الجرار ‥ وكان يشعر بحزن لا سبب له عادة ما يصاحبه فى هذه الفترة من اليوم · دأن الشمس وهى تسقط غاربة فى الافق تعلن أن يوما آخر من عمره قد انتهى ‥ وما العمر الا سقطات متتالية لهـــذه الشمس فى الافق ‥ وفى يوم ما تعلن انتهـــاء حياة الانســـان ككائن على الأرض ··· وكان امامه فى (القول) عربة محملة بأخشاب لا قيمة لها الا اذا كانت جوانب مرحاض ميدانى ··· وكراسى ومناضـــد وخيـــام ومكاتب وجراكن وفوق هذه الفوضى يجلس جنديان لفا حول رأسيهما فوطة كاكى اتقاء للبرد · أحدهما يشعل سيجارة ويستند على كرسى عندما دقق صديقنا فيه انفجر ضاحكا فلقد كان كرسيا بثلاث أرجل فقط · عندما لفت نظر السائق الضخم له ···· تساءل بأستغراب ـ والنبى يافندم النـــاس دى طالعة تحارب بكرسى بثلاث أرجل ··· أستمر الآخر فى الضحك ثم علق ‥ عهده حيعملوا أيه ··· ولـــكن الموضــــوع لم يكن بسيطا عند صـــديقنا هكذا اذ من الأحق بالمكان فى العربة جندى يجلس مرتاحا أم كرسى بثـــلاث أرجل ؟؟ · لـــماذا نحتقر الانسان هكذا ؟؟ لـــماذا نطلب من ذلك الجندى أن يحارب وهو راقد فوق كومة من النفايات · الا نستهلك جنودنا هكذا بهذه الطريقة الأبدائية الوحشية ···

واسترسل فى أفكاره ‥ هل كل هذا العناء وكل هذه الضجة من اجل الضغط على اسرائيـــــل ‥ لا بالتأكيد انه للضـــــغط على مصر ‥ فحرب اليمن وصلت الى قمة مشاكلها ‥ والاســـعار فى ارتفاع مضطرد والمشاكل الداخلية تهز البلد هزا وهذه الحرب الصليبية ضجة من اجل الهاء الجياع عن شكوى بطونهم وهكذا تعودنا عندما تتفاقم مشـــاكلنا الداخلية تطلب النصر فى الخارج ‥

يوم الانفصال السورى ‥ انتصرنا بثورة اليمن ودفعنا بقواتنـــا اليها وقطع السائق تسلسل أفكاره بسؤاله ‥ يافندم هل اليهود يعرفون

أين نحن الان .. أقصد هل يعرفون أننا متجهون الى الحسنة . (ان الخوف الاسطورى من العدو قابع فى نفوسنا .. رغم كل أساليب الدعاية) .

رد صديقنا ـ بالتأكيد ان اليهود بشر مثلنا ولهم امكانات لا تقل عن امكاناتنا وبالتأكيد هم يعرفون ماذا يحدث كما نعرف ماذا يفعلون فالاستطلاع والمخابرات هى أعين وآذان الجيوش ويجب ان نتحرك ونحن مبصرون والا وقعنا فى أول بالوعة فاغرة فاهها ...

سألته : ولكن ما هو تصورك للحل العادل للقضية الفلسطينية .

أجاب : لا يوجد عادل أو غير عادل . نحن فى مواجهة تحدى حضارى اما أن نقبله ونكون ... أو نتجاهله ونزوى .. وفى حالة قبولنا للتحدى وتطورنا .. لن تصبح هناك قضايا شكلية .. الاسرائيلى يقول ماذا نفعل بالأرض ان مصنع ساعات صغير يدر ارباحا وعائدا يوازى مئات الاف المزروعة والاف الافدنة غير المزروعة .. اذا امتلك العرب عناصر التحدى الحضارى أى امتلكوا لغة العصر . وطوروا امكاناتهم واستغلوها أفضل استغلال فستذوب اسرائيل داخل الامة العربية كما ذاب اليهود دائما فى وسط المسلمين والمسيحيين طول التاريخ .. ان امتلاك العرب للغة العصارية سينزع من اسرائيل اشواكها ومخالبها المتمثلة فى تكوينها الاستعمارى ولكن هل نحن لدينا الثقة فى أنفسنا .. اذا ابتدأنا فالزمن فى صالحنا ....

استقرت وحدة صديقنا فى اليوم الأول من يونيو ١٩٦٧ قرب الحسنة وابتدأت باقى القوات تتمركز فى مواقعها .. استعدادا لمعركة قد تحدث أولا تحدث وكانت اولى المهام التى أوكلت الى صديقنا مشاركة مجموعة استطلاع الفرقة فى تحديد واختيار اماكن الاحتلال للوا،ات التابعة لها . ممثلا لوجهة النظر الهندسية .

كان مكان اول اللواءات وهو اللواء ١١٨ سهلا فلقد كان عليه آن يحمى المنطقة من المدق التركى (وهو طريق كانت تستخدمه القوات التركية فى حركتها) الى طريق الحسنة القسيمة . لذلك انطلق فى ثلاث عربات جيب قائد الفرقة ورئيس الاركان ورئيس العمليات وقادة اللواءات ورؤساء اركانهم وضباط العمليات وصديقنا الى منطقة عمل اللواء وحدد مكان

الكتائب ونقط الاتصال مع اللواءات المجاورة ... الخ . كما لو كان الامر يتصـــل بتدريب أو مناورة عادية ..

وفي اليوم التالى ٢ يونيو ثم تحديد مكان اللواء ١٢٠ أى اللواء الثانى وكان قائده عميدا احتياطيا أسمه العميد بركة رجل كبير السن طيب الى درجة كبيرة وأبعد ما يكون لأن يصبح قائدا للواء في المواجهة حتى أن ضباطه كانوا يسمونه (الضرب من الحركة للعميد بركه) وكانت منطقة عمليـــات لوائه في مكان موحش يســمى وادى خرم ولم يكن يعرف مكانها الا قائد استطلاع الجيش وفي محاولته للوصول أخطأ الطريق أكثر من مرة .. حتى أصبح من الصعب لغيره الوصول ثانية خاصة أنه في طريق عودته عـاد من طريق اخر مختصر يمر من خـلال مجرى سـيل جاف متشـقق ولا يصلح لمرور العربات الا الصغيرة جدا .

في اليوم التالى ٣ يونيو طلب رئيس الفرع الهندسى من صديقنا قيادة مفرزة تأمين تحرك التطقيم وفتح الطريق لتحرك اللواء ١٢٠ ليحتل مكانه .. وعندما واجهة صديقنا بأنه لا يعرف طريق الوصول هدده الآخر بأنه سوف يحاكمه ...

واحتار صديقنا هل يقبل المهمة ويضلل لواءا كاملا خلفه ولعله ينجح عن طريق التجربة والخطأ .. ام يقول ويصر على أنه لا يعـرف .. ومن قال لا أعرف فقد أفتى حتى ولو حاكمه رئيسه . واختار الحل الاكثر شرعا . أن يقول لا أعرف ويصر عليه ..

أخذه رئيســه الى العميد بركه يسـتوضح الموقف .. وعندما قال له العميد « والله يا بنى له حتى أنا نفسى معرفش أوصـل ... ده دوخنا امبارح » تحرك رئيسه بعصبيه وتمتم « يا سيادة الرائد عليك أن توصلهم » ثم ركب عربته وانطلق ..

جلس صديقنا بجوار رئيس مهندسى اللواء مهموما يفكر ماذا يستطيع أن يفعل ... وعندما أسر ذلك لزميله .. أهتاج الاخر .. وابتدأ يتشكى

مما يراه حوله ·· وبهت صديقنا من الموقف المتردى الذى عليه الجيش فقد اتضح أنهم استدعوا الاحتياط على عجل وبملابسهم المدنية ووزعوهم بغض النظر عن تخصصاتهم السابقة على الوحدات الأعجب من ذلك أنهم أحضروهم بواسطة عربات كتيبة النقل .ثم سحبوا العربات وتركوا الجنود بدون أسلحة كافية أو حتى مياه للشرب ·· وأصيب بالقلق فتحرك فى اتجاه العميد يستنجد به لعل زميله لا يعرف كل الحقيقة ·· عندما سأل كيف ستنتقلون ·· فاجأه الاخر باعطائه قطعن من الجيلاتى أحضرتها ثلاجات ضخمة من القاهرة ترفيها للجنود العطشى ·· وقال أولا نأكل الجيلاتى وبعد ذلك نتفاهم ·· ثم اردف ·· سيحضرون لنا عربات كتيبة النقل لتوصيلنا قل لى والنبى يا بنى من أين سنحضر المياه ·· يقولون أن هناك بئرا ·· هل رايته ؟؟

قطع عليهم الحديث وصول قائد الفرقة وضابط استطلاع الجيش الذى نادى على صديقنا « يا بشمهندس هات معداتك واتبعنى ·· افتح الطريق وعلمه لعربات اللواء ··· »

سألته : وما بعد الاستقلال ··

أجاب : فى اللغة العربية عندما تضع بعض الكلمات بين قوسين نعنى ذلك أنها جملة اعتراضية لتوضيح موقف ويمكنك قراءة الجملة متجاهلا ما بين القوسين ·· ما حدث منذ ٦٧ يمكنك أن تضعه بين قوسين وتكمل الجملة ·· قبل ٦٧ كانت الجملة هى كيف نتغلب على أزمة اقتصادية حادة كيف نعمل ؟ كيف نواجه عالما متطورا ؟ ويتطور بسرعة أكبر ·· كيف نقود المنطقة لصالح شعوبها وشعبنا ؟ لتحتل المكان المناسب لهـا وقطعت هذه الجملة بحرب واحتلال واستنزاف وحرب ومفاوضات وصراع ·· والان علينا أن نكمل جملتنا كما كان يجب أن نكملها منذ خمسة عشر عاما ··

كانت الرحلة مرهقة الى أقصى درجة ·· فان وادى خريم ان لم تكن تعرف أرض زراعية أهملت لمئات السنين ·· فجفت وتشققت ·· واصبح أى خدش لها يثير أتربة ورمالا سائبة · ولعمل طريق حتى ولو مؤقت يستغرق شهورا ·· لذلك فلقد اكتفى صديقنا بتعليم طريق بواسطة طرف سكينة الجريدر ليكون علامة للعربات فقط وكانت العربات تتبعه فتزيد من نبش الرمال حتى أصبح من المتعذر أن تتحرك بسرعة أكبر من ٢٠

كيلو متر ساعة وبصعوبة ·· وزعقت موتورات العربات ·· أثارت خلفها عواصف من ابرمال السائبة ·· وتصايح الجذوذ المعلقرن فوقها ·· وتحول وادى خرم الى سيرك ··· فوضى شاملة كاملة · وفى نهاية اليوم حوالى الخامسه ·· وصلت القافلة الى عايتها ··· بحث قائد الفرقة عن صديقنا ·· أحاط كتفيه بساعده ثم اشار الى مجرى السيل الجاف ··· وطلب منه فتح طريق عرضى عبره ليحرك عليه المدفعية التي حتما ستعجز عن الحركة خلال الطريق الذى اتوامنه ·

كان الرجل يتكلم بصوت هادىء أبوى ·· وقد حاول أن يكسر حدة التعليمات العسكرين الجافة ··· وأثر ذلك كثيرا فى صديقنا ·· فهو كيقية شعبنا يمكن أن تسلب منه حياته بالكلمات الرقيقة التى لم يتعودها··

عندما سال قائده عن خريطة يتحرك من خلالها ··· قال له الآخر ·· لا توجد الا واحدة ·· ولا يستطيع الاستغناء عنها انما الطريق المطلوب فى اتجاه النخلات البعيدات ·

ذهب صديقنا متحمسا وطلب من جنوده انزال البلدوزرات من فوق المقطورة ليبدأ فتح الطريق ···

ولكن لماذا ستكون وحدة صديقنا اكثر تنظيما من الآخرين !!

لقد همس السائق فى اذنه ··· بأن الرديراتير مخروم ولا يوجد معه مــاء ··

وكاد أن يصيح فيه ··· وكاد أن يقول له مثل رئيسه « تصرف » ولكن ماذا يفيد كل هذا ··· كان عليه أن يتاكد من سلامة معداته قبل ان يتحرك بها ·· وكان عليه أن يتأكد من وجود ماء ···

وعاد لقائد الفرقة حزينا ومتوترا فوجده راقدا على الارض ينظر الى السماء يتأمل ··· عندما لاحظه سأله « مش حتقدر ··· طيب بكره ان شاء الله تحضر معداتك وتفتح الطريق » · وباحساس بالذنب أجاب صديقنا فورا وبدون أى حسابات « لا يا افندم انشاء الله سيفتح الطريق اليوم » وعاد الى رجاله يفكر كيف سيرفى وعدا قطعه على نفسه بدون تفكير أو حســاب ·

كان جنوده يشعرون بمدى الحرج والاحباط اللذين تسببوا فيهما لقائدهم فجلسوا واضعين أيديهم تحت رءوسهم فى انتظار الفرج ... وكان قد توصل الى خطة ابتدائية بأرسال عربة محملة بجراكن مياه الى الحسنه فتملأها وتعود بها حتى ولو كانت الساعة العاشرة مساء فيبدأ العمل فى الصباح .

ولكن رقيب سريته عاد مهللا ... كما لو كان أرشميدس ينادى لقيناه يافندم ... لقيناه ... فلقد وجدوا بئر مياه على بعد أمتار .. اندمعوا جميعا فى فرح حقيقى تجاه البئر ... ولكن كيف .. !! كيف يحضرون المياه منه ... وتفجرت طاقات لم تكن فى الحسبان ... فك سائق حبل شبكة التمويه .. وأحضر أخرون جراكن ربطت بالحبل وملأوا كل الجراكن بالمياه ... وفى وسط الفرحة ... تنبه صديقنا الى أن الوقت يجرى وستغيب الشمس بعد مدة قصيرة ... ولن يستطيع تحديد اتجاهه ...

أخذ رجاله وتحرك بسرعة فى الخرر ينثرهم وبين كل واحد وأخر حوالى مائة متر ... فى الاتجاه الذى حدده له قائد الفرقة . وبعد دقائق دار البلدوزر وعلى ضوء كشافات العربات والجرارات أزال التربة المكسرة فى عرض مجرى السيل .. ساعات .. وساعات .. وساعات .. حتى وصل الى أخر جندى .. ولم يظهر طريق القسيمة الحسنة كانت الساعة قد قاربت الرابعة صباحا ... قسم جنوده الى قسمين احدهما مستيقظ للحراسه وآخر ينام ..

ظهرت الشمس ثانية ... واضاءت المكان ... لم يتعجل فى يوم ظهورها كما تعجله فى هذا اليوم ... ولم يفرح بالضوء قدر فرحه بهذا الضوء ... لقد كان الطريق على بعد أمتار منه ...

فى التاسعة صباحا كان صديقنا يقف أمام خيمة القائد ... وكان قد انتهى من ارتداء ملابسه ... ابتسم وسأله ... هل ستذهب لفتح الطريق ياباشمهندس ... رد الاخر .. لا .. بل أنا عائد من خلاله .. صحبه قائد الفرقة معه الى ميز الضباط القادة .. لتناول افطاره .. بعد قليل حضر رئيس المهندسين نظر له بغضب ثم همس . ما الذى أتى بك هنا .. الم اقل لكم الا تتصلوا بأحد الا من خلالى ..

انقذه قائد الفرقة وقال « الحقيقة الباشمهندس قام بعمل رجولى لقد فتح لنا الطريق العرضى ويمكننا أن ننقل المدفعية اليوم .. من فضلك وجه له خطاب شكر بأسمى على كتيبته .

غير رئيس المهندسين لهجته وعقب على كلام القائد « فى الحقيقة هو ضابط ممتاز » . خارج الميز كان يقف قائد الكتيبة عندما شاهد صديقنا فى صحبة رئيس المهندسين بادرة « ايه يا بنى انت كنت فين !! .. هو فيه نسوان هنا والا ايه » .

رد رئيس المهندسين بعد ان وقف انتباه وقال :

يا سيادة المقدم يشرفنى أن أبلغك بأن قائد الفرقة يقدم شكره لسيادة الرائد والكتيبة على العمل الرجولى الذى قامت به سريته فى فتح الطريق العرضى لتحرك المدفعية .

رد قائد الكتيبه « وأنا كمان يافندم سأذهب بنفسى لاصلاح الطريق الاخر » رد الاخر « لا المهم احضار حفار الخنادق من اللواء ١١٨ ونقله الى اللواء ١٢٠ - فى خرم » .

سألته : ولكن ما تم خلال خمسة عشر عاما لا يمكن أن يوضح بين قوسين .. لقد كان له تأثيرات ايجابية وسلبية فى كل شىء ..

أجاب : عندك حق .. ان الاطفال الذين ولدوا فى ٦٧ أصبحوا الان شبابا ... والشباب أصبحوا فى منتصف العمر . ولكن المشكلة مازالت قائمة التحدى المطروح مازال قائما كيف نستطيع أن نجتاز الهوة الواسعة بين عالم متقدم ويتقدم بسرعة فائقة وبين توقفنا .. لا تهتم بأن المجارى والمياه والطرق والكهرباء والتليفونات .... الخ . تحتاج لاصلاح .. فهذه سيتم اصلاحها ... ولكن الانسان نفسه هو موضوع التحدى يا صديقى .. كيف يعيش .. كيف يفكر .. كيف يعمل .. ما هى قيمه .. ما هى علاقاته .. الانسان المصرى خلال الازمة تشوه كثيرا ولكنه أيضا احتمل كثيرا وفى استطاعته مع التنظيم أن يخلق المعجزة .. الانسان المصرى لا يقل عن الالمانى او اليابانى الذى استطاع بعد الحرب العالمية ورغم اقتصاده المدمر والتشوهات الواضحة التى حدثت له أن يخلق المعجزة ....

- عندما عاد صديقنا الى وحدته وجد رئيس العمليات يطلبه ·· فلقد أحضروا لهم مائتى جندى احتيـــاط يثيرون الاضـــطراب فى كل شىء ·· وطلب منه أن يقول لهم كلمتين ليسكتوا ·· اليس مسئول التوجيه المعنوى بالكتيبة · جلس بينهم يتأملهم كلهم تجاوزا الثلاثين ·· رجال مدنيون رغم الاوفرولات الواسعة التى يرتدونها · قابلوه بعاصفة من الطلبات ··

المـــاهية يا سعادة البيه ·· القضية يا سعادة البيه ·· قضيته منـــل ·· مراتى بتولد ·.· امى بتموت ·

ظل ساكنا حتى انتهوا وصمتوا ·· أطال فترة سـكوته مسـتعينا بالسلطات التى منحه اياها المشير عامر يوم وضع على كتفه رتبة العسكرية·

أخيرا قال لهم بصوت هادىء ·· هل تريدون أن تحاربوا !!

ردوا فى صوت واحد ·· آه ·· آه ·· نموت فى سبيل فلســطين ·

رد متحيلا نفسه قائد (كتيبه ومعركة) ·· لماذا تموتون ·· جندى ميت لا قيمة له ثم صمت قليلا وأكمل من يستطيع منكم أن يرص لغما ؟ ·· لم يرد أحد ـ من عمل فى سرية طرق ؟ ·· من حفر بالمفرقعات ؟ · لم يرد أحد ـ أكمل ·· حماسكم اكبر من قدراتكم ·.· وبالتالى فالعمل العظيـم الذى تستطيعون أن تقوموا به هو أن تتركونا نعمل ولا تزيدوا مشـــاكلنا ·· الأكل سنحاول أن نقتسمه ·· الماء ســــنحاول أن نحضره · ولكن أرجوكم تذكروا أن حماســكم أكبر من قدراتكم وعليكم أن تقـوموا بواجبكم بأن تتركونا نعمل بهدوء ·

الشىء الغريب بعد ذلك أنهم قاموا بواجبهم وتكون منهم ما يشـــبه الحكم الذاتى وظيفته المحافظه على العهد الذى قطعوه على انفسهم ·

كانت مشكلة الجنود الاحتياط سهلة ·· ولكن الاكثر صعوبة كانت الضباط الاحتياط الذين انضموا الى الكتيبة لتعويض نصفها المنقوص فى اليمن ·· لقد كان معظمهم قد حضر سيناء لاول مرة وبعضهم ذ.ن ـ ابـ مدة طويلة عن القوات المسلحة ···· كأساتذة فى الجامعة ·· أو مسئولين بوحدات مدنية ·· وكان كل منهم يحمل فى يده لسيناء خريطة صـغيرة

مرسوم عليها الطرق الاساسية ·· التفوا حول صديقنا يسألونه عن تفاصيلها ·· عندما طلبه قائد الكتيبة وهو مذعور ·· ان قائد الفرقة يطلبك بالاسم لأمر هام أسرع لمقابلته ·

قال له : أنا انتدبتك لهذه المهمة للاسباب الآتية أولا : لانك موثوق منك ويعتمد عليك · ثانيا : لانك تعرف الطريق جيدا ·· ثالثا : لانك مهندس ··· ستذهب لخرم هناك احتل اللواء ١١٦ بدلا من اللواء ١٢٠ الذى سحبناه ولقد وصلوا منذ ساعات فقط ستقابل العميد خيرى قائد اللواء وستقول له ان سيادة المشير سيحضر باكر ٥ يونيو صباحا للتفتيش على التجهيزات الهندسية ودفاعات اللواء · وبالارة تعد ثلاثة مطارات لثلاث طائرات هليوكبتر فى مكان ظاهر تحيطه بالجير الابيض كى تنزل الطائرات فيها لا تتأخر الساعة الان السابعة يجب أن تصل قبل التاسعة ·

خرج صديقنا مندهشا ·· كعادته فى هذه الايام ·· كل الاشياء التى حدثت غير منطقية ·· كيف يسحب اللواء ١٢٠ ويحتل مكانه ١١٦ رغم أن الأول لم يمض على احتلاله لموقعه أكثر من ساعات ·· يفتش المشير على لواء لم يمض أكثر من ساعات على احتلاله لموقعه ·

ولكن عليه أن يبلغ الرسالة ·· فما ادراه ·· قد تكون هذه هى طبيعة الامور ·· والانسان الذى ينظر للتفاصيل قد لا يرى الصورة العامة جيدا ـ جمع مجموعة من الجنود فى عربة ومعهم مهماتهم ·· وتأكد فى هذه المرة من أن المهمات كاملة ···· واتجه الى مقر اللواء ١١٦ ····

الطريق فى الصباح لعنة ·· فما بالك ليلا ·· والحركة فى الصحراء بدون خريطة أو اضاءة معجزة حتى لو كنت تعرف المكان فما بالك وهو لا يعرف أين احتل اللواء الجديد مكانه ··

تحرك فى الطريق المعروف لديه حتى وصل الى نهايته وهناك ظل يدور بالعربة فى دوائر ضيقة لساعات عديدة ·

وفى كل لحظه يوقفه جنود الحراسه ·· ويسألونه عن كلمة سر الليل التى هى كلمة خاصة بهذا اللواء ابتكرها على عجل ··

دخل السريه الطبيه وسرايا الخدمة ·· حتى عثر على سرية المهندسين بالصـــدفة ·

كان قائدها صديقا له ·· قابله بالاحضـــان · عندما عرف مهمته نصحه بأن ينام حتى الصباح ·· ولكن الاخر كان لابد وأن يبلغ الرسالة ·· دله صديقه على المكان التقريبى لقائد اللواء وهناك اوقفه جندى الحراسة اثبت ·· طفى النور ·· خلمه عن النيل عايز مين ·

ـ سيادة العميد خيرى ·

ـ نقوله مين ·

ـ ضابط من طرف قائد الفرقة ·

وجه حديثه للعربه ـ يافندم ـ يافندم ·· سيادة الرائد عايزك ·· صوت أجش من داخل العربه ·

ـ عايز أيه ·

ـ أنا يافندم ضابط من طرف سيادة قائد الفرقة ومعى رســالة ·

يرد من الداخل أيه الرسالة ·

ـ أكلم سيادتك لانها سرية جدا ··

يستيقظ بتأفف ويضىء نور البادوس ويفتح الكبوت من الخلف · فيظهر فى الضوء الخافت شخص سمين جدا · اســمر ـ شرس ··

ـ ايه ياسيدى الرسالة السرية جدا اللى جايبها الساعة أتنين · دى

ـ سيادة المشـــير سيحضر باكر للتفتيش على تجهيزات الدفـــاع الهندسى ·

ـ وأنا حعمل أيه الساعة اثنين (وكأنما شعر بأنه تجاوز فأردف) طيب اتفضل أنت ··· علم ياسيدى ·

أدى صديقنا مهمته وأنهى قلقه ·· وترك الاخر ساهرا ·

فى الخامسة صباح يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ ومع ظهور أول ضوء للشمس يسمح لصديقنا بتمييز ما حوله ·· وقف فوق ظهر عربته ·· وحدد أماكن ظاهرة تستطيع أن تنزل فيها الطائرات ·· وكون ثلاثة مربعات تصـــلح

الى خيمة صـــديقه قائد سرية المهندسين فوجـــدهم يعدون العـدة لرص

الى خيمة صـديقة قائد سرية المهندســين فوجدهم يعـدون العـدة لرص

حقول الغام فى مواجهة اللواء الجديد ٠٠٠

بعد قليل هبطت طائرة فى مكان من المطارات الثلاثة لتتأكد من صلاحيته قبل حضـــور المشير ٠٠ ثم عادت ثانية ٠٠ وجلس صـــديقنا مسترخيا قبل أن يستعد للعودة ٠ كان يفكر ٠٠ وهكذا كانت نظرته ضيقة للامور عندما اعترض على احتلال اللواء ١٢٠ ـ الاحتياطى للموقع ٠٠

ان هذا اللواء بالتأكيد افضل كثيرا ٠٠ وقطع عليه سلسلة تفكيره ضابط يدخل مندفعا الى الخيمة ٠٠

مسمعتوش وقعنا عشرين طيارة ٠٠

ـ اية

ـ وقعنا عشرين طيارة اسرائيلية ٠

ـ مين ٠ ؟؟

ـ احنـــا ٠

ـ فـين ؟ !

ـ فى مصر !!

ـ امـــتى ؟؟

ـ الان ٠٠٠٠

ـ مين قال كده ٠٠

ـ فى الاذاعة ٠٠٠٠ فتح الراديو بسرعة ٠

كان صوت المذيع يجلجل ٠٠٠ وقعت اسرائيل فى المصيدة ٠٠ هـذا يومك يا عربى أيها المواطنون ٠٠ [أستمع بانتباه شديد ثم التفت لصديقه] ٠

ـ معنى كده ان القاهرة دمرت ٠٠٠

ـ ليـــه ٠

ـ نوقـع عشرين طائرة فى أول موجة ٠٠ معناه انهم هجموا بمائتى طائرة على الاقـل ٠

ـ آه .

صيحات من الخـارج والجنود يرقصـون بقوا اربعين يافندم . عواطفه تغلب على عقله ويبكى .. اربعون .. اذن شبكة الصواريخ قامت بالواجب .. احتمال الاصابه ٩٠٪ فى روسيا لو الضابط لم يصب الطائرة بالصاروخ يعدمونه .. هكذا يقولون .. !!

ـ يرد صديقه ـ ياعم ده كلام اذاعة تلاقيهم عشرة أو خمستاشر .

يدخل رئيس المهندسين مهرولا .. وبدون تحية .. يسأل صديقنا ـ أين قائد الكتيبه .. خرج منذ الصباح لاحضار حفار الخنادق من اللواء ١١٨ ولم يحضر حتى الان ....

طائرة منخفضه جدا تطير فوق الوادى .. طائرة ميراج اسرائيلية ..

اسميد خيرى يهرول ويشتم .. كل العربات تنتشر .. انتشر .. هد الحديه دى .. حاس متوترا جدا ... ونقل توتره للاخرين ..

ويعود صـديقنا الى كتيبته من الطـريق الذى فتحه بالامس ... المدافع المضادة للطيران فى حالة تأهب .. طلقات متباعدة تسمع من بعيد ..

قائد الكتيبة يقابله .. ويسأله : ألم تر الحفار .

يرد : حفار أيه يافندم الحرب قامت ...

الفصل الثانى

الحـــرب

سألت صديقتنا : هل تتصور أن تقوم حرب أخرى مع اسرائيل ..

أجـاب : كل شيء ممكن .. دعنا اولا نحلل أسباب الحروب ومنها نستطيع الاجابة على سؤالك .. في الغالب يكون سبب الحرب هو فرض ارادة سياسية واقتصادية من طرف على طرف آخر .. فخلال صراعنا مع اسرائيل .. قبل ٤٨ وأثناءها .. كانت مجموعة من الصهيونيين يحاولون عمـل وطن قومى لهم يهربون فيه من اضـــطهاد دول العـــالم ــ كما يقولون ــ لهم .. أى فرض ارادة سياسية .. تطور هـذا الموقف بعد ذلك عندما عرضت اسرائيل نفسها على بريطانيا كأداة لحماية مصالحها بمنطقة الشرق الأوسط وتأمين قناة السويس .. ثم على فرنسا .. لضرب ثورة الجزائر عن طريق كسر شوكة مصر .. وفى ٦٧ كانت الحرب هى تتويج لخطة امريكية هدفها الانهـاء على الروح والخط الثورى المتحرر فى المنطقـة والذى كان يقوده عبد الناصر .. فى البداية استهلكت القوات المســـلحة فى اليمن ثم هدت الاقتصاد القومى بالمقاطعة والحصار .. ثم أكملت على ما تبقى فى حرب ٦٧ .. لتفرض ارادتها السياسية والاقتصادية على المنطقة .. ومن جهة أخرى فان الاقتصـــاد المصرى والرأسمالية المصرية .. هما المنافســـان الوحيـــدان والمعـــطلان لتقـــدم الرأســـمالية والصـــناعة الاسرائيليه وتغلغلها فى أســـواق المنطقة .. حرب ٧٣ كانت رفض الاستسلام للواقع الذى فرضـته اسرائيل وامريكا .. وفى جوهره بالطبـع فرض ارادة .. سياسية .. أهداف اسرائيل من الصلح هو التجارة أولا وأخيرا .. وهم لا ينكرون ذلك .. أى التغلب على الازمة الاقتصادية الاسرائيلية عن طريق سوق يضـم مائتى مليون عربى .. فى المنطقة .. ان لم تحقق امريكـــا واسرائيل أهدافهما .. فستقوم حرب ... ولكن هل يوجـــد عاقل واحـد فى مصر يستطيع أن يغامر بكل اقتصاد البلد بدخوله معركة أخرى ...

أنظر يا صديقى قناة السويس ٠٠ كل البترول المكتشف فى مصر ٠٠ اصـــلاح الأراضى والزراعة ٠٠ السياحة ٠٠ المواد الخام ٠٠ كلها اليوم فى منطقة ميدان المعركة التقليدية ٠٠ من الذى يستطيع أن يدمر اقتصـــاد مصر بتعطيله قبل وأثناء وبعد حرب مهما كانت أهدافها أو أسبابها ٠٠٠

عاد صديقنا الى كتيبته ٠٠ اذن فقد بدأت المعركه وقبلت اسرائيل التحدى بدلا من أن تقبل الضغط عليها وتسحب حشودها من امام سوريا ٠٠ وانقطعت الاخبار ٠٠ ترى ما الذى يحدث الان ٠٠ الشمس فى كبد السماء ٠٠ ولا توجد سحابة واحدة ٠٠ والارض لم تتغير ٠٠ والبشر يتحركون يبحثون عن المياه والأكل ٠٠٠

ومن الراديو يأتى صوت أم كلثوم ٠٠ جيش العروبة يا بطل ٠٠ الله معـك ٠٠ ما اشجعك ما اروعك ٠٠ يشـعر بأنزعاج من كلمات الاغنية ولحنها ٠٠٠ ما الذى حدث ٠٠ أين أغانى ٥٦ ٠٠ الشعب بيزحف زى النور ٠٠ الشـعب جبال ٠٠ الشـعب بحور ٠٠

رقد على سريره يفكر ٠٠ ترى كم طائرة هاجمت القاهرة ٠٠ وترى هل رد طيراننا بنفس القوة ٠٠ وكم طائرة سقطت لنا ٠٠ فى صباح اليوم التـالى ٠ كانت الامور هادئه ٠٠ اين الحـرب لا شىء الا بعض الاغانى والشعارات والبيانات وفى صوت اسرائيل كان ليفى اشكول يقول لجنوده ٠٠ معكم السلاح ولديكم القيادة المدربة جيدا ٠٠ ولقد تدربتم واستوعبتم دوركم وما عليكم الا ان تدافعوا عن انفسكم وتنتصروا لتعيشـــوا ٠ ومن القاهرة كان أحمد سعيد يقول ٠٠ كلها دقائق ونصل تل أبيب ٠٠ سنشنق موسى ديان على أقرب شجرة ٠٠٠٠ اقتلوهم ٠٠ اذبحوهم ٠٠ انه يوم العروبة ٠٠ الجيش الاردنى فى المعركة ٠٠ الجيش السورى فى المعركة ٠٠ الجيش الكويتى فى المعركة ٠٠ الجيش ٠ الجيش ٠٠٠٠

رئيس الفرع الهندسى يخرج مهرولا ومعه قائد السريه الاولى ليرص الغاما أمام اللواء ١١٤ (اللواء الثالث فى الفرقة) ويعود ثانية ليطلب من صديقنا الذهاب الى قيادة الجيش لاحضار خطة نسف الطرق من رئيس مهندسى الجيش العميد « عبد الستار مجاهد » ٠ فى قيادة الجيش والتى تم اعدادها فى خمس ســـنوات تحت الأرض لتتحمل انفجار قنبله ذريه فوقهـا مباشرة كان العميد عبد الســتار يجلس أصـفر الوجه جاحظ العينين ٠٠

أمامه قروصتا سجائر كليوباترا والطفايات ممتلئة بأعقاب السجائر ·· وحوله مساعدوه ·· عقداء ومقدمين ورواد ····

سأل صديقنا : هل أنت قادم من الحسنة ·· هل يضربونها الان بالطيران ··· عندما أجاب صديقنا بالنفى · رد الاخر : الان يضربونها ·· انتظر قليلا ··· كان حوله فى غرفة العمليات معلق خطط الجيش ملونة بالاحمر والازرق والاسهم والاشارات تحدد أماكن القوات وموقف العدو ·· وكان صديقنا يتأملها ·· عندما دخل أحد الرواد قادما بأحدث المعلومات ···

– لقد اخترقوا الخط الدفاعى الرئيسى وسقطت العريش وبئر لحفن وأبو عجيلة ورفح والشيخ زويد ··

وذهل صديقنا انها أول معلومات حقيقية يعرفها عن الحرب ·· معنى ذلك ان الاسرائيليين فى طريقهم الى مواقع قواتهم فى الحسنه اذا أستمر الموقف هكذا فستكون المعركة فى اليوم التالى ·· أى ٧ يونيو ·

ركز عينيه على الاوراق ·· أين هذه القوات وأين الهجمات المضادة ·· لقد كان بناء على ورق ·· ومن الورق ·· انهار مع أول نسمة هواء ·· وتجمعت كل الخفافيش تصدمه فى الظلام ·· شريط بدأ بالكرسى دى الارجل الثلاث ·· وخبط المشير على المنضدة بقبضة يده ·· واللواء الاحتياطى المهمل بدون مياه أو حتى عربات · واللواء الآخر الذى أحتل أماكنه خلال ساعات ·· وقائد كتيبته الذى مازال يبحث عن الحفار · كانت العربة تتحرك به بعيدا عن قيادة الجيش فى اتجاه الحسنه ·· وكانت سحابات الدخان تتصاعد من المواقع القريبة من وحدته ·· وهكذا يعمل الاسرائيليون يدكون بالطيران ثم يهجمون بالمدرعات والمشاه بعد ذلك ·· وبالتالى فالمعركة انتهت بهذه السرعة سقطت أبو عجيله والتى كانوا يسمونها مردز سيناء لقد صمدت فى ٥٦ عدة أيام رغم أنها لم تكن محصنة بنفس الدرجة التى عليها الان ··· انه يعرفها جيدا فقد شارك فى اقامة هذه التحصينات فى يوم ما ·· لقد كان لكل بندقية دشمة خرسانية ·· وكاد يشك فى صحة هذه المعلومات ·· ولكنها معلومات هيئة العمليات ·· على أعلى مستوى ·· آه ·· هل انهزم الجيش وشعر بالقشعريرة · لا يمكن ان لدينا أقوى طيران فى الشرق الاوسط ···

ولاذ صديقنا بالصمت يرقب ما سوف يحدث ·· خوفا من أن ينشر الذعر والبلبة بين الزملاء ·· واختفى عن الاعين فى حفرة بعيدة يبكى ··

ويجتر الالم ٠٠ حتى أفاق على جحيم نيران الطيـــران المعـــادى ـ كانت الطـائرات الاسرائيلية قد ملكت الجو تســـقط عليهم مطلقة دفعات متتالية من الرشاشات ٠٠ ومن بعد كان يسمع صوت انفجارات مكتومة وفرقعات متبـــاعدة ٠٠٠

ويسقط بجواره سائق عربته ٠٠ رآه وهو يسقط اصفر وجهه بشدة وجحظت عيناه متسائلة ما الذى حدث !! ٠٠ ثم التوت قدماه ٠٠ وترنح لليمين ثم لليسار ودفع يديه للامام ممسكا بالهواء وسقط على وجهه معلنا صوت اصطدامه بالأرض ٠٠ موت اول رجل ٠٠ من وحدة صـــديقنا ٠٠ كانت المعدات الضخمة الظاهرة ٠٠٠٠ هدفا سهلا للطائرات اغرت الطيارين بأن يلهوا بوصاصاتهم كأنهم فى تدريب ٠

سقط الطيار منقضا بطائرته مرة اخرى بعد أن دار دورة كاملة ٠٠ وعاد ليكمل تدمير المعدات ٠٠ اقترب جدا من الأرض ٠٠ كان قادما فى مواجهة صديقنا ينثر الموت حتى أنه رآه ٠٠ كاد يلمسه ٠٠ وجهه كان واضـحا من خلال زجاج كابينتة تخيل أنه يبتسم متشفيا ٠٠ وجه منتفـخ أبيض شديد الاحمرار يدل على ضخامته يخفى عينيه خلف نظارة مستديرة قابضة على وجهه وطاقية جلد قابضة على رأسه وأذنيه وأمطر الموقع بالرصاص ٠٠ كان من الممكن اصطياده ببندقية صيد ٠٠ لا بل بطوبة ولكن بندقيته رقدت عاقرا بين يديه لسبب لا يدريه ٠٠

وكأنما مـر هـذا الخاطر برءوس أخرى ترقب ٠٠ ولكنها كانت أكثر فاعلية اذ أنـه سمع طلقـــات بنادق قـــادمة من الطرف الاخـر للموقع ٠٠ طلقات يائسة متباعدة ٠ أخرجت القائد من مكمنه يصرخ ٠٠ من الذى ضرب على الطيار ٠٠ ؟؟ أجاب أحد الجنود ـ انها طيارة اسرائيلية ٠

رد الاخـر ـ م ٠ أنا عارف ٠٠ عايز تلفت النظـر له ٠٠ تثيره ٠٠ سيعود لك ثانيا ٠ هل تستطيع مقاومته ببندقيتك هـذه ٠

ـ رد جندى ـ انها تسقط الطائرات فى فيتنام ٠

ـ اجاب القائد بصورة قاطعة ـ وحياة أبوك بلاش فلسفة ٠٠ فيتنام حاجة وهنا حاجة ثانية متضربش الا بأوامر ٠

ذهب صديقنا بعد ذلك ليرى الضحايا ٠٠ كان اولهم سائق عربته ٠٠ ولد أذ لا يمكن أن يطلق عليه لقب شاب ٠ فبرغم تجاوزه العشرين الا أن

جسمه كان ضئيلا أنهكه سوء التغذية والفقر ٠٠ كان قادما لتوه من أعماق الصعيد يحمل معه جهله وسذاجته ٠٠ وبيضا طاعته الابوية ٠٠ التي لا تسمح له بأى تصرف ذاتى ٠٠ ثم درب على أن يكون سائقا لعربة قيمتها الاف الجنيهات ٠٠٠

ولقد كان من الممكن الا يموت لو لم يتذكر فجأة أثناء القصف أنه نسى خوذته فى العربة ٠٠ وهذا مخالف للأوامر فانطلق من خندقه فى اتجاه العربة وفتح الباب وأخذ الخوذة ليعود بها وهنا تنقض الطائرة وهدفها بركة الدماء ٠٠ وكان له زملاء كثيرون فى أطراف المعسكر ومعسكرات أخرى ٠٠ سقطوا ٠٠ دون كلمة عطف أو تشجيع ٠٠ ماتوا وقد كانت حياتهم ليست بخير من مماتهم ٠

جففّ دموعه ٠٠ وتماسك ثم همس لنفسه ٠٠ قد تكون هذه هى الحرب ٠٠ الا يجوز أن يكون طيراننا مشغولا فى ضرب مطارات العدو ٠٠ الا يجوز أن نقوم بهجوم مضاد نستعيد به أرضنا ٠٠ وقد يستطيع مع رجاله أن يقدم عملا ٠ أى عمل يوقف الهزيمة ٠٠

كان القائد يصيح فى التليفون ٠٠ يا فندم الطائرات تلقى شراكا خداعية ٠٠ أرجو تبليغ الوحدات بألا يمسها أحد حتى ننسفها ٠

واستدعى اقدم صف ضابط واشار له فى اتجاه جثه السائق ٠ لقد وجدنا شركا بجوار الجثة اذهب وانسفه ٠٠ يصدر أوامره بعصبية فلتبتعدوا جميعا ٥٠ مترا على الأقل ٠٠ يتكلم ثانية فى التليفون الميدانى ٠٠ يافندم سننسف الشرك بعد نصف ساعة ٠٠ بلغوا الوحدات حتى لا يحدث رد فعل غير مطلوب ٠

وتكونت نصف دائرة بعيدة بالقدر الكافى يرقبون الصف ضابط وهو يزحف تجاه الشرك بين اعجاب الجنود واشفاق الضباط ٠٠ حتى وصل الى مكان الشرك راقدا ٠٠ ثم فجأة وقف متحديا لكل الاوامر ٠٠ وأمسك بالشرك ورفعه لاعلى ثم عاد ضاحكا رغم المأساة التى يعيشها وصاح من بعد ٠٠ فلقد كان الشرك خوذة الجندى الميت بعد أن اخترقها الرصاص فأخرج باطنها وأصبح منظرها غريبا ٠

وهكذا مر اليوم الثانى للقتال ولم ير صديقنا الا تلك الطائرات النزقة ·· وصوت المذيع الثرثار الذى لا يزال يتكلم عن الخطوات الباقية المرتقبة والشنق على أقرب شجرة ·· قرب نهاية اليوم أنشا مقبرة للشهداء ليدفن فيها الموتى ·· وعلى ارتفاع منخفض كانت تطير طائرتان ميج ١٧ ·· هلل لهما الجنود والضباط ·· وعلق أحدهم ··· الم أقل لكم لقد صدرت الأوامر للطيران بالتدخل ·· وكان قائد الفرقة يمر سريعا بعربته وخلفه عدد أخر من العربات الجيب عائدا من معركة قرب العريش ·

ومع غياب شمس ذلك اليوم حضر رئيس الفرع ليبلغ قائد الكتيبة بأن الفرقة ستنسحب ٣ كيلو مترات الى مدينة الحسنة للدفاع عنها ·· أثناء حديثه يعود أحد الضباط من مأمورية توصيل الغام « لخرم » أصفر الوجه ويتكلم دون أن يطلب أحد منه ·· خرم محروقة الجثث مضروبة بالنابلم ·· ولا أحد هناك كل الناس انسحبت المنظر مرعب ·· أكوام من الجثث السوداء راقدة فوق بعضها البعض ·· عندما سأله قائد الكتيبة عن أحد الضباط الاحتياط الذين يعاونونه ·

أجاب : لقد كانت عربته أخر عربه فى القول والظاهر انه خاف وهرب ·

رئيس المهندسين يثور هل نحن نلعب ؟ ·· يا حضرات لا توجد أوامر بالانسحاب واذا انسحب أى فرد ففى الاسماعيلية الشرطة العسكرية ستضربه بالنارفورا ··· ويسأله صديقنا : ولكن كيف سندافع عن الحسنة ونحن قوات معاونة لا تحارب ·

يرد ــ أوامر ·· والأوامر صادرة من قيادة الجيش ·

ــ من الذى سيحارب نصف كتيبة مهندسين أم سرية الخدمة ام الشرطة العسكرية ·

يرد ــ سيدعمنا الفوج المدرع ·

فكر قليلا ·· وقال لنفسه لابد وأن القيادة تفكر أفضل ·· آن الأوان لعمل ما ·· ثم تكلم كما لو كان يكمل حديثا سأشترك فى المفرزة يافندم ·

ابتسم رئيس المهندسين ·· ثم لف ساعده حول كتفيه فلقد كان يعرفه منذ أن درس له فى مدرسة المهندسين شابا لا يقبل ألا المنطق ويناقش كثيرا ولكنه ملتزم الى أقصى درجة ·· ويؤدى واجبه بفهم ·

قال له : أنا أعرف أنك لن تهدأ الا اذا فهمت ·· خطة سيادة الفريق محسن هو أن تتحول الهزيمة الى نصر بتكوين نقط قوية قابلة للحصار تدافع عن مناطق محدودة ويترك الجيش الاسرائيلى يدخل المنطقة ويفرد قواته فى مسافات واسعة ·· وبذلك يسهل على الفرقة المدرعة أن تفك الحصار وتحول الهزيمة الى نصر ·

ـ رد صديقنا ـ لكن يافندم دى العريش والشيخ زويد وابو عجيله ·

ـ أجاب ـ أيوه فاهم ·· فاهم ·· ووصلوا الى الكيلو ١٦١ قرب المكان الذى كنا فيه لكن اللواء ١١٤ المدرع أرجعهم ·· لا تكن لحوحا ·

أسرع الجنود فى تحميل العربات ولكن العربات لم تكن تكفى فلقد سحب بعضها لتحميل الالغام وتوصيلها للواءات المعاونة لذلك فلقد أصدر القائد أوامره بترك ما يزيد حتى ولو كانت أجهزة اللاسلكى ··· ركب صديقنا بجوار قائد الكتيبه فى عربته وترك الراديو الخاص به بجوار السائق وانطلقا لتنظيم تحرك قوة الانسحاب ·

أحد الجنود الاحتياط تكسر ساقه لقد أصطدم جرار بالعربة التى يركبها · زملاؤه يحاولون اسعافه وهو يبكى « ياخيبتكم ياولادى من بعدى »·

قوات أخرى تنسحب من القسيمة على الطريق متجهة إلى تمادة ·· الجنود يبتسمون لماذا ؟؟ ·· سيدافعون عن خط الدفاع الثانى معنى هذا أن خط الدفاع الأول قد سقط ·

همسات بين قائد الكتيبة ورئيس العمليات ·· لا تعنى أحدا ··

يصلون الى المكان الجديد المحدد لهم ·· توزع العربات ·· تتخندق ··· توزع الحراسة ·· ويجد صديقنا نفسه منفردا بعد طول تعب حوالى الثانيه صباحا يحاول أن يجمع كل المعلومات التى استطاع أن يحصل عليها وكل ملاحظاته ويربطها فى أطار منطقى ؟·· أذن ·· فأن هناك هزيمة ·· ولكنها هزيمة تكتيكية ·· ان دور الطيران والمدرعات لم يبدأ حتى الان ·· وبالتالى فان القوات تنسحب لتتمسك بأرض أخرى ينطلق منها قوات الهجوم المضاد ·· هكذا حدث فى روسيا ·· لقد وصل الالمان الى مشارف موسكو ·· وحاصروها ·· وفك الحصار وانطلق الجيش حتى برلين ·

وبالتالى فعليه الا يهلع من الظواهر ٠٠ ويتمسك بالارض مع جنوده ٠٠ حتى يفك الحصار ٠٠ الحصار ٠٠ معنى ذلك أن الموقف الحاكم الان هو المياه ٠٠ وجرى فى اتجاه فناطيس المياه ٠٠ احضر أهم صف ضـــابط وقال له ٠٠ أنت المسئول عن هذه الفناطيس ٠٠ لا تصرف منها الا بتعليمات منى شخصيا٠

كل المطلوب هو الثقة فى القيادة ٠٠ لابد وأنهم تعلموا من حرب ٤٨ ، ٥٦ ٠٠ بالاضافة للخبراء الروس ٠٠ ان باكر هو يوم المواجهة مع العدو ٠٠ وتذكر أنه لم ينم منذ مدة ٠٠ وقرر أن يجبر نفسه على النوم ولو لساعات قليلة ٠٠ حتى يكون قادرا على مواجهة العدو ٠٠ كانت أضواء طلقات أضاءة ارض المعركة تلمع من بعد ٠٠ لابد وأن هناك معركة على بعد عشرات الكيلو مترات فقـــط ٠٠

وأجبر صديقنا نفسه على النوم داخل كابينة العربة ٠٠ واســتيقظ على أصوات جنوده يضربون شبابيك كابينة العربة بقبضاتهم ٠٠ لقـد ابتدأ الاله حورس يظهر فى طرف السماء ناشرا حوله دماء أفاعى الشر التى تقف على بوابة العالم الاخر ٠٠٠٠ منتصرا على الظلام ٠٠ كان الجنود يتكلمون فى صوت واحد ٠٠ دبابات العدو يافندم وقفز من مكانه مسرعا ٠٠ صعد الى أعلى التبة ٠٠ ثم ضـــحك ٠٠ لا هذه دبابات الفوج المدرع التى ستدافع معنا عن المدينه ٠

وجاء دوره للرد على تساؤلات الجنود ٠٠ مثلما رد رئيس المهندسين عليه

ـ لكن المعركة دائرة طول الليل يافندم ٠٠٠

ـ اثبتوا ٠٠ كونوا رجـالا ٠٠٠ واســتدار يبحث عن الراديو ٠٠ وتذكر أنه نسيه فى عربة قائد الكتيبة ٠٠٠

ســأل : أين القــائد

: غير موجود نحن نبحث عنه ٠٠ كذلك رئيس العمليات اختفى ٠٠ تجمع عــدد من الضباط يتســاءلون ٠٠٠

لعلهما يأخذان أوامر جديدة ٠٠ لعلهما فى رئاســة الفرقة ٠٠ وتفرق الضباط والصف ضابط يبحثون عن قيادة الكتيبة ٠٠ عن القائد ورئيس العمليات ثم رجعوا بأخبار غريبة ٠٠ لا وجود لقيــادة الفرقة ٠٠ لا وجـود للوحدات الاخرى ٠٠ القائد ورئيس العمليات هربا ٠٠٠٠

ثم تجمعت اشتات من الكتائب والسرايا الاخرى التى لم تجد رئاستها حولهم ··· ودار حوار بين الجميع لا فارق بين ضابط او صف ضابط أو جندى ···

ـ فلنمش نحن أيضا ·

ـ لنا دور ياحضرات ·

ـ القيادة انسحبت ·

ـ ولكن الجنود موجودون ·

ـ العدو على بعد خطوات ·

ـ نقاوم ·

ـ نقاوم فى الخلف مع النسق الثانى ·

··· وقطع الحوار هجوم الدبابات السوداء ·

وزعق الجنود من أعلى التباب ·· اليهود يافندم ·· دبابات اليهود ·· وفى هذه المرة عبرت الدبابات عن نفسها باطلاق النيران ، وجرى الجميع تجاه العربات ··· بعضها محمل بالالغام ·· الضباط يتجمعون فى كابينه عربة ·· خمس ضباط ··· الجنود يقفزون الى ظهور العربات ·· العربات تجرى بسرعة ·· طلقات الدبابات تطاردهم ·· العربات تجرى أسرع ·· توقفت الطلقات ·· أصبحوا بعيدا عن مداها ·· وفوجىء صدقنا فجأة بأنه قد هرب ·· وشعر بالعار ·· كيف لم يؤد واجبه ·· أى واجب خلال هذه الفوضى ·· لم يكن يتصور فى يوم أن يهرب وبهذه الصورة وبدون أن ينذر الاخرين ·· أصبحت قضية حياته أهم ·· وتساءل كيف سأعيش بعد الان ·· وكيف سأواجه الاخرين ·· حتى حياته أصبح مشكوك فيها ·· ان العربة التى يركبونها محمله بالالغام ·· عندما صرح بذلك تنبه زملاؤه فقال أحدهم نرميها علق آخر ·· لو ضربتها طائرة ستدمرنا جميعا

قال هو ·· نعمرها ونرميها تعطل القوات القادمه خلفنا ·

قال آخر ·· وما ادراك قد تتعثر فيها قواتنا نحن ··

واستقر رأيهم على أن يقذفوا بالالغام كما هى ·· فأصدروا تعليماتهم للجنود المتعلقين بظهر العربة يقذفوا ·

وبعد أن أطمأنوا على تأمين حياتهم فهم الان بعيدون الى حد ما ·· وبعد أن تخلصوا من الالغام ·· ابتدا السؤال الخالد يطرح نفسه عليهم

وبعد ... ماذا سنفعل .. لاول مرة عليهم اتخاذ قرارهم بأنفسهم بعد ان انهارت القيادة هل يستكملون الحرب !! فيلجأون الى الجبل ومن هناك يشكلون مقاومة ما ... هل يستمرون فى الحركة بالعربة حتى يصلوا الى مكان آمن .. هل يتحركون فى الجبل .. وأستبعدوا الحل الاول .. ثم الحل الثانى لخطورة الطيران على العربات المتحركة .. وقرروا أن يتحركوا فى الجبل ولكن بعد أن تطوع أحدهم يملء العربة والجراكن بالمياه والحصول على طعام من العربات المضروبة على الطريق واللحاق بهم .

نزلوا جميعا من العربة الا واحدا منهم ومعه جنديان .. الذى تحرك الى الطريق ثم أختفى عن نظرهم والى الابد ...

وأصبح عليهم الان السير .. الحركة أو الموت .. ولا يهم الماء .. ولا يهم الطعام .. ولا يهم أى شىء سوى الحركة .. وكلما توغلوا فى حضن الجبل .. كلما حافظوا على حياتهم أكثر .

سألت صديقنا : هل تتصور ان العرب سوف يعودون لمصر أو أن مصر سوف تعود للعرب ...

أجاب : الامور لا تؤخذ هكذا ببساطة ياصديقى .. أنا لست منجما ولا أطمع فى أن أكون منجما .. أنما فلنستقرىء الاحداث .. ما الذى تحتاجه مصر من العرب وما الذى يحتاجونه منها .. وعلى اساسه سيتحدد ما الذى سوف يحدث .. العرب ومصر .. يحتاجون لان يصبحوا قوى اقتصادية وعسكرية وثقافية وحضارية .. فى مواجهة القوى المختلفة فى العالم . والذى أصبحت فيه الشراذم لا تستطيع العيش .. العالم يتجه الى الوحدة .. لا التجزئة .. وبدون ذلك ستحاول العراق عمل القنبلة الذرية وليبيا شراءها والسعودية اتقاءها .. وهكذا .. ومصر تفصل الوطن العربى الى نصفين شرقى وغربى .. وهى القلب وبحكم كثافتها السكانية وتجاربها الحضارية هى الثقل .. ولكن عليها أن تعدل فى علاقتها بأخوتها .. فهى لم تعد الواحد والباقى أصفار على الشمال .. كما كان يقال .. بل هى تزداد بتماسك قوى أخرى معها وعلى الاخرين انهاء شكل البطولة الفردية والزعماء الأواحد وتحويل بلادهم الى حكومات عصرية .. قادرة على مواكبة العصر ... وهناك أمل .. ولكن بهدوء .. ودون تعجل .

شمس يونيو ... وصعود الجبل ... وارهاق عشرين يوما .. ونقص المياه والطعام ..... عذاب .

وهـروب الجندى من ميدان القتال ومن الدور الذى أعـد له نفســـه سنين طويلة وخيبة أمله فى نفسه ٠٠ وفى كتيبته ٠٠ وفى جيشه وقومه ٠٠ عذاب ٠ وفقدان الطريق ٠٠ والامـل ٠٠ والهدف ٠٠ والمـاضى والحـاضر والمستقبل عذاب ٠٠ ولكن أكثر درجات العـذاب هو الرعب من قوى غـير منظورة ٠٠ وغير متوقعة ٠٠ وغير مســتعد لهــا ٠٠ اكثر درجات العـذاب لان الانسان يشعر فى هذه اللحظات بمدى ضئالته ٠٠ لان الانسان يعـود الى عصور الجهل فيما قبل التاريخ عندما كانت تحيطه الغوامض من كل اتجاه وتحاصره الاعداء فى كل خطواته ٠٠ وهكذا كان أصدقاؤنا ٠٠ مجموعة من الضباط والصـف ضباط والجنود بعضهم يعـرف البعض ٠٠ والبعض الاخر رمت به الاقدار قبل المعركه بأيام جندى من جنود الاحتياط والبعض الاخر وجد الامن فى أن يتحرك مع جمع أى جمع ٠٠ حتى ولو لم يكن يعرفهم ٠٠

الان انتهت كل الفوارق ٠٠ الا قوة الاحتمال ٠٠ من يســتطع المثابرة والحركة للوصول للهدف سيبقى حتى ولو كان جندى أحتياط علاقته بالجيش بدأت منذ أسابيع ومن يســقط ٠٠ فسيسقط للابد ٠ حتى ولو كان اقدم الضباط جميعا ٠٠ وتفجرت الطاقات ٠٠ تفجرت الطاقات المختزنه أمام الرغبة فى الحياة التى لا يقف أمامها أى عائق ٠٠٠٠

وتحرك الرجال رغم فقد جميع الاحتمالات النظرية للنجاة ٠٠ ولكن الامل دفعهم لبذل المزيد من الجهد ٠٠ والعرق ٠٠ والتحمل ٠٠

يقول صديقنا وهو صادق فى ذلك « لم أكن أتصور أبدا أى احتمال عدا أننى ســوف أعود ٠٠ الى الوطن ٠٠ الى الارض ٠٠ الى المنــزل ٠٠ الى الاهل ٠٠ الى الراحة ٠٠ لم اتصور ابدا أننى سأموت أو أأسر ٠٠ رغم أن كل الظروف كانت ضدى واليهود ضدى ٠٠ وبنى وطنى ضدى وأنا نفسى ٠٠ ضد نفسى ٠٠ الا أن خيال الفناء لم يراودنى أبدا طول رحلة السير » ٠

ونفذت الطاقة ٠٠ ونفذت المياه ٠٠ وابتدأت الخيالات المرعبة تغزو بعض الافراد ٠٠ وظهر تأثير الضعف الناتج من قله المـاء والطعام وحرارة الشــمس على بعض الافراد ٠٠ وتخيل البعض انه لا نهاية لهذا العذاب وأنهم سوف يموتون ٠٠ ولكن لا وجود للثبات فى الحياة وانما هى فى حركة مستمرة متجددة متغيرة ٠٠ كل لحظة تختلف عن التى قبلها ٠٠ حتى فى جبل قفر ٠٠ فعندما قارب الجميع على التوقف نتيجة لقلة المياه ٠٠ وظهرت بعض الاصوات التى ادانتهم لصعودهم الجبل ٠٠ وجدوا من يجرى خلفهم وينادى

•• يا مصرى •• يا مصرى •• وأذا هم مجموعة من عرب سيناء الهاربين الى الجبل خوفا من رصاصات الطرفين •• ومعهم ماء •••

لحظات خاف الأخوة بعضهم من بعض •• وقفزت الى مخيلتهم الاساطير التى نسجت عن استغلال عرب سيناء للموقف • وعن تسليمهم المصريين للاسرائيليين ••• ولكن العطش والخوف من الموت شجعهم على حوارهم •• ولم يندموا •• فلقد شربوا جميعا حتى الارتواء وملأوا الاوانى التى معهم •• ودلوهم على الطريق من خلال مسارب الجبل •• وأهدوهم ما هو أغلى من ذلك جميعا •• أهدوهم النصيحة •• قالوا لهم لماذا أنتم ملتاعون هكذا •• الستم رجالا •• سيروا فى الجبل لا تنزلوا للطرق الرئيسية •• وفى الجبل ستجدون الماء والماعز اذبحوا واحدة أو اثنتين •• أشووها •• وكلوها •• يوم •• اثنين •• وستصلون ان شاء الله فقط لا تنزلوا للطرق الرئيسية •• لقد كانوا رجالا حقيقيين •• صلبهم الجبل والحياة •• لم تدللهم المدينة وتتلفهم وتحولهم لحيوانات مدللة صغيرة تموت أن لم تطعمها ••••

بمرور الوقت اكتشف الجمع أنه فى حاجة الى قيادة حقيقية تحافظ على قطرات الماء التى يحملونها •• ويعرف الاتجاه والمنطقه ويحدد خط السير •• ويتحمل المسئولية •• الان لا داعى للرتب انما مطلوب قائد حاسم •• غير متردد •• يفهم الموقف •• ويستطيع أن يقود •• وتكون تلقائيا طاقم قيادة •• فرض نفسه لامكانياته وأطاعه الاخرون رغم أن منهم من هو أقدم رتبة •• وحدد الطاقم الطريق •• لو تحركنا فى اتجاه الغرب فسنصل باكر الى طريق البحيرات نخترقه بسرعة •• ونصعد للجبل ثانية بعد باكر لوسرنا بنفس المعدل سنكون على ضفاف القنال » •

وحمل آخرون زمازم المياه بحيث يتم توزيعها فى حضور الجميع وبنفس القدر ••• وفى وقفات خاصة ••

واستطاع الجمع بذلك أن يصمد ويتحرك فى وسط السكون •• لا فرقعات •• ولا رصاص •• ولا مدرعات •• ولا دماء •• ولا صوت •• ولا حتى أحاديث •• اصرار على الحركة فقط •• كان كل شبر يقطعه الجمع •• لا يستطيع العودة اليه •• فلقد كان أسفل الجبل وعلى طريق تم • يتحرك قول من المدرعات الاسرائيلية وكأنها فى طابور استعراض

يسير أمام المنصة الرئيسية فى ثقة شديدة ‥ اعداد لا نهائية من المدرعات المتجاورة يحرم عليهم العودة ‥ أرض مصر ‥ يحتلها الاسرائيليون ‥ ويمنعون المصريين من الحركة ‥ آه ‥ آه ‥ وانتهى الماء المحافظ عليه وابتدأت المعدات تطالب بالطعام ‥ وفقد الرجال طاقتهم وأبتدأ الاله آمون يترك مكانه فى مملكة النهار ليدنف الى مملكة الظلمات بعد أن كبر وشاخ خلال رحلته عبر السماء ‥ وقبل أن يغيب أهدى الجمع قطيعا من الماعز ‥ يرعى فى سلام ‥ وجرى كل اثنين خلف معزة ‥ كانت الماعز تحاورهم وتجرى منهم وكلما تصوروا أنهم قابضون عليها افلتت ‥

وأمسك صديقنا وآخر باحدى المعاز ووضع فمه على ضرعها ‥ ياللذة ‥ سرسوب من اللبن الدافىء يصطدم بحلقه الجاف فيرطبه ويرويه ‥ الماعز مستسلمة ‥ بل تنظر اليهما بحنان شديد ‥

يقول صديقنا « كانت تنظر لى بحنان أم وحبيبة ‥ وانهلت عليها أقبلها بين العينين ‥ يالأنسانية هذه المعزة ‥ يالأمومتها تركتنا نشرب لبنها فى محبة وسلام . لقد حطمت حياتى بعد ذلك تلك المعزة ‥ فأنا مازلت أبحث عن نظرات عينيها بين النساء حتى الان وأفتقدها ‥ لن انساها ما حييت » .

كان آمون قد أنهى وظيفته فى هذا اليوم وهده الكدر بعد ما شاهده على أرض الكنانة ‥ وقرر دخول مملكة الظلمات وكان أصدقاؤنا يستغيثون به ‥ أن أبق قليلا ولكنه لم يكن فى حنان الماعز . لقد كان قاسيا للغاية وتركهم فى ظلام ‥ وأصبح الطريق غامضا ‥ لا يرون شيئا الا جبالا تكسوها المهابة ‥ والسواد ‥ وتجمع داخلها المتناقضات ‥ السلام والهدوء ‥ والغموض والرعلا ‥ وابتدأ الهواء يفقد حرارته . ويلسعهم فلا تحميهم ملابسهم الصيفية ‥ وقفز الدفء ليصبح هو حاجتهم الاساسية ‥ ولكن كيف !! وقد فقدوا كل ترث البشرية العلمى فى بعث الدفء ‥ ان الانسان فى عصرنا بدون أدوات حضارية ضعيف جدا ‥ ترى كيف عاش أجدادنا فى العصور المتوحشة فى هذا البرد عراة ‥ وتحرك العقل البشرى يحميهم ويذود عنهم كما ذاد من قبل عن اجدادهم فمنعهم من الانقراض ‥ عليكم أن تتكيفوا مع الوضع الجديد ‥ وهكذا ابتكروا طريقة للدفء بأن يحتضن بعضهم بعضا فيبعث كل منهم الدفء فى الاخرين ويتمتع هو الآخر بدفء مقابل ‥ وناموا فوق الجبل أجسادا ملتصقة لا فارق بين

جسد ضابط أو جندى أو صف ضابط فكلها باعثة للدفء ·· وفى وحدتهـا نجاة للجميـــع ·

وظهر حورس فى الافق متجدد النشـــاط فأيقظ النيام باعثا الامـل فى نفوسهم مستكشفا ما حدث ·· ليحكى القصة التى لا يزال يراها منذ بدء التاريخ ·· ظلم الانسان لاخيه الانسان ·· تجبر القوى ·· وحيرة الضعيف·

ومع الضوء ·· جاء السؤال ·· ما العمل ؟؟ ·· هل سيصلون ·· هل ضـــلوا الطريق ·· لابد وأن يكون قريبا من هنـــا ·· وجلس البعض فى يأس مكانه ·· وتحرك أخرون ··

وتساءل صديقنا كيف يمكنه المحافظة على قـــدرته وحركته ·· لابد وأن يأكل ··· وأدار بصره حوله فلم يجد شيئا ·· الا بعض القواقع تركت فى مجرى سيل ·· وفكر قليلا لابد وإنها تحوى بعض البروتين ·· فمـا المـــانع من أكلها ·· شكلها كريه ·· ومع ذلك مد يده وأخذ يكسر بعض القواقع يمتص ما بداخلها ·· ليس طعمها كريها ··· وابتدأوا يتســـابقون بعد ذلك فى العثور عليها حتى تحدث المعجزة · فى بعض الاحيان تكون المعجزة أن تكسب شهادة استثمار ·· أو أن يموت لك قريب فى الارجنتين أو أن تكون الفتاة التى تحبها لم ترض عليك ·· هكذا علمتنا السينما المصرية والجريدة ·· والقصة ·· ولكن أن تكون المعجزة أثرا لسير عربة ·· فهذا شىء جـــديد ··

لقـــد وجد الجمع ·· أثارا حديثة لعربة ·· معنى هذا أنهم بتتبعهم له سيصـــــلون الى مكان مأهول أو طريق يحدد لهم حركتهم ·

وساروا على هداه ·· حتى وصلوا الى عدة عربات مضروبة بالصواريخ هل بها ماء · ولم يجدوا الا قليلا من المياه الصدئة فى الرديراتيرات تخاطفوها سريعـــا ··

وتتبع أخرون مسارات أخرى ·· ثم عادوا يصيحون الطريق·الطريق··

سألت صديقى : الا زلت تحلم بأن نكون قوة كبرى بأتحادنا ·· الم يكفنا ما حـدث لنـــا !!

أجاب وما الذى حدث لنا ·· اربعون عاما من المعاناة ·· مائة عام ·· ان عمر الشعوب يا صديقى لا يحسب بالاعوام القليلة هذه ·· ولا بد أن نحلم واقدامنا على أرض الواقع الصلبة لنطوره ونبنيه على أساسات قوية تحتمل بناءا شامخا ·· ان الاجيال القادمة تطالبنا بما لم يحققه لنا الاباء وعلينا أن نزرع شجرة الزيتون التى لن يأكل ثمارها الا الاحفاد ··

اندفعوا فى اتجاه الطريق ·· لقد كان طريق البحيرات فعلا ·· بالتالى لم يضلوا كثيرا ·· يصبح الباقى للوصول للقنال حوالى ستين كيلومترا أى يمكنهم الوصول خلال يومين ·· وتجدد الامل مع صياح أخرين الماء ·· الماء ·· لقد كان هناك عربات محملة بفناطيس وجراكن ممتلئة بالماء ومعطلة على الطريق ·· شربوا حتى ارتوا ·· وحملوا كل ما استطاعوا حمله من أوعية ممتلئة ·· واستعدوا للحركة ·· واختلفوا ·· جزء منهم رأى السير بمحازاة الطريق ·· وجزء أخر رأى اختراق الوادى وجزء قال فلنصعد ثانية الى الجبل ·· كان الرعب من الجبل اقوى من الرعب من طائرات العدو وقولاته ··· خاصة أن ذلك المذيع الثرثار كان لا يزال يتلكم عن القتل والخنق والضرب ·· وأن القوات المصرية قد حصرت القوات الاسرائيلية على الطريق الاوسط ·· وهم على الطريق الجنوبى ·· هم أذن فى أمان ·· المشكلة فقط مشكلة وقت وانتصر الرأى الذى يقول أن يخترقوا الوادى فهو حل متوسط بعيدا عن مغامرة الجبل · وبعيدا عن اغراء الطريق للطيران المعادى · وكما تضع بلورة سكر صغيرة فى محلول مركز فتتجمع حولها بلورات اخرى وتكبر كذلك حدث لهم ·· تجمع حولهم أعداد كبيرة من الجنود والضباط الشاردين فى الجبل ·· وزاد عددهم حتى قارب المائه ·

حاولوا التفرق لمجموعات صغيرة ·· ولكن كل المحاولات باءت بالفشل أمام غريزة القطيع ·· وتنبه صديقنا آلى عامل جديد استجد ·· نظرات كراهية اطلت من أعين بعض الجنود الجدد للضباط وكأنهم يحملونهم مسئولية ما حدث لهم ·· وتوقع أى تصرف خال من الحكمة ·· كان صديقنا يحمل مبلغا من المال حوالى مائتى جنيها هى حصيلة بضائع بيعت من كانتين الوحدة ·· ورغم أن النقود لا قيمة لها فى مثل هذه المواقف ·· ولا يمكن استخدامها الا أن الأمل فى شراء مفاجىء قد يدفع أحدهم ومن خلال هذه

الفوضى لسلبها ولو على جثة صـــديقنا ·· فأخفى النقود بين ملابسه الداخلية وجسده ···

كان الجمع يتحرك يحدوه الامل فى النجاة ويغذيه بدلا من الطعام ·· بعضهم يحلم والبعض الاخر يسخط والبعض يتحامل على نفسه حتى سمعوا صوت محركات طائرة التفتوا جميعا لها ·· كانت طائرة اسرائيلية ذات محركات تســـير بمنتهى الامان تستكشف المنطقة · كانت نجمــة داود واضحة عليها ··

زعق أحدهم ارقدوا جميعا ·· كان الامل ألا تراهم · ولكنها استدرات لتعود ثانيا فوقهم ·· ليرقدوا ·· وهكذا حدث حوار غريب بينهم وبين طائرة الاستطلاع ·· كلما أعطتهم الطائره مؤخرتها ســاروا ·· وكلما عادت رقدوا على الارض ·· ولكن بعض الجنود لم يشعروا بالمسئولية · خاصــة بعدما فقدوا احترامهم لقادتهم فكانوا يتحركون بغض النظر عن مكان الطائرة ·· وابتدأ يدور بينهم حوار ·· ترى هل لا حظتهم ·· هل سترمى جنود مظلات ؟؟ هل هى طائرة استطلاع ··· !! هل هى ناقلة جنود ! لماذا تتحرك بأمان هكذا رغم بيانات الاذاعة بأن الطريق الجنوبى مؤمن · وقطــع حديثهم عثورهم على عربة زيل معطلة فى وسط الوادى ·· عندما اداروها وجدوها سليمة ··· ووجدوا بها بعض الطعام علب أكل محفوظ ·· كانوا يأكلون ويحلمون حول العربة ··

بعضهم كان رأيه أن يركبوا العربة ويتحركوا بها فى اتجاه القنال · باقى حوالى أربعين كيلو مترا تستغرق ساعة ·· فى نهاية اليوم يصبحون فى الاسماعيلية ··

البعض الاخر كان يرى أن القوات الاسرائيلية بعيدة ولا خطر الا من الطيران فلينتظروا حتى غروب الشمس ويتحركوا بالعربة · ونصـــحهم أحدهم بالابتعاد عن العربة كى لا يلفتوا النظر اليهم ·· وكان صـديقنا قد اطمأن ·· بعد ساعات سيصل الى البر الغربى ·· سيرسل لاهله تلغرافا من كلمتين « لازلت أعيش » وبعدها سيذهب لرؤيتهم ·· سيصل ·· سيصل ·· يا للمغامرة ·· رائعة خصوصا لو انتهت بســلام · كان يعجب كيف

أستطاعوا أن ينجوا من الموت •• ينجوا من الموت وصدمته هذه الفكرة والجيش •• والحرب •• والهدف •• والقضاء على اسرائيل والدفاع عن العروبة •• ماذا حدث •.• !! كان يريد أن يأكل •• أن ينام • ترى ما سبب الهزيمة ؟؟ هل اصبحت هزيمة ؟ من ادراه فهو لا يرى الا جزءا صغيرا داميا من الصورة •• وشعر بالخدر فأسترسل فى أحلامه •• كان يريد أن يستحم ••• أن يحلق •••

وفجأة وبنظرة للأفق البعيد تبددت كل الاحلام •• لقد ظهرت طائرة حربية تطير على ارتفاع منخفض •• وخلفها أشباح سوداء تتحرك على الارض •

سألته : وهل ستتركنا الدول الكبرى ننمو ونناطحها •• الن تطالبنا بالثمن ••

رد : هى دائما تطالبنا بالثمن وهى دائما لا تتركنا ننمو ولكن هل تتصور أن الحياة مفروشة بالزهور دائما •• وهل كانت الدول الكبرى منذ الازل دولا كبرى •• !!

الساعة حوالى السادسة مساء ٨ يونيو والشمس تميل للمغيب وأصدقاؤنا مجموعة من الضباط والجنود المنسحبين عبر سيناء فى طريقهم الى مصر •• حوالى المائه رجل على يمينهم جبل لا يعرفون ماذا وراءه •.• وعلى يسارهم واد رملى فسيح جاءوا من خلاله •.• وخلفهم يمتد الوادى فى اتجاه مجهول قادم منه أشباح مكدات سوداء تتقدمها طائرة تطير على أرتفاع منخفض •• وعلى بعد عشرات الامتار منهم عربة زيل معطلة ولكنها أملهم فى أن يتحركوا بها الى القنال •• وبين الكودى الحشيشية البرية المنخفضة يرقدون فى انتظار الظلام ـ اللحظات تمر ببطء كأنها دهور وهم يكتمون انفاسهم فى أنتظار القادمين •• ترى هل هم جيشهم جاء متصورا أنهم مجاميع اسرائيلية هابطة فى الوادى !! أم ترى هم اسرائيليون قادمون للتخلص منهم!

ولاول مرة يكتشف صديقنا انه من الممكن أن يموت فان الاشباح القادمة ستطلق عليهم النار حتى يتعرفوا عليهم •• وعلى هذا قد يقتل بعضنا بعضا •. الموت •• الموت لاول مرة •• وفجأة صاح ••

ـ اليهود •• دبابات اسرائيلية ••

ـ لا •• انهـا دباباتنا •

ـ انها •• لليهود ••• وأنهت المناقشة • أصوات طلقات رشاشـات ومدافع دبابات •• ومرت عن يمينهم ويسـارهم دبابتان تليهمـا عربتان مدرعتان •• وارتفعت الطائرة الى أعلى •• لتدور دورة كاملة فى السماء •• فلقد أدت دورها •• وتصاعد من الجمع المختفى بين كدى الحشائش المتصبرة أصـــوات عديدة •••

ـ نحن عرب ••• احنا مسـلمين •

ـ اسـكت ••• دول يهـــود •

ـ يا حبيبتى ••• يا بنتى مين حيربيكى بعدى •

ـ متنا خلاص ••• أشهد أن لا اله الا الله •••

ـ ســـلم يا مخمـــود •

ـ ارفـع المنديـل •

ـ مظلومين والله مظلومين •

ـ سـلم يارب •• سـلم يارب •• سـلم •

ـ أحدهم يجرى نحو العربة فى محاولة يائسة للهرب بها ••

ـ ابعد عن العربة •• يعقبها طلقة مباشرة تصـيب العربة فتحولها الى كتلة نار •••

طلقات الرصاص ترسمهم •• أصوات جنازير العربات المدرعة قريبة ومتلاحقة كأنها تسرع متلهفة لتدوس على الاجساد الملتصقة بالارض •••

يقول صـديقنا « كنت احـاول ان اغوص فى الارض كى تحمينى •• ولكنها كانت تلفظنى فوقها كأنها أم مجنونة قاسية قذفت بأبنها على شريط السكة الحديد وهى واقفة تضحك لترى هل سيمر القطار القادم فوق ابنها أم على الشريط المقـابل ••• »

تجاوزتهم العربات والتفت امامهم مكونة نصف دائرة اطلقوا عليهم دفعات متتالية من الطلقات •• ثم قفز الجنود الاسرائيليون من العربات

ينادون بعربية ركيكة « سلم يا مصرى ·· قومى ·· مفيش حد حنضربه · »
فى الوقت الذى يصبح فيه الانسان وجها لوجه أمام الموت ينتابه شعور غير عادى ·· الحقيقة مجردة من جميع الاخفاءات التى يحاول أن يخفيها بها فى الظروف الطبيعية ·· ويتصرف كل منا ولاول مرة على سجيته وتأخذ الاشياء حجمها ·· الطموح ·· الرغبة ·· الامتلاك · الفخر ·· حتى الحياة نفسها ·· وهكذا تجرد اصدقاؤنا جميعا واصبحوا عرايا امام أنفسهم وامام الاخرين وتحول رجال منهم الى اطفال ينهنهون وتحول بشر شامخون الى خرق مهلهلة ·· وتحول بعض الصامتين الى جبال صلدة شامخة ···

كان احدهم يبكى أطفاله الذين سوف يتيتمون ·

وأخر يستجدى عطف آسريه باطلاق مجموعة من الشتائم فى كل من يحلو لهم سماع شتائمه فيهم ·

وأخر لم يبق له الا تراثه الفكرى المتمثل فى الدين فأخذ يقرأ سورا من القرآن ويصلى تائبا عن ذنوبه ··

ورابع أخرج صورة زوجته وأخذ يكلمها ويقبلها ·· أحضرت لك الشقة · والسيارة ·· وكل ما طلبت وذهبت أنا ··· معاشى سيجعلك ··

وخامس خلع رتبه العسكرية وانهمك فى حفر حفرة ليدفنها فيها وبسرعة خلع سترته لكى يخلع الفانلة والكلسون فاليهود يعرفون الضباط من ملابسهم الداخلية ·

ودار فى نفس صديقنا سؤال عجيب لا يدرى كيف قفز الى قشرة شعوره.
ماذا فعل بملابسه المكدسة فى دولابه وبالاجهزة العصرية التى فى منزله ·· ومغامراته العاطفية المتعددة ·· وقراءاته ·· وتعلمه عشرات السنين ·· وسهر الليالى فى الرسم والتصميم حتى حصوله على البكالوريوس ·· ودموع الفراق ·· وساعات الانتظار ·· وصراعه وعنفه ·· ثم تنهد وقال ·· « مسكينه يا أمى ترى كيف تستقبلين خبر موت ابنك » ··· كل الاشياء أصبح لا قيمة لها الان وكل الساعات التى قضاها هباء ·· وكل الليالى تبخرت ·· ولن يبقى الا بعض الكتابات التى قد يهتم بها انسان ما ··

آه لو كان له عمر فسيهبه ليترك اثرا فى الحيـــاة ... ســيغير حياته بالكامل حتى ...

« ســـلم يا مصرى ... قومى مفيش حد حنضربه .. احنـــا مش متوحشين .. قومى » وقام صـــديقنا مع من قاموا .. الان هو أمـــام الاسرائيليين وجها لوجه .. ها هى ذى اللحظة .. ولكن فى موقف مخزى يســتجدى حيــاته فى نظــرات الاعــداء .. ها هى ذى اللحظــة .. ولكن يالمهانتها .. تشجع يا فتى انه القـــدر الذى كتبه عليك ذوو الكـــابات الحمراء ... تشجع فأن مت فلتمت شجاعا .. تشجع لو ضعفت فستندم طول عمرك ... تشجع فلن يجدى أنهيارك شيئا الا لذة عدوك .

سألت صديقنا : هل أنت راض عما حدث حتى الان !!

أجاب : لقد قمنا بأقصى ما نستطيع ... ان الحرب عمل لا انسانى مرعب .. التدمير .. والقتل .. والتشوهات البدنية والنفســـية .. شىء لا يحتمل .. واذا كان من الممكن أن تسترد حقوقك دون تفريط بالســـلم فبالتأكيد هو أفضل من الحرب ...

سألت : هل لتجربتك الشخصية دخل فى وجهة نظرك هذه !!

أجاب : بالتأكيد لا يعرف الوجد الا من يكابده ... ولا الصـــبابة الامن يعانيها ...

الفصل الثالث

الاســـر

عندما عاد صديقنا من الاسر كان قد استقر فى روعه من خلال المعاناة الطويلة بأن الهزيمة التى تمت كانت هزيمة مجتمع ·· وأنه لابد من حدوث تغييرات أساسية فى هذا المجتمع لمواجهة الهزيمة ·· وأنها كافية جدا لتجعل كل القوى تتكاتف وتفيق من غيبوبتها ·· كان يقول دائما « لقد كنا نعيش ونحن نتخيل أننا نستند الى حائط صلب ونقف على أرضية متماسكة ·· وكنا نرمى بكل ثقلنا على القيادة ·· متصورين أنها تصنع المعجـزات ·· هكذا علمونا ·· لذلك أخذنا موقف المتفرج وفى أفضل الاحيـــان المتعاطف الساذج ولم نتحمل ابدا مسئولية اتخاذ قرار استنادا على أن القيادة أفضل وتعرف صالحنا أكثر ·· وقرارها سيكون الاصوب وتغاضينا عن أشـــياء كثيرة وسلبيات حادة تراكمت ونخرت فى البناء حتى أصبح بناء من قش طار مع أول صدمة »

ولم يستطع ما حدث أن يمحو حماسه وثقته بالثـــورة ·· بل كان يتخيل أنه انحراف أو خطأ حدث ويمكن تعديله ·· بتكاتف كل القوى ·· ولكن صدمته كانت كبيرة ··· عندما عاد فوجـــد أن المصريين هربوا من المواجهة ·· جزء منهم هرب عن طريق الامراض الهســـتيرية ·· أى تحول مرض نفسى الى جسدى··فمرضوا بالضغط والسكرو أمراض القلب والمعدة·· وجزء أخر هرب بالهجرة ·· وجـــزء هرب بالتجـــاهه الى التطرف الدينى أو التطرف العبثى والاستهتار والغرق فى اللذات الحســـية ·· وحتى الذين لم يهربوا وحاولوا اتخاذ موقف ايجابى لجأوا الى انماط جـاهزة تعلموها من الصين وفيتنام وكوبا والاتحاد السوفيتى ·· وأنقســـموا الى شراذم صغيرة تتخفى تحت الارض ويدور بينها وبين بعضها صراعات مرعبـة ·· وبينها وبين الحكومة ثقة مفقودة ···

وهكذا عندما تخلخل البناء بحث كل منا عن وسيلته الخاصة للنجاة تماما كما حدث لحظة أسرهم ·· عندما تحقق الجميع أنهم أصبحوا أسرى ·· انطلقت الاصوات مليش دعــوة ·· ملعون أبو الحرب ·· احنا مسالمين ··

وكان الاخرون يصيحون ايضا « ايدك على رأســك » ·· مين اللى رمى القنبلة على الدبابة ···

واقترب منه شاب فى حدود الخامسة والعشرين أبيض ذو شــعر محمد طويل يلبس أوفرول أخضر مزركش ويسير بكبرياء وخيلاء شديدين ·· وفى نفس الوقت حذر من المفاجأت ·

وســأله : « انت ضــابط » ·

سأله وفى نفس الوقت مد يده نحوه فاختطف النظارة البيرســـول وقذف بها لزميل له وقف بعيدا · فتشه ولم يكن معه شىء ذو بال ســوى النقود التى أخفاها ولم يعثر الآخــر عليها · سحبه بعيدا وقال : ارقد ·· ايدك قدامك ·· اخفض رأســك ·

جمعوا الجنود فى مكان والضباط فى مكان اخر كانا صديقنا وضــابط اخــــر ثم ابتدأوا يحضرون رشـــاشـــاتهم لاطـــلاقها على الجنـــود وقف باقى الضباط وكانوا قد تخلصوا من رتبهم مذعورين ·· منبئين عن انهم ضباط ·· عرضوهم على صديقنا فأقر ورصوهم بجواره · وزعوا المياه لكل فرد رشــفة من زمزمية معدنية مثلجة ·· مــاء ذو طعــم خــاص مخلوط بالماغنيسيوم أو ما شابه ذلك ··

سأله أحدهم باللغة العربية وهو راقد : ماذا تعمل ·

رد عليه صديقنا بالانجليزية : مهندس معمــارى ·

ثم ابتدأ يتكلم بالانجليزية ·· لم يكن يدرى لماذا فعل ذلك ·· كل ما شــعر به أنه انطلق يتحدث بالانجليزية ·· هل كان يتصــور فى ذلك الوقت انهم لن يفهموا العربية ·· أم لانهم أغراب كلمهم بلغة غريبة ·· أم أنه حاول لا شــعوريا أن يفهمهم أنه مثقف مختلف عن الاخــرين ويجب ألا يقتلوه بدون سبب ···

ولكن لم يدم هذا الحال طويلا فقد زعق بالعربية ٠٠ وكأن الصوت قادم من انسان اخر غريب عنه ٠ « حرام عليـــكم ٠٠ حتعملوا أيه فيهم » عندما شاهدهم يجهزون رشاشاتهم لاطلاقها على الجنود ٠

ألتفتوا لصاحب الصياح ليؤدبوه ٠٠ ولم ينقذه منهم الا قدوم عربة جيب مركب بها جهاز لاسلكى وضابط كلمهم بالعبرية ٠٠ فتركوا الجميع ٠ الا واحدا منهم أراد أن ينتهز الفرصة ليأخذ لنفسه بعض الاسلاب ٠٠ فمد يده لينزع خواتم الزواج من الايدى ولكن لسـوء حظه أنه قد ابتدأ بذلك الضابط الذى أخرج صورة زوجته يقبلها أثناء الموقف فصاح فيه هذه ليست ملكى انهـا ملك المدام وخوفا من الفضيحة تنازل عن رغبته فى الاسـلاب ٠٠

قوموا ٠٠٠ أقدم ضابط يدير الطـابور ٠

وتقدم أقدمهم ليدير الطابور ٠٠ طابور من الاسرى !! ومع ذلك فلقد كان يديره كما لو كان فى استعراض ٠٠ بالطبع لم يقصد هـذا ٠٠ ولكنه تعود أن ينادى على الجنود بنفس الطريقة خصوصا لو كان ذلك أمام قائد كبير يريد ارضاءه ٠٠ وهو هنا يحاول ارضاء آسريه ٠

الاسرى متعبون ٠٠ خائفون لدى أى بادرة غير عادية تصدر من الجانب الاخر فهم لا يأمنون لهؤلاء السائرين خلفهم ٠٠ أعدائهم ٠ وجنود الاعـداء فرحون كأنهم مجموعة من أرستقراطى العصور الوسطى خرجوا للصـــيد وعادوا بمجموعة نادرة من الحيوانات سليمة ٠٠

ظل صديقنا يتفحصهم ٠٠ هؤلاء الاعـــداء ٠٠ هـــؤلاء المنتصرون الاسرون المتحـكمون فى حيـاتهم ٠٠ لا يمكن أن يضـم جيش كـل هـذه المتناقضات فى الملبس والسلاح والشكل واللغة والحركة والتصرف ٠

ملابسهم : مايوه ٠٠ (أى والله مايوه) قميص أحمـــر وبنطلـــون كاكى ٠٠ أوفرول أخضر وحـذاء مظـلات ٠٠ أوفارول رمـادى ٠٠ أوفرول أصفر ٠

أغطية رؤسهم : طاقية صوف مشغولة ٠٠ برنيطه رعاة بقر أمريكية ٠٠ طاقية مصرى ٠

أسلحتهم : خنجر ـ رشاش عوزى اسرائيلى ـ رشاش بور سعيد ـ بندقية بلجيكى ـ بندقية تشيكى ـ بندقية رش (أى والله رش) ٠

مجموعة متنافرة لا أساس لها ٠٠ ولا تكوين ٠٠ غريب ٠٠ حل هؤلاءهم أسروهم أبيض أسود ٠٠ أسمر ٠٠ شامى ٠٠ عراقى ٠٠ مغربى ٠٠ يمنى ٠٠ مصرى ٠٠ تأمل صديقنا ثم ضحك وربت على كتفه ٠٠ سأله :

ـ ألست من الظاهر ؟؟

ـ نعم

ـ مدرسة الالهامية ٠

ـ نعم

ـ لقد كنت معك فى المدرسة ٠

ـ ماذا ستفعلون بنا ٠

حظكم رائع ٠٠ صدرت الأوامر الآن فقط بوقف اطلاق النار واخذ أسرى قبل ذلك بدقائق كانت الاوامر اقتل ولا أسرى الا فى أضيق الحدود ٠ ثم دار حوار سريع بين الطرفين ٠٠ كل منهم كان يريد أن يتعرف على الطرف الآخر ٠٠ حاول الاسرائيليون فى البداية تهدئة الاسرى ٠٠ « لا تخافوا نحن لسنا متوحشين ٠٠ ماذا تظنون بنا » ٠

بعد ذلك ابتدات الاسئلة ٠٠ لو كان الوضع بالعكس ماذا كنتم بنا فاعلين ٠ ثم ابتدأت نغمة الفرح والتعالى ٠٠ ما رأيكم فى طيراننا ؟؟

كانت فرحة النصر تتلألأ فى أعينهم وفى نبرات صوتهم ٠٠ لا يستطيعون اخفاءها ٠ ولا يستطيعون تصديق أنهم نجوا من رميهم فى البحر ٠

كانوا يريدون أن يتلذذوا برؤية رعب أسراهم وخوفهم وضياعهم ٠ لحظات غريبة تلك فى حياة الانسان التى يصبح فيها بلا ثمن ويمكن قتله بسهولة لنزوة فى رأس مجنون ٠ أو للتسلية ٠٠ لو أن جنديين مهوسين

من ضغط الموقف والارهاق تراهنا على أن يصيب أحدهما عين أحد أسراهم اليمنى فى مقابل زجاجة كازوزة ·· لكان من حقهما · عندما كنا نسمع عن أباطره لهم السلطة للاطاحة برأس أى انســـان لسبب واه أو بدون سبب كانت أجسادنا تقشعر ·.· فما بالك بأصدقائنا هؤلاء ·.· الذين أصـبحوا بدون ثمن ·· جردوا فجأة من الحصـــانة التى يتمتعون بها طول عمرهم ولم يشعروا بنعمتها وهى الا يموت أى منهم بدون مبرر · وبدون أن يدافع عن نفسه ···

كان صديقنا يحلم وهو يتحرك فى طابور الاسرى ·· آه لو كان الأمر بيدى لفرضت الحق والعدل دون دماء ·· ثم أبتسـم ·· عدنا للاســاطير والخرافات الشرقية عندما يحلم كل منا بخـــاتم سليمان يحركه فيتحقق له أمانيه ·· لا عدل الا مع القوة ·.· وفى الوحدة ·· والتدريب ·· والعمل المستمر ·· والقيادة الواعية ·· والانتصار يحتـاج لعرق وتعب وتضحية وايثار وعقـل وبذل وتخطيط ووعى وتجانس بين المحـاربين فى الحيـــاة والمعيشة والهدف والمرمى والايمان بالقضــية التى يحاربون من أجلهـــا وهذا حدث لهم فأنتصروا وافتقدناه فها نحن نسير فى طابور الاسرى ·

عندما قامت أول مظاهرة فى القاهرة بعد الهزيمة ·· وكان صـــديقنا قد عاد من الاسر ·· كانت مظاهرة احتجاج على الاحكام الصادرة ضد قادة الطيران ·· اندهش صديقنا ·· فلقد كانت أول مظاهرة يشـــهدها منذ أن قامت الثورة ·· أى احتاج الأمر لستة عشر عاما وهزيمة عســكرية حتى يستطيع الانسان المصرى أن يحتــج ويعلن احتجــــاجه فى مظـــاهرة جماهيرية ·· وودلو أنه انضم لها ولكنه خاف ·· خاف عليها من أن يقبض عليه فيقال أن المخابرات الاسرائيلية هى المحركة للمظاهرة فيفسد الهـدف منها ويفسد اسمه أيضا ·· ان هذا الخوف فى نفسه وفى نفوس الاخرين كان يغريه بالتأمل ·· وكان يقول هـذا لجنـوده ·· أنتم تخافوننى وأقصى ما استطيع أن أفعله هو أن أسجنكم لكن ماذا ســـتفعلون مع اعدائكم وهم يســـتطيعون ما هو ألعن ·· أن يقتلوكم ·· لا تخف منى ·· كى لاتخاف من عدوك فتستطيع أن تحارب ·· الانسان القادر هو الانسان الحر المتحرر من المخاوف ·· الآمن على حيـــاته ولقمة عيشــــه وعمله وحريته ·· فيدافع عنها ··

أحضروا لهم عربة مغلقة وركبوا فيها .. أو ركب من تبقى من المجزرة حوالى الخمسين .. والباقى تركوهم جثثا أو أشباه جثث بين كودى الحشيش . قفلت العربة من الخلف بأنزال الكبود المشمع واظلمت الدنيا .. وأصبح كل منهم مع نفسه وفى مواجهتها وتصاعدت الاحداث لا يعرف من القائل ومن المتلقى ...

ـ ابعد يا أخ شويه .
ـ يا بنى هنا مكان الضباط
ـ هو هنا كمان ضباط ومتى ضباط .. كلنا أسرى فى أيديهم ومفيش حد أرجل من حد .
ـ آه لك حق الراجل كان ورانا نفسه .
ـ الوحيد اللى فيكم الرائد الذى صرخ علشانا . يا اخى راجل فعلا لا قال كلام فارغ ولا اتهز زى الثانيين .
ـ لولاه كنا متنا ..

كانت هذه الكلمات نياشين علقت على صدر صديقنا رغم أن قائلها لا ينتظر مكافأة على ذلك ورغم أنه لم يتصنع لتقال له .. وأبتسم .. حتى فى أحلك الظروف يستطيع الانسان أن يرضى عن نفسه .. ولكن ماذا فعل ليرضى عن نفسه .. لم يخلع رتبه وينكرها .. ثم يعود ليتمسح بها . دافع عن الجنود بأضعف الايمان وهو الصراخ .. لم يتكلم بدون سبب ولم يسمع آسريه ما يحلو لهم .. وتعلم من ذلك درسا ألا يتخلى عن قيمه حتى أمام الموت وليمت رافع الرأس ويتحدثون عنه ويستمدون من صموده قوة .. خير من أن يبقى ويرى نظرات الاستياء والاحتقار فى عيون الاخرين .. ان العيون ترصد كل العيون وتقوى وتضعف بها . وعليه أن يكون مصدر قوة لنفسه وللاخرين فى أزمتهم .. ووجد يده تمتد لتربت على رأس ما تبكى .. لا تبك يا رجل .. لا تحزن .. لقد اديت واجبك . ولنستفد من الدرس .. ان جبن وقذارة واستهتار الاخرين تهمنا جميعا لان حياتنا مرتبطة بهم وبتصرفاتهم .. فلا نتركهم يلعبوا باقدارنا بعد الان .. لو .. لو قدرت لنا الحياة .

وقفت السيارة أمام مبنى .. ضوء الشمس اختفى تماما وحل الظلام مجموعة من الجنود الاسرائيليين وأمامهم برميل ممتلىء بالماء وكوز .. قفز

الاسرى بالتتالى من العربة •• وتم تفتيش كل منهم •• جيوبه •• ملابسه •• ويخلع حذاءه وشرابه •• ثم يشرب كوز ماء •• ويدخل المبنى • الاضواء خافتة •• ونسمة هواء باردة تلفح كل من ينزل من العربة فيرتعش •• أصوات تنطق لغة غريبة على الاذن •• كأنه كابوس أو احد أفلام فليينى •• يفرك عينيه لعله نائم •• ثم يتيقن أنه يعيش هذا الحدث عندما تلمسه أيدى حقيقية لتفتيشه •• يشعر بالارهاق الشديد أمله فى الحياة الان أن يرقد لينام •• لا يعثر المفتشون على النقود هذه المرة أيضا ••• يدخل الى المبنى •• الاضاءه قوية •• يطلب مقابلة ضابط •••

- • • • • ؟ ؟ ؟

- عندى أقوال خاصة •

- • • • • • • • •

- معى مائتنان من الجنيهات المصرية أريد أن احتفظ بها معك •

- • • • • • • • •

- انها مرتبى عن شهرين •

- • • • • • • • •

- هل تريد الحق أم كلاما يناسب الموقف

- • • • • • • • •

- نعم أحبه لقد فعل لنا الكثير •• ابتداء من الاستقلال وتأميم القنال •• حتى بناء السد العالى •

- فعلا عبد الناصر لا نستطيع أن ننكر أنه زعيم عظيم •• ولكن غلطته الوحيدة أنه أغلق مضيق تيران •

لماذا قال هذا الكلام فى هذا الموقف بالذات •• وبعد أسره بمدة بسيطة ••• لا يدرى •• هل هو عناد قومى لم يكبح •• هل هو رد فعل للشعور بالنقص ••• هل عن ايمان ساحق •• هل ليكتسب احترام عدوه بشجاعته أم كان للكلمات التى قيلت عنه فى ظلام العربة أثر • أم لجميع هذه الاعتبارات •

اشار له الضابط للمكان الذى سينام فيه •• كان صالة اسكواتش راكت فى مبنى بسيناء لا بد وأنه مطار •• فلا يلعب الاسكواتش فى سيناء الا الطيارون •• وفيه يوجد منصة أو بلكون للمراقبة معلق بها كشافات

قوية مسلطة على عدد من الاسرى المصريين الراقدين على الأرض كل اثنين منهم ملتفان ببطانية والحراس اليهود بجوار الكشافات ممسكون برشاشاتهم ينادون « كله ينام » بتهديد ·· ولم يكن الاسرى فى حاجة لهذا التهديد فسرعان ما أستغرق الجميع فى النوم ··

يقولون فى المثل الشعبى الجوعان يحلم بسوق العيش ··.كان صديقنا يحلم بأنه ينام على سريره بالقاهرة مريضا يتأوه ·· ووالدته تضع كفها على جبهته ·· عندما هزه زميله أو شريكه فى بطانيته ليستيقظ ·· كان الضوء الطبيعى يملأ المكان ··· وكان معظم النائمين قد استيقظوا واستطاع أن يتبينهم جيدا ·· كان معظمهم من الضباط برتب مختلفه رواد ونقباء وملازمون ·· وبعض المقدمين كانوا يجلسون على الأرض مقرفصين فى استسلام ·· انتهت نظرات الرعب من أعينهم ·· وحل محلها نظرات هى خليط من الاستسلام والترقب ·· وكان جندى اسرائيلى طويل الشعر على موضه البيتلز قوى يرتدى ملابس ملتصقة بجسده ويتصرف كنجوم السينما ·· يجمع البطاطين ويزجر الاسرى آمرا اياهم بالجلوس بجوار الحائط · وكان أخر يمر عليهم بقطع من البسكويت والجبن الذى أستولوا عليه من مخازن الجيش المصرى كوجبة أفطار ·

ورغم أن معظمهم لم يتناول طعاما منذ مدة الا أن أغلبهم أعاد الاكل كماهو ورفض المزيد ·· كانهم متفقون على الا يأكلوا ·· الأعناق تتجه لأعلى ·· ففى المنصة نساء ·· لم يروا نساء منذ شهر مجندات اسرائيل يطللن عليهم ·· كانهن ينظرن الى حيوانات غريبة مجموعة قرود فى أقفاص بحديقة الحيوان ·· أو قل قرود بجبلاية القرود ·

لا بل الآخرون هم الذين يتفرجون عليهن كانهن ممثلات سينما خارجات من عند الكوافير لتوهن ·· أحمر الشفاه ·· الملابس الملتصقه بالجسد ·· الصدور النافرة المتمردة على قمصانهن ·· المينى جيب ·· آه هذا جيش العاهرات ·· لقد كان الامل فى امتلاك واحدة منهن سببا قويا للحرب لعديد من الضباط والجنود ··

ها هن يتسلين بالفرجة على رجال مصر الاشاوس ·· لا بل وأيضا يقذفن قطع الشكولاته لهم ·· تماما كما نفعل مع قردة حديقة الحيوان ··

العجيب أن بعض الاسرى أخذ الحلوى وفكها وابتلعها بين نظرات زملائه ... حتى الانســان عندما يحبس يمكن أن يتصرف كالقــرد ...

رقيب أسرائيلى يسأل .. هل هناك من يحتاج لطبيب .. وأجــاب بالايجاب اكثر من شخص .. وحضر الطبيب .. كشف عليهم .. تأدية واجب .. وواجــب ثقيـــل فهـــم من ســـاعات كانوا قاتليه ... أعطـــاهم بعض الاقراص المسكنة أو المهدئة .. كى يترك انطباعا بأنسانيتهم ولكنه للاسف كان طبيبا وليس ممثلا فلم يجد الدور ...

انتصف النهار .. ثم نودى على صديقنا .. أعطاه رقيب اسرائيلى نقوده .. كان يعدهم له بالعبرية آحاد .. أشنين .. ثالوث . مائتى ليره .. ليكتشف لاول مرة قرب اللغة العبرية من العربية .

سأله .. ماذا سأفعل بها .. رد الاخــر . اعطيها لمن سيستلمكم فى المعسكر الاخــر ..

عربات لورى مجهزة من الداخل بمقاعد للجلوس .. ركبها أسرانا وعندما طالبوا بالمــاء قالوا لهم هناك .. عندما طالبوا بالطعام .. قالوا لهم أيضا هناك .. اقفلت العربات من الخلف كعادتهم فى نقل الاسرى أصبح الضوء قليلا .. المقــاعد متقاربة لدرجة أصــطدام أرجل الجالســين متقابلين .. صديقنا يواجه رائدا .. يبتسم ابتسامه خفيفة .. قسمات وجهه تقول « عزيز قوم ذل » .. صامت كأنه لم يتكلم أبدا .... ســأله :

ــ سيادتك منين

ــ مدفعيه (بأختصــار شــديد)

ــ زعـــلان

ــ لا فرحان قالها بقرف وتهكم ــ

وشــعر صديقنا بأنه كان سخيفا .. ولكن الرد كان اقسى .. واصبح السكوت ــ أفضل عمل .. ولكن السكة طالت ــ سأله :

ــ الى أين

ــ علمى علمك

وكان هذا الرد نهاية لاى محاولة لفتح حديث أخر فسكت ثم سرح ثم هاجمته أفكاره ٠٠ ترى ماذا سيفعلون بهم ٠٠ نزع الاظافر ٠٠ تكسير الاسنان ٠٠ شـد الشـعر ٠

هكذا على الأقل يفعلون فى معارضيهم فى مصر ٠٠٠ وخصوصا من يقع منهم بين أيدى رجال السجن الحربى ٠٠

حقا اذا كانوا فى مصر يفعلون هــذا فى المعارضين مجرد معارضين فماذا سيفعل اليهود بأسراهم ٠٠ أو قل أعدائهم ٠٠ ونزع نفسه من أفكاره ٠٠ أين يستطيع الانسان أن يعيش ٠٠ كل العـالم تحول الى غابة مرعبة ٠٠ أكثر ضراوة من غابات الانسان الاول ٠

وحك ذقنه فهو لم يتعود على اطلاقها بهذه الطريقة ٠٠ شعره أيضـا اتسخ واصبح متربا ٠٠ يريد أن يستحم أن ينظف نفسه ٠

ترى ماذا سيقولون عنه أهله ٠٠ أصدقاؤه ٠٠ قائد الكتيبة ٠٠ ورئيس العمليات الهاربان ٠٠ وشـعر بمرارة ٠٠ ترى هل سيعبر اليهود القنال ٠٠ هل سيصلون للقـاهرة ٠٠ يقولون وقف أطلاق نار ٠٠ ترى الى أى حد وقف القتال ٠٠٠

كشف غطاء العربة ٠٠ غابت الشمس وعم الظلام ٠٠ قفز من العربة ٠٠ قابلته لفحه البرد نفسـها ٠٠ الى أين !! يضـع يده فى جيب بنطلونه ويتحرك بكسل ٠٠٠ على الجانبين يقف جنود اسرائيليون أحدهم يزعق ويطوح برجله فى الهواء ليضربه بالشلوت يجرى فتصدم قدمه بمن يأتى فى الطابور بعـده ٠٠ يضـحك رغم المـأساة ٠ كعكة ضـخمة على الارض ملتفة مثل أصبع الكنافة ٠٠ تتكون من رجال نائمين على الأرض عشرات ٠٠ مئات الاسرى ٠٠ حتى ليخيل لك أن كل الجيش المصرى تم اسره ياخذ دوره فى الكعكه ٠٠ المكان محاط بكشافات ضخمة من كل اتجاه ٠٠ كأنها تضىء حلقة سـيرك ٠٠ وصـوت الموتورات عال والحراس يطـلقون الرصاص فوق مستوى الرءوس الراقدة مباشرة وهم يصيحون « ناموا كلكم »

ان الناظر لهذا المنظر يتخيل أنهـا ابادة جماعية فى معسكر من معسكرات النازى وان اليهود ينفسون عن عقدهم القديمة ٠٠

ولكن لم يمنع هذا بعض الهمسات التى تجاوبت من أطراف الكعكه ٠٠

ـ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

ـ طـر مطـرحـك ٠

ـ أريد أن أشـرب ٠

ـ مـا فى ميـه ٠٠

ـ آه ٠٠٠ آه ٠٠٠

ـ اسـكتى ٠٠٠٠

ووجد صديقنا فوق رجليه الثنيتين من البرد رأسا صفراء تتأوه ربت على الرأس ٠٠ فوجد وجها متورما من الضرب ٠٠

قال ـ عطشـان حموت

ـ أسكت الا ترى الرصـاص ؟

آه ٠٠ آه ٠٠ آه ٠٠ آه ٠

كان الصوت يؤلمـه ٠٠ حتى فقد رغبته فى الحياة ٠ فصاح ليخفف عنـه ٠٠٠

ـ يوجد مريض هنـا ٠٠٠

وكان الرد ـ اسكتى ٠٠

ـ انه يموت ٠٠ كمحاولة أخيرة متسترا بالظلام ٠٠

وجاء الرد ـ تعالى ٠ بلهجة التوعد والتهديد ٠

وذهب صديقنا للحارس فى نوبه شجاعة مفاجئة ٠٠ أو قل فى محاولة دفينة للانتحار والتخلص من قسوة الحياة ٠ ولكن وللعجب أشار الاخر الى دورق مياه وقال :

ـ خذى من هنـا ميـه

ـ لا يوجد به الا قليـل

ـ خذى من هنا الباقى ٠٠ وأشـار لدورق أخر ٠٠

أخذ الكمية المتوفرة فى الدورقين فلم يكفيا ملء نصف كوب ٠٠ وذهب للرأس الصفراء يسقيها ٠ رفع رأسه على رجليه وابتدأ يسقيه ٠٠ وفجأة امتدت يد أخرى تخطف الكوب ٠٠ صرخ ابعد ايدك الرجل يموت ٠٠ فهل كان من المعقل أن يضحى ويغامر لكى يسرق انتهازى الماء ويحرم منه المريض٠

وهكذا مضت ليلة كئيبة يعجب كل من عاشها كيف مضت٠حقا ان الانسان آلة رائعة متكاملة ٠٠ ففى الاوقات التى تصبح فيها حياته مهددة بالفناء ٠٠ تنبعث من داخله قوى خفية تحميه وتمده بقوة لا نهائية من التحمل والتكيف ٠٠ منها الاحــلام ٠.

الفجر يبزغ ثانية ٠٠ أشعة الشمس تدفىء الاجساد ٠٠ وها هم يرون بأعينهم ماكانوا يلمسونه فقط ليلا ٠٠ الرأس الصــفراء غــلام لم يتجاوز العشرين ٠٠ زملاءه مازالوا يلهــون أمام الأمريكين وجروبى وفى حلقات الرقص وجهه كله كدمات كأنما هو قد أنهى لتوه ماتش ملاكمة وفى نحافته وشعره الاصـــفر الطويل وذقنه التى مازالت بكرا أحساس بالشـــقاوة واللامبـــالاة ٠٠

على الجانب الاخر نتوء عال هو كرش مقدم مازال نائما ٠ من الناحية الاخرى زميل نقص وزنه خلال هذه الايام بصورة ملفته ٠٠ ماذا حدث ؟؟ ٠

شعور طويلة ٠٠ ذقون غير حليقة ٠٠ تراب يكسو الوجوه والملابس والشــعر ٠٠٠٠ كأنها أشباح خرجت من قبور السنين تلعن العالم ٠٠

وهؤلاء لم يكفهم ما أصاب جنود مصر ٠٠ فاحضروا مجنداتهم المزوقات ليتفرجن عليهم الغريب أن القلوب الرقيقة والعيون الحساسة لم تدمع لسحق الانسان لاخيه الانسان واذلاله ٠٠٠

ترى لو أتيحت لهن الفرصة لحضور حفل فى نادى الضباط ٠٠ هل كن يرين فى هــؤلاء الرجال شيئا يدعو للتسلية ٠٠٠ !!

ارتفعت الشمس الى منتصف السماء ٠٠ وازدادت الحرارة ٠٠ وتصبب العرق ٠٠ وجفت الحلوق ٠٠ وفقد الرجال اتزانهم فهتفوا ٠

٠٠٠ يحيا أشكول (أخص ٠٠ أخص) ٠٠

٠٠٠ يحيا موشى ديان (مش معقــــول) ٠٠

٠٠٠ نريد أن نشرب (آه ٠٠) ٠٠

النسوة يسالن ٠٠ النسوة يبتسمن ٠٠ الرجال يضحكون ٠٠ فناطيس المياه تحضر ٠٠ المياه البــاردة تمــلأ الحلوق ٠٠ تضغط على الانوف ٠٠ تختلط بالرمال لتكون طينا علي الجباة ٠٠ والوجوه ٠٠

ـ أصعدوا للعرابات ٠

عربات لورى مكشوفة مثل التي تستخدم في نقل الرمل والزلط

أبتدأوا يرصون الاسرى داخلها بأن يجلس صف قرفصاء ثم يأخذ كل فرد فى الصف زميلا أخر بين ساقيه الذى يأخذ زميلا آخر بين ساقيه الذى يأخذ زميلا أخر ٠٠ وهكذا وضع غريب وطريقة أغرب للنقل يصعب أن تستخدم حتى فى شحن الحيوانات فقد يهتم صاحبها بالاتنفق على الاقل ٠

ـ انزل اركب الاتوبيس ٠

أتوبيس سياحى فاخر ٠٠ شئ غريب من الضد للضد مباشرة ما معنى هذا ؟؟ واصبح أصدقاؤنا سياحا ٠٠ مع سائق أنيق يتكلم الانجليزية ووظيفته مهندس معمارى ٠٠٠ مثل صديقنا ٠

أعطاه علبة سجائر ٠٠ أخذ سيجارة منها ثم امتدت يد من الخلف فاختطفت العلبة ٠٠ رائد ذو عينين زرقاوين نارى ٠٠ يحتفظ بالعلبة لنفسه ٠

السائق يلاحظ ما حدث ٠٠ فيعطيه لبانا يفرقه على من حوله من الزملاء فى حذر من ذى العينين الزرقاوين ٠

زجاجة ويسكى صغيرة ٠٠ رشفة منها قد تدفئ ٠٠ الزجاجة يتم تداولها بسرعة ٠

ـ نحن نحب السلام « آه يا عقرب أى سلام هذا »

ـ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

ـ انا جميع أعمالى متوقفه بسبب الحرب « ونحن ماذا فعلتم بنا ... »

ـ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

ـ بلدنا متقدمة « بالمدفع والطائرة ٠٠٠ »

ـ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

وابتدأ غسيل المخ ٠٠ بأحدث الطرق العلميه ٠٠ القسوة الشديدة ٠ يعقبها اللين والاعتذار بقلة الامكانيات والمحافظة على الامن ٠٠ هكذا نفذها الالمان

٠٠ وهكذا قام بها أدوات التعذيب فى المعتقلات السياسية ٠٠ الدعاية نصف الحرب ٠ واستجاب البعض أحدهم قال بسعادة غير متوقعة ٠٠٠٠

ـ اليهود فى الراديو كانوا دائما ما يقولون ٠٠ سيقضى الاسرى عندنا اجمل صيف على ضفف البحر المتوسط فى حيفا ٠

ـ والله ناس محترمين ينقلوننا فى أتوبيسات سياحية ٠

وانفرجت الستائر قليلا ٠٠ أطل منها صديقنا ٠٠ انه يعرف هذا الطريق انه الطريق الى العريش ٠٠ وها هى محطة الابطال ونصب الجندى المجهول ٠٠ بجوار النصب عربة جيب مضروبة تتدلى منها جثة متفحمة سوداء من فعل النابلم ٠٠ أكيد هذه جثة ضابط فجراب الطبنجة يتدلى من وسطه ٠٠ الكلاب تنهش الجثة ٠٠ قطار مضروب بالنابلم ٠٠ جثث لا أول لها ولا أخر وجوه محروقة يكسوها الرعب ٠٠ الرائحة النتنة تزكم الانوف المرافق يلاحظ الامتعاض الذى على الوجه ٠٠ يقفل الستائر ويتكلم ٠٠٠٠

ـ نحن لا نريد الا أن نعيش فقط
ـ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ (الخنادق ممتلئه بالجثث ٠)
ـ نحن نحب السلام ٠
ـ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ (دبابات معطلة داخل حقول الغام)
ـ لماذا تكرهوننا نحن نحبكم
ـ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ (عربات مشتعلة حتى اللحظة ٠)
ـ اقفل الستائر ٠٠٠
ـ لماذا ٠ ٠ ٠ ٠ ؟؟
ـ أوامر ٠ ٠ ٠ ٠

ولكن حب الاستطلاع تغلب على الخوف قفلوا الستائر وتركوا اجزاء منها تسمح بمشاهدة محدودة ٠٠ قرب الشيخ زويد ٠٠ كانت خسائرهم ٠٠ دبابات محروقة ٠٠ سيارات مشتعلة وقطارا محملا بالخسائر ٠٠

الحرب على الجانبين ٠٠ ولكنهم يحطمون أسراهم بالسماح لهم برؤية خسائر الجيش المصرى ٠٠ ويمنعونهم من رؤية خسائر الجيش الاسرائيلى ليتخيلوا أن الحرب قد حدثت بدون خسائر من جانبهم ٠

لقد بدأ غســـيل المخ فعلا احذروا أيها الاحباب.احذروا ·٠٠ رفح ٠٠ غـزه ويتجه الاتوبيس الى الطريق الممنوع طالمـا نظروا اليه من قبل وتساءلوا ترى ما الذى خلف هذا الطريق ٠٠ لقد أصبحوا الان فى اسرائيل ٠٠ الليـل يرخى سدوله ويخفى المعــالم ٠٠ العربة تســير بسرعة ٠٠ الدفء والكراسى المريحة ٠٠ والنوم يهاجم معظم أصدقائنا بعد معاناة طويلة فى الليالى السابقة ٠

عندما عاد صديقنا من الأسر ووجد ان معظم اهله المصرين قـــد هــربو من المواجهة سواء بالمرض أو الهجرة او التطرف أو اللامبالاه والتملل ٠٠ اهتز ٠٠٠ كانت صدمته فى بلده أكبر كثيرا من صدمته فى أسره ٠٠ وكاد أن يفقد الأمل ٠٠٠ فأصبح يجرى خلف أى هاتف ٠٠ حتى ولو كان شاعرا او منشــدا يلتف حوله بعض الشــباب يصخبون وينفثون عن مشــاعرهم أو مجموعة من الشباب الصغير الذين تخيلوا أنهم قادرون على تعديل ما اعوج بالخطب والشعارات ٠٠ وغاص ٠٠ لاذنيه يشاهد ٠٠ ويتكلم ٠ ويناقش ٠٠ حتى اكتشف أن هذا أيضا هروب ٠٠ ولكن ما كان يحزنه ويضنيه ٠٠ هو الى اين ٠٠ وكيف يمكن اجتيــاز الازمة ٠٠ وهرب هو أيضــا ٠٠ هرب بدخوله مستشفى القوات المسلحة قسم الامراض العصبية ٠٠ كل ما فعــله أن أخرج ما بداخله للاطباء قال لهم الحقيقة وما يشعر به من أزمة ٠٠ فحجزوه للعــلاج وهناك عرفته ٠٠ (شاب رومانسى) ٠٠ يرتدى روب دى شامبر أحمر ٠٠ وبيده راديو ترانزستور يستمع من خلاله الى الموسيقى وبجواره عشرات الكتب يقرأها ليفهم ٠٠ كتب فى علم النفس ٠٠ والتاريخ ٠٠ والادب ٠٠ والسياسة ٠٠ كان لا يتكلم الا قليــــلا ٠ وينصت كثيرا ٠٠ وفى بعض الاحيان يكتب ٠٠ وأعطانى ما كتب ورقات متناثرات أثارتنى الى درجة كبيرة ٠٠ وكان لابد من استكمال أحداثها ٠٠ لذلك فلقد داومت على الجلوس معه واستثارته بأسئلتى ودونت ملاحظاتى على هذه الاسئلة ٠٠ حتى تم الجلاء ٠٠ فزرته لاعرف ماذا تغير فيه بعد أن جلا آخر جندى اسرائيلى ــ وهكذا ولدت هذه القصة ٠٠

صحا أصدقاؤنا على ضجة ٠٠ فوجدوا أن الاتوبيس يتحرك فى مدينة ما ٠٠٠ عرفوا بعد ذلك أنها بئر سبع ٠٠ مبانى صغيرة ذات أسقف منحدرة مغطاة بالقرميد الاحمر على الطريقة الانجليزية ٠٠ أو الأوروبية من كل منزل تظهر مدخنة بعضها يخرج منها الدخان دليل على أن بداخلها عائلات تتمتع بالدفء والطعام الساخن سينما ملصق عليها افيشات أفــلام حديثة تشبه

الافيشات التى كانت ملصقة أمام سينما كايرو وكان الفيلم المعروض « صوت الموسيقى » •• الأولاد والبنات حول السينما فى انتظار الدخول أو الخروج •• البنات يرتدين الميكروجيب ويصففن شعرهن بطريقة ديل الحصان •• نفس المناظر والملامح التى يمكنك مشاهدتها فى مدينة ما فى أى بلد فى أى مكان من العالم •••

الاتوبيس يقف داخل محطه بنزين •• يدخلون من الشباك خرطوما من مياه تتخاطفه الايدى •• مريض يئن راقد بقاع العربة •• فقد شرب بوله ثم شرب ويسكى لتسكين الالم •• ويطلب ماء بالحاح ••

. الحارس يسبه •• أحد الضباط يحاول تهدئته اسكت يا شيخ محمد الحارس يضربه بكعب البندقية •• يحاول أحدهم اعطاءه خرطوم المياه لفض المشكلة الحارس يضرب الاخر أيضا بكعب البندقية •• يسود السكون العربة بعد ذلك •• السائق يعود ومعه علبة سجائر توزع ــ العربة تتقدم •• ثم تقف ثانية •• المدينة فى مهرجان وسعادة • يلتف حول العربة مجموعة من البنات يصحن •• واحدة منهن تدخل من الباب تبصق على الراكبين • فيبعدها الحارس •

العربة تتحرك على طريق صحراوى حوله معسكرات••ثم تقف أمام معسكر منها عبارة عن مربعات من الارض الفضاء تحيطها الاسلاك الشائكة وتفصل المربعات طرق مخططة على شكل رقعة شطرنج •• يدخلهم الحراس أحد المربعات ويعيدون تفتيشهم ولاول مره يسجل أسماء الاسرى •

(أسمك ــ تاريخ ميلادك ــ وحدتك ــ هل معك أمانات •••)

ينقلون الى مربع من المربعات الفارغة •• الهواء أكثر برودة •• ثم يظهر الفجر سريعاً ••• فالنهار بحرارته •

قائد المعسكر قصير متغطرس •• أبيض •• يدق الأرض بقدميه بقوة اله من آلهة الرومان •• أو جنرال المانى نازى •• كلماته مغتصبة ولكن لها تأثير السحر •••

ــ ماذا تريدون ••• ؟؟

ـ خيـــام ٠

ـ خيمه للضـــباط فقط ٠

ـ مياه ـ أكل ـ دورة مياه ٠

٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

حرارة الشمس تزداد ٠٠ والعطش ٠٠ والجوع ٠٠ والتصرفات النازية أعطت انطباعا بأن الهدف من هذا المعسكر هو افناء الاسرى وتمر الساعات ٠٠ نريد طبيبا لمكان الجنود يسرع أحد الاطباء ويعود ويضحك بسخرية ٠٠٠

ـ أحدهم غرق ٠٠ فى وسط الصحراء ٠٠ فلقد وضع رأسه فى الجردل وضغط عليه زملاؤه فغرق ٠٠

هتافات من مربعات الجنود ٠٠ يحيا موشى ديان ٠٠ كان الحراس يقذفون السجائر والبرتقال ٠٠ والجنـود تتخاطفها وتتصـارع عليها ٠٠ كل حارس كان معه آله تصوير يسجل هذه الكوميديا ٠٠ أو قل تراجيديا هزيمة الانسان ٠ والضباط أيضا ٠٠ أهدوا رتبهم فى مقابل الســجائر والصابون واللبان والشيكولاته ٠٠ بعضهم تمادى فسمح بالتقاط صــور له مع الاعداء ٠٠٠

أحضر الاسرون بعـــد ذلك الطعـــام ٠٠ قوالب جبنه وأنابيب مربى وأرغفه عيش ضخمه كالسيجار ٠٠ وكلها أسرائيلية فى هذه المرة ٠ وتطوع بعض الضباط لتوزيع الطعام على الجنود ٠٠ وبعدها تعالت الشـــتائم ٠٠ كل ما لم يستطع الجنود أن يقولوه لضباطهم من قبل قالوه فى ذلك اليوم ٠٠ ياحرامية تسرقون أكلنا حتى هنا ٠٠٠ ابتعدوا عنا ٠٠ اليهود أكثر عدلا ٠٠ ولم يستطع الاخرون الرد ٠٠ أولا لانه لا يوجد سـجن أو حجز قشــلاق أو ضرب أو حرمان من الاجازات ٠٠ وثانيا : لانها حقائق فان بعض الضباط كونوا وسريعا شلة منتفعين تخفى كل ما تستطيع توفيره أو الحصــول عليه من طعام ثم تتقاسمه فى الخفاء ٠٠٠ ياللحسرة ٠٠ لقد هزمنا ٠٠

مر النهار ببطء شديد ٠٠ وجاء الليل وفى هذه الايام تلاحظ أشــياء لم تكن لتلاحظها من قبل ٠٠ مواقع الشمس فى السماء وحركة الظـلال ٠٠ اختلاف درجات الحـــرارة ٠٠ وهكذا ٠٠ وكان الجنود الاسرائيليون قد

مدوا خطوط مياه حتى كل مربـع بواسـطة مواسـير فى نهايتها مجموعة حنفيات · وحفر الجنود المصريون حفره غطيت جوانبها بالخشب والخيش واستعملت كدورة مياه ·· وفرشوا خيمة كبيرة للضباط ··· فأصبحوا يعيشون فى مربع ٢٠ x ٢٠ متر محاط بالسلك الشائك والاعداء ·

ونام الضباط من الارهاق ·· وجوههم مغطاة بطبقة كثيفة من التراب مغلوبون على أمرهم استسلموا · وتصاعدت رائحة دخان سـجائر غريبة تشبه السجائر العربية وملأت الخيمة ·· فتتبعها بعض الضباط ·· حتى وجدوا مصدرها ···

ـ من أين ·

ـ أعطانى اياها الحارس ·

ـ نفس من فضلك

ـ خدوا حلام واحده وابتعدوا عنى ··

والتف عشرة من الضباط حول سيجارة كريهة الرائحة ·· يدخنون ·· الهذه الدرجة تستعبد العادة الانسان ··

أحدهم يهمس ·· سننتقل الى معسكر أخر ·

ـ كيف عرفت ·

من الحارس صديقى ·· لقد كان كومسـيونجى فى مصر ·· ويحب المصريين وكرمهم ويتكلم عن الفطير المشلتت والعسـل النحل والزبدة ··

ـ وماذا قال لك صديقك هذا ·· !!

سننقل الى معسكر جديد ـ فى مكان ما ـ به حجرات وميـاه ساخنة وبارده وسراير وملايات والاكل فى ميز ·· وسجائر ·· وكل ما سنطلبه سـيجاب ·

ـ اليهود قالوا هذا الكلام فى أذاعتهم أثناء الحرب ·

ـ انهم لا يكرهوننا ·· انهم يكرهون نظام الحكم ·

ورد أخر بأستفزاز ـ ماذا حدث لكم هل نسيتم أننا بين أيدى أعداء وهم سيفعلون بنا ما يشاءون · هـذا جزء من مخطط · واسكته أكثر من

صوت ـ بلاش دوشه ·· ألم تكفينا محاضراتكم وكلامكم المزوق ·· ألم تربعينيك الاتوبيسات ومستوى الاكل ···

واحتار صديقنا ·· أى الأطراف صحيحة · ثم تنبه أنه متشدد لا يقبل أى نقاش والأعجب من ذلك أنه يحكم أحكاما مسبقة على هؤلاء القوم ·· الا يجوز أنهم بشر فعلا وانسانيون ·· الا يجوز أنهم واقعون تحت تأثير دعاية وفكر غير صحيح ·· هل يضع نفسه فى قوقعة ويغلقها عليه فلا يرى أو يسمع أو يفهم ·· الا يجب أن ينتهز فرصة قربه من أعدائه ويتعرف عليهم بشكل أفضل ومن خلال ملاحظاته الذاتيه ·

كل ما فى الأمر أنه اعتاد أن يتلقى من القيادة ·· ماذا يضر لو أنه تلقى من رأسه هو ·· أليس هذا الحارس يشبه والده ·· انه يبتسم بود لماذا تحول هذا البرىء الى أداة فى أيدى مجموعة من الاستعماريين مثل موشى ديان يستخدمونه لضربهم وقهرهم وأقنع صديقنا نفسه بأن يخوض التجربة يرى ويسمع ويفهم ولا يحكم احكاما مسبقة على الجميع ولكن يحذر فهو بين أيدى اعدائه ·

طلبه أحدهم من معسكر الجنود بواسطة الحراس ·· فذهب لرؤيته ·· كان أحد صف ضباطه ··

ـ سلامتك ·

ـ سأموت يا فندم

ـ لا كلها كام يوم وتبقى زى الحصان

ـ وصيتك أولادى

ـ سترجع لهم بالسلامة ·

ـ مش معقول حيموتونا ·

ـ أصمد سير حلونا قريبا لمعسكر أفضل وستعالج هناك ·

ـ ربنا يسمع منك ·· أولادى وصيتك ·

وجاءت أول وجبة ساخنة يذوقونها منذ شهر ·· جردل ممتلىء بالبطاطس واللحم كل عشره لهم جزء ·· الطعام لذيذ ولكنه قليل ·· واسترخى أصدقاؤنا ··· وابتدأوا يتكلمون ··

ـ الناس دى بتموتنا ببطء ٠٠ صباحا وانتم نائمون على الأرض تأملت وجوهكم فشعرت برعب من المنظر ٠٠ التراب والأرض والشعر الطويل والذقون غير الحليقة والعيشة اللاأدمية ٠٠٠

ـ وهل تظن أنهم سيلفوننا بحرير ٠

ـ العساكر مبسوطة ٠٠٠

ـ والله غلابة ٠ على الأقل لدينا خيمة ٠٠ وهم لهم الشمس والهواء والحر نهارا والبرد والندى ليلا ٠٠٠

ـ لم يحدث تغيير كبير فى حياتهم ٠٠ هذه عيشتهم دائما ٠٠ المهم اننا لم نتعود على ذلك ٠

ـ بهذا الشكل سنموت ولن يحدث لهم شىء ٠

ـ ألسنا رجالا مثلهم ٠٠ يجب أن نعيش ٠

ـ ولكننا متعلمون ٠

ـ ان لم يفدك العلم فى التكيف الاسرع والافضل فلا أهمية له ٠

ـ هل ستبقى للابد هنا ٠

ـ الاتفاقيات الدولية تنص على ان كل ضابط له سريره وملابسه وأكله وسجائره ومصروف ايده ٠

ـ طظ بالاتفاقيات الدولية ٠٠ منذ متى احترم الاسرائيليون اتفاقيات دولية ٠

ـ لكن دى سمعة دولية ٠

ـ منذ متى ايضا اهتموا بالسمعة الدولية لذلك ضربونا بالنابلم

ـ لا تكن ظالما فهم يحاولون التعاون ولكنها الامكانيات ٠

ـ ثانيا امكانيات ٠٠ ألم تشبع من هذه الكلمة التى نعلق عليها عجزنا ٠

ـ هل رأيت الاتوبيسات التى أحضرونا فيها ٠

ـ وهل رأيت عربات الزلط التى كنا سنركب فيها ؟

ـ انهم فى منتهى الذكاء صوروا لنا انهم قادرون على شحننا كالبهائم ثم أركبونا اتوبيسات سياحية ٠

ـ لتعذر أى تصرف حقير يتصرفونه معك بعد ذلك وترجعه الى نقص الامكانيات ٠ ولكن حسن النية متوفر ٠

ـ لو أننا أسرناهم ماذا كنا سنفعل بهم ٠

ـ تدفن رأسك فى التراب ٠٠ كنا ذبحناهم طبعا ٠

ـ ومن أدراك أنهم لم يذبحوا غيرنا ٠

سأل أحد شـلة المنتفعين عن موعد رحيلهم الى المعسكر الجديد ٠٠ فقيل خـلال ثلاثة او اربعة ايام وعندما ناقشـه بعض زملائه فى مدى العـلاقة بينه وبين الحراس رد ٠

ـ هس ٠٠ لا أريد كـلام أكثر من اللازم ٠٠ ستقولون عميل ٠٠ موافق ٠٠ عميل عميل ٠٠ عندما أعود بلغ عنى ٠

وانفلت آخرون كأنما كان هـذا الحديث اشـارة البدء ٠٠

ـ لـماذا نحاربهـم

ـ اذا لم نكن فى مستوى قدرتهم فلماذا نعاديهم ٠

ثم تندر آخرون على أنفسهم

ـ نحن اقوى طيران فى الشرق الاوسـط ـ سـنقضى على اسرائيل فى ٤٨ سـاعة

ـ اضرب ٠٠ اضرب ٠٠ اضرب ٠٠ لجل الصغار ٠ لجل الكبار

ـ انهم متقدمون جدا ٠٠ مدوا المواسـير فى دقائق ٠٠ شـوف لو كان عندنا كان أخد وقت اد أيه ٠.

كانت الصدمة قد هزت ايمان الجميع ثقتهم فى أنفسهم وبدون استثناء٠٠ وجعلتهم يراجعون مبادئهم المتوارثة ٠٠ وكلما كانت درجة الاقتناع سطحية ٠٠٠ كلما كان الانبهار أكبر ٠ فأصـبحوا يقدرون العدو بأكثر ممـا يجب ويبخسون أنفسهم حقها أكثـر مما يجب أيضا ٠

وهكذا فان الجنود بايمانهم الاجوف النابع من تعصب دينى شيفونى سرعان ما حدث انهيارهم ودفعهم هـذا للهتاف لقادة أعدائهم ٠ والضباط بعنترياتهم الجوفاء أيضـا تعرضوا لهزات متفاوتة الدرجات من الانهيار ٠٠ تتراوح بين التعاون التام مع العدو الاملس وخدمته فى سبيل بعض الامتيازات وبين مراجعة موقفهم من القضية والاستعداد لرؤية الموقف بأعتبارات جديدة٠ وهذا ما حدث لصـديقنا ٠

أصبح مستعدا لسماع وجهة النظر الاخرى والتعرف على العدو بروح محايدة جديدة بحيث لا تمس كرامته أو كرامة وطنـه ٠٠ وتنبهت غريـزه الاسـتطلاع لديه ليحاول أن يعرف ويفهم ويستفيد من التجربة الجديدة أقصى اسـتفادة ٠٠

وفى سبيل ذلك ابتدأ يراجع قيمه وأفكاره القديمة فى ضوء آتون النار الذى وجد نفسه داخله مرغما ٠

صباحا ٠٠ جاء البشير ٠٠ سترحلون وانتقلوا من يد الى يد حتى وصلوا الى العربات ٠٠ عربات نقل الزلط ٠٠ ثانية ولكن فى هذه المرة تسحنوا فيها فعلا بطريقة لا انسانية للغاية جلس كل منهم مترفصا ٠٠ فاتحا رجليه ليدخل بينهما زميل أخر ووضعت على عينى كل منهم عصابة من الشاش وانقطان كان صديقنا فى أول صف ملاصق لجدار العربة ويجلس بمحازاة رأسه فوق الكابينة حارسان اسرائيليان بيدهما رشاشات وتحركت العربة وتعالى الصياح ستتكسر رجلاى ٠٠ يا أولاد الكلب الله يخرب بيتكم وتخيل كل منهم أنه سيكون ضحية زملائه كما حدث مع غريق الصحراء ٠٠ فانهالوا لعنا بعضهم لبعض ٠٠ وكلما طالت المسافة ٠٠ كلما زاد العذاب ـ حاول بعضهم الوقوف أو خلع العصابة ولكن الحراس زجروهم ٠

الهواء بارد ٠٠ ثم أصبح محملا برائحة زهو البرتقال ٠٠ أكيد يمرون الان بين بيارات البرتقال الفلسطينية التى طالما سمعوا عنها ٠ صياح المارة يصلهم ٠٠ لقد دخلوا مدينة ٠٠ أصوات موتسيكلات وعربات تحيطهم ٠٠ انهم يزفون عارهم ٠٠ ويمتعون مدينتهم بالمنظر المخزى لرجال مصر الصناديد ٠٠ صياح لفتيات ـ شتائم للنبى محمد ماله محمد وأحداث تمت بعده بالف وثلاثمائه عام ـ شتائم لعبد الناصر ـ شتائم لام كلثوم ٠٠ شىء غريب أن يعرف رجل الشارع ما يوجعهم لهذه الدرجة ٠٠ الاصوات تضعف وتعود رائحة البرتقال ٠٠ لابد وأن المنظر جميل ٠٠ كانوا يشعرونه من نسمات الهواء الرطبة المعطرة برائحة الحدائق ٠٠ أحدهم يعرى العصابة ليرى ٠٠ عجيب هذا الانسان يخاطر بحياته فى سبيل أن يرى ٠٠ ولكن معظمهم لا يملك شجاعته أو استهتاره فهم يعرفون الا ثمن لهم ٠٠ ولذلك فهم حريصون الا يعطوهم المبرر لاغتيالهم الذى خلع العصابة يصف لهم المنظر٠

نحن فى قول عربات ٠٠ امامنا ميكروباس يركبه الحراس اليهود وبعض المصريين ٠٠٠ آه شلة المنتفعين ٠٠ الشجر على الجانبين أخضر وكثيف (نعم ٠٠ نحن فى الربيع) والورود والزهور تملأ منتصف الطريق وعلى الجانبين ٠٠ (آه ٠٠ انها الجنة ٠٠) العربات تجرى حولنا بسرعة ٠ ياه ٠٠ سيدات بالمايوهات البكينى فى العربات المكشوفة ٠٠٠ (لابد

وانهم بقرب البحر) •• العربات تقف •• بنات صغيرات ـ يندمعن تجاه الميكروباس ويقدمن زجاجات النازوزه للحـراس •• الله الله •• الزجاجات منغيشة من قطرات المـاء والبرودة •• يا نهار اسـود • وطى راسك طوبة جاية ويحدث هرج فى العربة فالجمع الاعمى يحاول أن يتوقي طوبة قادمة من مكان ما لا يعرفه ويتنبه الحراس لخطر الموقف فيسرعون بالحركة ••

ســاعات طويلة تمر ببطء كل دقيقة تمضى بدون أخطار يحمدون الله عليها •• والاخطار تحيطهم من كل جانب •• حارس متهور او مدنى متحمس يقذف بطوبة •• او ضـغط الاجســاد بعضها علي بعض • مع مرور الوقت قل الحذر وابتدأت أعداد متزايدة منهم تخلع العصابات •• وظهرت أســوار عالية فى وسطها بوابة يتجمع حولها عشرات من الشبان والشابات بالميكروجبب والمـايوهات والشـعر المسترســل أو البيتلز تهتف باللغة العربية شعارات معادية وكلمات بذيئة لا تســمع فى أحط الاماكن يقذفون القادمين فى ذلهـم بالطماطم وعلب الصفيح الفارغه •

ودخلت العربات من البوابة وسمح لهم رسميا بخلع العصابات ووجدوا أنفسهم فى الجنة ••• حقــا ••

أعداد كبيرة من الاشــجار تشـبه حديقه قصر المنتزه فى الاسكندريه أحواض الزهور والحشائش •• والشــوارع المسفلتة النظيفة وفى خلفية الصورة جبل عال أخضر مزروع كله يظهر منه فنطاس مياه ضخم •• ويتناثر عليه مجموعات من المنازل الصغيرة التى لا يمكن تمييزها بسهولة •• ونسمات هواء رطبة محملة برائحة البحر والزهور وصوت حريمى رقيق يتكلم بلغة غريبة من الميكرفون • قد يكون هذا منظرا عاديا فى الظروف الطبيعية ولكن لانسان عاش حوالى الشهر فى الصحراء لا يرى الا التراب واللون الاصـفر يعتبر المنظر مفاجأة مؤثرة ••

لقد كان هذا معســكر عتليت المكان الذى أعـده الاسرائيليون للاسرى المصريين ـ ليعيشوا فيه أجمل أيام صيف ٦٧ على حد قولهم فى أذاعة اسرئيل•

الفصل الرابع

عتليت

آن الاوان لكى أحدثكم عن نفسى قليلا أنا الكاتب .. كما سبق وذكرت لكم لقد تقابلت مع صدقينا أول مرة فى مستشفى للقوات المسلحة بقسم الامراض النفسية وكنت فى ذلك الوقت نقيبا طبيبا يعمل بالقسم .. وكان صديقنا رائدا مهندسا حضر ذات يوم يشكو رغبته فى أن يطلق الرصاص على قادة كتيبته واللواء الذى يعمل بهما وعندما تحدثنا معه اكتشفنا أننا أمام حالة خاصة ليست ككل الحالات التى نقابلها وانه ذكى متفهم ولكنه مصاب باكتئاب نفسى شديد .. وأن لديه ما يقوله ... بعد أن عانى من الاسر .. وشدنى صديقى اليه كحالة مرضية تستحق المناقشة وكانسان ذى وجهة نظر تمسنا جميعا .. فصارت بيننا صداقة غريبة .. هى خليط من ثقة مريض بطبيبه وعلاقة مجروحين بخنجر واحد .. فرغم كونى طبيبا نفسيا متخصصا بالقوات المسلحة .. الا أننى أيضا انسان مصرى مصاب وان كنت أكثر قدرة على فهم مشاكلى وأحاسيسى لذلك فلقد تتبعت حالته حتى بعد أن ترك القوات المسلحة .. وكان يزورنى فى عيادتى فى بعض الاحيان .. وكنت أسعى اليه فى بعض الاحيان .. وشفى صديقى .. ولكن أنتم تعرفون ان كلا منا مريض بشكل أو بآخر بنسب مختلفة .. عندما أقول شفى صديقى فأقصد أنه أصبح يحمل النسب الطبيعيه لانسان يعيش فى مجتمع عصرى .

وفى الفصل القادم سأنقل لكم ما خطه بيده من خلال مذكراته عن عتليت التى سلمها لى ولن أتدخل الا فى القليل فهذا الفصل لا يقرا الا كما كتبه صاحبه .

عتليت قرية بجوار حيفا على شاطىء البحر الابيض المتوسط ·· واهم ما يميزها هذا المعسكر الكبير الذى بناه الانجليز أثناء احتلالهم لفلسطين فهو بذلك يشبه معسكراتنا على القناة ·· فى الاسماعيلية والسويس ·· المبانى المبنية بالخشب والاسقف المنحدرة ·· ودورات المياه الجماعية ذات الحوائط الانترنيت ·

والمعسكر قريب جدا من البحر بحيث نستطيع سماع صوت الامواج فى الليالى الهادئة ·· ويفصله عن البحر حقول الغام محاطة بالاسلاك الشائكة ·· أو قل أرض فضاء عليها يافطة بالانجليزية والعبرية تدل على وجود حقول الغـــام ··

والمعسكر مقسم من الداخل الى معسكرات فرعية كل قسم محاط أيضا بأسوار أسلاك شائكة وكل معسكر فرعى يتكون من عدة عنابر مبنية من الخشب كل عنبر يتكون من ٤ حجرات اثنتان منهما كبيرتان وهما اللتان على الطرفين والاخريان اصغر قليلا ·· ولكل حجرة باب وعدة شبابيك تفتح على شوارع فرعية مزروعة أو كانت مزروعة يوما ما ·· والارضيات مبلطة موزايكو ·· وفى مرحلة متقدمة وضعوا قضبان حديد لسد الشبابيك مع اتاحة الفرصة لفتحها ليلا ··

والمعسكر الفرعى المكون من عشر عنابر يخدمه مجموعه من الحمامات ودورات المياه المقامة بالخشب والانترنيت والمعسكر يضاء بالكهرباء ·· ومحاط بأبراج مراقبة تتبادلها الخدمات المسلحة برشاشات بلجيكية ومعلق بجوار كل برج كشاف كهربائى يدور طول الليل لكشف الطرق الرئيسية والفرعية الكثيرة التى تربط أجزاء المعسكر المختلفة ·

ولاستكمال الحراسة تسير دوريات خدمة راكبة عربات جيب مكشوفة ··· ولقد خصصت المعسكرات الفرعية لتضم الاسرى المصريين والسوريين والاردنيين ·· بشكل نوعى ·· فللجنود ٤ معسكرات والضباط الصغار

من ملازم حتى رائد لهم معسكر والضباط الكبار من مقدم حتي لـواء لهـم معسكر آخر ·· والمدنيون لهم معسكر خاص ··

ويضـم معسكر عتليت بالاضـافه لذلك عنابر للحراس الاسرائيليين ومطبخا لاعداد الطعام للاسرى وآخر للاسرائيليين ·· ومطعما لهم ومكاتب الاستجواب بعضها أنشيء على عجل من الخيش ·· كذلك يوجد بالمعسكر مستشفى ميدانية لعـلاج المرضى تحتوى على عيادة باطنية وعيادة أسنان وأجزخانة وحجرات للمرضى ·· ومعداتها عتيقة جدا ··

وللمعسكر بوابة خارجية أو أكثر من بوابة ومحاط بســور مبانى عال وأبراج حراسة كالابراج السابقة ·· ويدار هذا المعسكر الكبير بواسطة هيئة الادارة ·· القائد ومدير المخابرات والاذاعة بواسطة ميكرفونات معلقة بأنحاء المعسكر ··

والعمل جار ليـل نهـار لعمـل انشاءات جديدة وتغييرات فى المعسكر بتحسين أسوار وشق طرق جديدة ·

ويقول الاسرائيليون ·· أن الانجليز أثناء الوصاية على فلســطين منعوا اليهود من الهجرة الا فى حدود ضيقة ·· ولكن لتدفق الاعداد الكبيرة من المهاجرين اضطروا للقبض عليهم وسجنهم فى هذا المعسكر ·· ولقد اضطرت العصابات الصهيونية (وهذا تعبيرهم الحرفى) ·· فى هذا الوقت لمهاجمة هذا المعسكر أكثر من مرة وتهريب اليهود المعتقلين فيه لداخل البلاد ·· ثم تحول المعسكر بعد ذلك الى معسكر استقبال للمهاجرين بعد قيام الحكومة الاسرائيلية يمضـون فيه مدة تتراوح بين ثلاثة وخمسة أشـهر لاعدادهم للحياة فى اسرائيل عن طريق تعليمهم اللغة العبرية وأهداف قيام الدولة ·· والخطوط الرئيسية للاستراتيجية الاسرائيلية ·· ولقد استقبل هـذا المعسكر أسرى حرب ٥٦ وحرب ٦٧ واستعمل فى الفترة بين الحربين كمعسكر تدريب الشبيبه من ١٢ : ١٥ سنه أثناء الاجازات الصيفية ·· وفى أخر المـدة التى قضيناها كانوا يعدونه ليكون معسـكرا ثابتا للـواء الجـولانى الاسرائيلى أقدم لواءات جيش الدفاع ··

هذه هى عتليت وهذا هو معسكر عتليت الذى قضينا فيه حوالى الستة أشهر •• معسكر اعتقال بجوار حيفا فى حضن جبل الكرمل مزروع بعناية بالاشـــجار ومحاط بالابراج من كل جهة وفى كل مكان ••• وتقيم معنا فيه قوة اسرائيلية من الرجال والنساء •.

جلسنا فى صفوف متتالية واضعين أيدينا فوق رءوسنا بتراخ •• ننظـر حولنـا باســـتغراب •• وأســـتطلاع •• وبعـد الصـدمة الاولى استطعنا أن نميز أن الصـوت الانثوى ينادى من خـلال ميكرفون باللغـة العبرية •• ليسير العمـل فى المعسكر وبالتالى نسـتطيع أن نتصور مـدى ضـــخامته •.

نودى علينا •• ثم أعطى كل منا رقما أصبح لصيقا به بعد ذلك طول فترة الاسر • الاسير رقم ٥١٧٦٣ هذا هو رقمى ••

وابتدأوا فى العمل منذ اللحظة الاولى التى وصـــلنا فيها •• كل منا حمل لوح اردواز عليه رقمه باللغـة الانجـليزية ثم التقطـت لنـا صـور للحفظ فى ملفـاتنا ••

وانتقلنا بعـد ذلك لمـلء الاســتمارات ••
اســـمك •••• ؟؟
وحدتـــك ••• ؟؟
ســـنك •••• ؟؟
ديانتـــك ••••
متى أسرت •••• ؟؟
أيـــن •••• ؟؟

ثم انتقلنا الى مكان آخر لنسلم فيه الامانات •• وسـلمت نقودى وأخذت آيصـالا باللغة العبرية •• ثم انتقلنا الى غرفة التطهير •

نخلع ملابسنا •••• ورششنا ببودره التطهير •••
ثم انتقلنا الى غرفة الدمغ •• حيث دمغت ملابسنا بالدوكو •• مربع أصفر على كل ركبة للبنطلون • ومربع آخر على الظهر وعلى صدر السترة علامة بهذا الشكل لـــــا وكذلك على غطاء الرأس ••

وأستلم كل منا بطانيتين قديمتين توحيان بأن القمل والبق يجريان داخلهما وان لم نجدهما أبدا ٠٠ ووعاء للاكل من الالمنيوم سميناه سفرطاس ٠٠ ولا أدرى من أين جاء هذا الاسم وهل له علاقة بالاسم الحقيقى أم لا ٠٠ وملعقة ٠٠ أصبحنا الان أسرى حقيقيين ٠٠ لنا رقم ومعنا عهدة ٠٠ والتقطت لنا صور كنت أتمنى أن أراها فبالتأكيد كانت تستحق المشاهده ٠٠ وجلسنا بدون وضع الايدى فوق الرءوس فى انتظار باقى الزملاء ٠

مر علينا مجموعات من الجنود الاسرائيليين ٠٠ شباب صغير السن يحملون ادوات أكل تشبه أدواتنا ٠٠ بعضهم يحمل زجاجات غازوزة مثلجة ٠٠ برتقال وليمون ٠٠ والاخرون يقضمون فى برتقالة كبيرة ٠٠ والكل لا يهتم بنا فعندهم منا الكثيرون ٠٠

الظل مريح ٠٠ لاشك أن متاعبنا ستصبح أقل ٠٠ ان الوصف الذى سمعناه قد يحمل جزءا من لحقيقة ٠٠ الاسرة ٠٠والمياه البارده والساخنة ٠٠ والمطعم ٠٠٠ وأدوات التسلية ٠٠ معنى هذا انهم يريدوننا الا نكرههم ٠٠ محاولة للتقرب ٠٠ بل محاولة للتاثير ٠٠ لهذا شحنونا فى عربات الزلط وبهذه الطريقة اللا انسانية ٠٠ لكى نصل الى ما يريدوننا ان نفهمه ٠٠ وهو أننا نعيش فى جنة ٠٠ لا ان العربات كان المقصود بها استعراض أسراهم وخزينا وعارنا ٠٠ وقد يكون للضغط قبل الاستجواب ٠٠ وقد يكون لترك انطباع عن المصريين بأنهم مجموعة من البهائم المتخلفة لدى الشباب الاسرائيلى ٠٠ قد يكون ٠٠٠

نحن الان فى طريقنا الى المكان الخاص بنا ٠٠ خلف السور يقف مجموعة من الزملاء ٠٠ حضروا قبلنا ٠٠ نظراتهم غريبة ٠٠ خليط من الترحيب والحزن والرثاء ٠٠ حركاتهم خليط من اليأس والكسل ٠٠ لابد أننى أعرف منهم الكثيرين ٠٠ الوجوه لا أرى فيها من أعرف ٠٠ أين أقاربى ٠٠ أين أصدقائى ٠٠ لعلى واجد أحدهم هنا ٠ هنا خير من الموت ٠٠ وهل لا يوجد حل آخر ٠٠ الاسر ٠٠ أو الموت ٠٠ نسبة ضئيلة للنجاة ٠

أحدهم ينادينى ٠٠٠ زميل قديم ٠٠٠ بالحضن ٠

ـ الحمد لله على السلامة ٠٠٠

ـ أى سلامة هذه ٠٠٠

ـ برضـه هنـا أحسـن ٠٠٠

ـ كيـف الحـال ٠٠٠٠ ؟؟

ـ يعـنى ٠٠٠٠

ـ بتاكلوا كويس ٠٠٠٠

ـ يعـنى ٠٠٠٠

ـ أين تنـام ٠٠٠٠ ؟؟

ـ هنـا ٠٠٠٠

ـ على الارض ٠٠٠٠ !!

ـ نعـم ٠٠٠٠

ثم أشرت لادوات الاكل وسـألت ٠٠٠

ـ ومـا هـذا ٠٠٠٠ ؟؟

ـ هذا تملؤه ماء ٠٠ لان المـاء ينقطع طول اليوم وأثناء القفل ٠٠٠٠

مستغرب ـ قفـل ٠٠٠٠ !!

ـ بعد الساعه ٥ بيقفلوا علينا الابواب حتى الصباح ٠٠٠

ـ وهذه لتأخذ فيها الارز ٠٠٠ وهذه للخضـار ٠٠٠

ـ ألا يوجد مطعـم ٠٠٠٠ ؟؟

ـ يا سـلام ٠٠٠ سيأسرونك فى الهيلتون ان شـاء الله ٠٠٠٠

ـ ومن الذى يغسـلها ٠٠٠ ؟؟

ـ انت بالطبـع ٠٠٠

ـ والهـدوم ٠٠٠ ؟؟

ـ انت برضـه ٠٠٠

ـ هل يوجد صـابون ٠٠٠

ـ لا ٠٠٠٠٠٠

ـ دقنى طويلة عايز أحلق وعايز أستحم ٠٠٠

قال ضائقا ـ أصبر يا أخى ٠٠ ستعرف كل شىء ٠٠ ابحث عن مكان لتنام فيه اولا وبعد ذلك سنرى ٠ دخلنا حوالى عشرين ضابطا الى حجرة من الحجرات الكبيرة ٠٠ كل منا فرش لنفسه بطانية على الارض ٠ وأدار الاخرى على هيئة مخدة ٠٠ وجلسنا ينظر بعضنا لبعض ٠

الوجوه أصابها خيبة الامل ‥ أين الميز ‥ ؟ أين السراير ‥ ؟ الحمامات ‥ ؟ على كل حال أحسن من التراب … والارض …

ذهبت لدورة المياه ‥ يا للقذارة ‥ لا تطاق صفان متقابلان من الفتحات تحتها خندق وعلى المستعمل أن يجلس أمام الاخرين يؤدى حاجته ويرى الاخرين ويرونه ‥ ويسمع الاصوات ويشم الروائح ‥ منظر لا انساني …

سألت زميلى – من هؤلاء …. ؟

– أردنيون … وفى الناحية الاخرى سوريون …

– هل يمكن التكلم معهم ….

– ممكن ‥ ولكن احذر الكلام هنا ‥ معظمهم جواسيس ينقلون الكلام

– كيف عرفت …. ؟

– يقولون …

رعب فقدان الثقة ‥ ذل ‥ ملل ‥ انتظار ‥ تفكير ‥ خوف على الاهل ‥ توتر شديد هذه هى الحياة هنا …

ومن الان بهتت الاحداث ‥ أصبحت صورة مرسومه بالطريقة التأثيرية … اذا نظرت لتفصيلاتها لا تجد شيئا ‥ ولكن من على بعد تستطيع أن تحدد أشكالا … كأننا نعيش فى عالم ثابت يخالف عالم المتغيرات الخارجى ‥ ولكن ‥ هل يوجد ثبات فى هذه الحياة … ؟

لقد كانت هناك تغييرات لا نشعرها ‥ كأننا فى مركب بعرض البحر ‥ لا نرى الا الماء من كل جانب فى الخارج ‥ ولا نرى الا أنفسنا ‥ نفس الوجوه ‥ ونفس الاشكال من الداخل ‥ ويمر يوم ‥ يومان ونشعر أن المركب لا تتحرك ‥ ولكنها تتحرك فعلا وحتما سنصل الى شكل آخر ‥ متغير ‥ بعد ساعة ‥ بعد شهر ‥ بعد سنة ‥ ولكن حتما سيحدث تغيير ‥ لان الارض تدور ‥ ومع دورتها تتجدد الحياة وتتغير ‥ هل شعرت طول حياتك بأن الارض تدور ‥ أنا أشعر الان ‥ بأن الارض تدور … أشعر بأن الارض تدور ‥ وهذا أملى ‥ والا سأبقى هنا للابد ‥

جلست على بطانيتي المفروشه .. قرفصت .. رقدت ..اعتدلت .. جلست .. ربعت .. ماذا افعل .. ؟ .. هل سأبقى هكذا مهمتي النوم .. والنوم .. والنوم .. تنابلة السلطان الذين كنا نسمع عنهم فى الحكايات .. أريد أن أحلق .. أن أغسل رأسي ووجهي .. أن أستحم .. أن آكل ...

وخرجت من الحجرة الى الفناء الخارجي .. أدخل الجنود وعاءين كبيرين من البطاطس واللحم والارز .. اندفع الضباط كل يحمل فى يده أدوات أكله لاخذ نصيبه .. كل منهم يحاول أن يحصل على أكبر جزء من الطعام .. الضباط تتضارب .. تتشاتم للوصول للاكل .. الاكل يقارب على الانتهاء .. رائحة الطعام تحرك أحشائي ... أفرز كمية هائلة من اللعاب .. أبصق .. الضباط يزداد هياجهم كلما قلت الكمية ... الجنود الاسرائيليون يتجمعون خلف الاسوار يتفرجون علينا .. ضابط ذو رتبة كبيرة يصيح فى الضباط .. انتم همج .. احنا ناس متعلمين .. وعسكريون تعلمنا النظام حتى فى الاسر نقف طابور .. يوقفهم فى طابور ويقف فى أول الصف لاخذ نصيبه ... ينصرف تعود الفوضى ثانيا كما كانت .. ماذا حدث للرجال .. نحن فى غابة .. لكى تعيش لابد وأن يكون لك قدر هائل من العضلات .. والصوت القوى العالي .. والبجاحة الكافية لرد شتائم الاخرين يأقذع منها .. هل معنى ذلك أن الانسان يرتد الى طبيعة الغابة والتوحش مع أول فرصة تواتيه للتخلص من قيود المدنية المفروضة عليه .. أم هل هى طبيعة شعبنا وأن الحضارة لدينا قشرية تزول بسرعة مع أول اختبار .. هل كل شعوب العالم بهذه الطريقة يتصرفون .. لو كان هؤلاء أسرى انجليز .. أمريكان .. روس .. فرنسيين .. هل ..... ؟؟

اسئلة كثيرة صدمتني وأنا أناضل للوصول الى قدور الطعام لاخذ حبات قليلة من الارز والبطاطس وقطعة لحم .. أهدىء بها صراخ معدتي .. وضعت الادوات بجوارى بعد ما فرغت من الاكل وحاولت أن أتابع حديثا دائرا بين الرائد عادل والملازم محمد وهو ضابط من كتيبته ...

- هو مفيش أكل يا محمد ولا أيه ... ؟
- زحمة يافندم على القزان ...
- طيب م تاخد تجيب لى أكلى ...
- والله يضربونى .. يفتكروا أنى حاكل مرتين ...
- يعنى لازم أروح بنفسى .. أيه الغلب ده ...
الرائد توفيق يتدخل فى الحديث ...
- لو لقيت أكل .. الاكل خلص خلاص ...
- يعنى أيه .. تعينى مين اللى اكله ...
- فوضى شـــديدة ...

يخرج ثم يعود متحسرا هائجا .. الشعب الهمج ده .. تصور فعلا الحلل فاضية .. لا .. لازم يتنظم المعسكر ده .. اذا م كناش عارفين ننظمه اليهود ينظموه .. يرضى مين انى أفضل جعان .. ويتجمع الرواد فى حجرة من الحجرات للمناقشة .. الحجرة مزدحمة جـدا .. أصـــوات عالية حرقهـا الجوع .. فصغار الضباط بفتوتهم استطاعوا الحصـول على أكبر جزء وتركوا الكبار بدون أكل ...

المناقشـــة تزداد سـخونة ...
- أنا دفعـــة ٥٢ ...
- لكن أنا فى أول الدفعة ...
- رقم أقدميتك كام ...
- يبقى صفوت اقدم الضباط ...
- لا عبد الله الاقدم ...
- أنا ياسيدى متنازل عن اقدميتى ...
- خلاص صفوت ينظم الموضوع بتاع الاكل ...
- أنا لا اتحمل المسئولية منفردا .. يجب أن نقسمها بالتساوى ..
- ياصفوت لازم تقوم بدورك ...
- أنا مقلتش حاجة .. لكن تتحملوا المسئولية معايا .. احنـا عنا كلنا أســرى ...
- يرضيك العيال ياكلوا أكلنا ...
- نقسم المعسكر لمجمـوعات ويتولى القيـادة فى كل مجمـوعة أقدم رائد ...

ـ والتعيين ياصـــفوت ٠٠٠

ـ المشكلة مش مشكلة تعيين ٠٠ المشكلة اننـــا أمام نظر وسـمع العدو ٠٠٠ ولابد أن نظهر بمظهر مشرف ٠٠

ـ العدو اختبرنا جيدا فى الايام السابقة ويعرف من نحن ٠٠٠

ـ مش مبرر اننـــا اتأسرنا وانهـزمنا اننا نستسـلم للفوضى ٠٠ شرف بلدنا وحضـــارتنا متوقف على مظهرنا هنـــا ٠٠ لابد من السيطرة الكاملة على المعسكر لذلك أقترح أن يصبح أقدم رتبه فى كل حجرة مسئولا عن حجرته ٠٠ وأقدم رتبة فى كل بلوك مسئولا عن بلوكه ٠٠ وتقسم البلوكات الامامية بقيادة والخلفية بقيادة ٠٠

ـ ما لزوم كل هذه القيادات ٠٠٠

ـ لزومهـا اننـا نبقى بنى آدمين مش وحـوش ٠٠ بلدنا عـرفت التقسيمات الادارية من خمسة آلاف سنه ٠٠٠

ـ والتعيين ياصفوت ٠٠٠

ـ أقدم ضابط فى البلوكات الامامية يعاونه طقم توزيع رئيس شئون ادارية وضباط للتوزيع ٠٠ رئيس الشئون الادارية يستلم تعيين البلوكات والضباط توزعه تحت اشرافه ٠٠

ـ طيب موافقين ٠٠ الرائد يحيى يصـــبح مســئولا عن البلوكات الخلفية ٠٠

ـ والرائد فريد يصبح رئيس الشئون الادارية للبلوكات الامامية ٠٠٠

ـ وأنا شـايف ان الفوضى التى نعيش فيها نتيجة لقلة الوعى ٠٠ ومن رأيى اننا نعمـل ضابطا للتوجيه المعنوى والرائد ثروت أقدر الموجودين فهو ٠٠٠

ـ موافقون ٠٠٠ موافقون ٠٠٠

وانفض الاجتماع بعد ما تكونت الاسـس التى سـتحكم المعســكر وتديره ٠٠ هذا الشكل أكثر تمدنا ٠٠ والا أصبحنا وحوشا نتصـــارع ٠٠ ولكن ترى هل ستنجح هيئة الادارة الجديدة ٠٠

الساعة الخامسة ٠٠ العشاء ٠٠ قزان به طعـــام أبيض ٠٠ الرائد فريد يستلم القزان ويستلم خيارا وطماطم وبصـــلا ٠٠ وأرغفة طـــويلة

متضخمة تشبه عيش التوست •• ضباط الشئون الادارية وأطقم التوزيع تستلم الطعام •• الضباط يتجمعون حولهم •• الرائد يحيى يصرخ •• الضباط تتشاجر معه •• يدورون على الحجرات •• الضباط تتجمع عند كل حجرة •• تتدافع •• تتصايح لم ينسوا درس الغذاء •• العشاء ملعقتين من الطعام الابيض وخياره أو طماطماية أو بصلاية •• ورغيف عيش للاكل على ثلاث وجبات •••

الطعام الابيض له طعم الجبن •• أو اللبن الرايب •• أو اللبن الزبادى •• نتناقش طويلا حول ما هو •• الرائد توفيق يقول انه شربة جبنة •• الرائد عادل يخطف طمطماية كبيرة •• لقد كان الرائد الذى اختطف علبة السجائر فى العربة •• وجوه كثيرة أراها لاول مرة •• احاول أن أحفظ أسماءهم •••

الجنود الاسرائيليون يدخلون المعسكر •• يصفقون بأيديهم •• يحملون رشاشاتهم مصوبة نحونا •• آن وقت القفل الضباط يدخلون حجراتهم •• الجنود الاسرائيليون يتممون على الضباط بالحجرات •• يقفلون الابواب من الخارج بالاقفال •• التعليمات أن تبقى الاضاءه طول الليل بالحجرات •• لا تطفىء الانوار •• الليل يحل •• الشيخ محمد الذى شرب بوله يقوم ليصلى •• أحاديث ثنائية أسمع منها خرم •• أبو عجيلة •• اللواء العاشر •• اللواء المدرع •• العقيد •• العميد •• الرائد •• الطيران •• الحرب •• اليهود •• القتل •• العطش •• الموت •• الاسر •• أصوات فى الحجرة المجاوره •• الله •• الله •• الله •• الله •• حلقة ذكر •• أدعية •

- ما هذا هل ستقاوم اليهود بالذكر ••
- ابتسامات خفيفة لا تصل الى ضحكات •• نتثاءب - اريد أن أنام •
- لكن قائد الكتيبة ورئيس العمليات راحوا فين ••• ؟
- هربوا زى الباقين •••
- ولا الضابط اللى أخذ العربية وجرى •••
- ربنا ينتقم منهم ••• فهم السبب •••

ويمر الليل بطيئا نتقيأ فيه ما حدث لنـــا فى ســـيناء ٠٠ وكيف أسرونا ٠٠ وكيف نجونا من الموت وكيف خانوا ٠٠ وكيف ٠٠ وكيف ٠٠ حتى نسقط من التعب نائمين ٠٠

فى السادسة صباحا ٠٠ يفتح الحراس الابواب ٠٠ ويتممون علينا ٠٠ ثم يتركوننا لنذهب لدورات المياه ٠٠ الماء يسمح به ساعتين صباحا ٠٠ وســاعتين قبـل قفـل البوابة ٠٠ وحول الحنفيات نتجمع لنغســل أوعيتنا وملابسنا ونملأ الاوعية الخاصة بالمـاء ٠٠٠ ثم نرتب بطانياتنا ونجلس فى الحجرات لنعود الى اساطيرنا القديمة عن الحرب ٠٠

تعرفت به ملازم أول شاب ٠٠ أسمر ٠٠ طيب ٠٠ رياضى ٠٠ أسمه بيومى ٠٠ منذ تخرج من الكلية الحربية وهو يعمل باليمن ضابط استطلاع ٠٠ كان ذكيا ولماحا ٠٠ كان يقص لى قصته ٠٠ لقد أحضرونا من اليمن ٠٠ ركبنا القطار المتجه للقاهرة ٠٠٠٠ بمهماتنا وكل ما احضرناه من اليمن ٠٠ الثلاجات ٠٠ والريكوردرات ٠٠ والتوينزات ٠٠٠ وفجأة صدرت الاوامر لسائق القطار بالدوران والعودة ٠٠ ثم أتجه الى ســيناء ٠٠ فالعريش ومنها ذهبت رئاســة اللواء وكتيبة الى منطقة بجوار الحسنة اسمها خرم ٠٠

ـ مين قائد اللواء ٠٠٠ ؟

ـ العميد خيرى ٠٠٠

ـ انت كنت فى اللواء ١٢٠ ٠٠٠ ؟

ـ آه ٠٠٠ ٠٠٠

ـ انت ضابط استطلاع ٠٠٠ ؟

ـ آه ٠٠٠ ٠٠٠

ـ منذ رأيتك وأنا أحاول أن أتذكر أين رأيتك قبلا ٠٠ الم تستلم منى المطارات التى أعددتها لطائرات المشــير ٠٠

ـ آه ٠٠ آه ٠٠ فعـلا ٠٠ تذكرتك ٠٠ بعد ذلك ضربتنا الطـائرات الاسرائيليه بالنابلم ٠٠٠

ـ وكانت لنا كتيبة متأخرة ٠٠ اصطادوها عند الكيلو ١٦١ ٠٠ وهى فى طريقها لخرم ٠٠ لم ينج منها أحد ٠٠٠

ـ فعــلا ·· قالو ان خرم كانت مضروبه بالنابلم ···

ـ يوم ٦ يونيو العميد خيرى ورئيس الاركان ذهبوا لقيادة الجيش أخذوا أمر الانسحاب فأرسلوه لنا مع سائق عربة الاستطلاع لنخبر الوحدات ·· وكلفنى قائد الاستطلاع بتبليغ الكتائب ·· ضللت الطريق ولم أستطع العودة فأول مرة أدخل سيناء ·· وأخيرا ·· قبضوا علينا بدون مقاومة ·· ولا طلقة ··· !

ـ نفس القصة ·· العميد خيرى فعــلا لم يكن مقتنعا منذ البداية بما يحدث ··

زهقت من حديث الحرب والهرب والانسحاب ·· ومع ذلك لم أستطع أن أتخلص من سماع القصص صباحا ومساء ·· كان لابد أن نتكلم ·· كان لابد وأن نشتكى ··

أنا قائد سرية مدفعية مضادة للدبابات فى اللواء ١١٨ ·· كان علينا حماية المثلث عند الكيلو ١٦١ ·· أنا سريتى ممتازة ·· كانت السرية الاولى فى الفرقة ·· فى كل الاختبارات كنت أحسن قائد سرية مدفعية مضـــادة للدبابات ·· كنت تدخل مكتبى نفسك تتفتح ·· داهنه زيت وفارشــه بأرضيات خشب بتاعة العساكر ·· كانوا زيادة فى العهدة ·· ومجلد المكتب بورق ضرب نار ·· كنت ضـــابطا ممتازا ·· والله ·· لكن الجيش ·· غريبة ·· تصور قالوا انسحبوا الى مكسر الفناجيل ·· أرض كلها رمـل وغرز العربيات غرزت ···زقيت المدافع بأيدى ·· ونصـــبنا المدافع ·· مواتير العربيات فوتت عربيات خفيفة بتشد المدفع بصــــعوبة ·· فى الغرز لازم تفـوت ·· المهـم ·· الجنـــود فى الخـط الاول انســـحبوا ·· من أبو عجيلة ·· غرقانين دم ·· مفيش فايدة ·· الخطوط تنهار بسرعة ·· جنودى روحهم المعنوية انهـارت ·· وفى وسـط الهيصة دى ·· قالوا لا ·· ارجعوا تانى ·· أزاى نرجع ·· السرية انفرطت ·· لم أسـتطع السيطرة عليها ·· نصف المدافع فى الغرز ···والجنود فقدت حماسها ·· والقيادات فقدت سيطرتها علينا ··· سهرنا طول الليــــل نســـمع الضرب والطلقات الكاشفة ·· قائد كتيبة المشــاة الذى كنا نعـاونه مشى · الناس كلهـا انسحبت بأوامر ·· بدون أوامر ·· لا أعرف ·· لم أجد فى مركز القيـــادة قائدا واحدا ·· رجعت ·· حرقت أوراقى ·· ولكن نسيت شـــانون كان

به مذكرات فرقة قادة السرايا •• ومذكرات طبعتها مدرسة المشـــاه •• ومذكرات فرقه المساحة •• كانت ممتازة كنت مجلدها •• ومهتم بهـا •• نسيتها فى الشانون ••

سألته ــ انت قائد سرية مدفعية مضادة للدبابات •• فى ايدك أقوى سلاح لضرب الدبابات التى أرعبتنا كلنا •• المفروض الاتخاف منها •• ما الذى أخافك •• لمـــاذا لم تمت فوق مدفعك •• لمـــاذا لم تنتظر حتى تستعمل مدفعك •• على الاقل كنت ستضرب دبابة •• اثنين •• ثلاثة •• أى حاجة يشعرون اننا بنقاوم •• هذا شـغلك •• حياتك •• ليه •• ؟؟

وايه يعنى دبابة •• وايه يعـنى لمـا نقـاوم ما كـان سـيحدث أنى سأموت أنا وطقمى بعد أول طلقة •• حتى دون أن نصيب •• فى المدفعية شىء اسمه تصحيح •• بنضرب أول قذيفة •• وبعد ذلك نصحح عليها •• المفروض أن نعمل فى وسـط مجمـــوعة تحمينا •• تضرب معانا •• المدفع له لهب قوى جدا يكشف موقعه من أول طلقة •• ونضرب بعد ذلك •• واذا كان القادة هربوا هل سأكون أكثر منهم حماسا •• كلهم هربوا •• كفاية الويل الذى وجدناه طول الطريق •••

مشيت •• أخذت معى زمزمية وزجاجة كولونيا •• وعلب فول •• وغيارين فى شنطة •• الطريق أعرفه جيدا •• أذا استمريت فى السير سأصل الى الاسماعيلية •• مشينا انا وآخرون •• حوالى عشرين كيلو •• الدبابات ضربت كلها •• أوغرزت •• الورشة كانت محروقة •• قلنا نستريح قليلا فيها •• دخل اليهود بعرباتهم ضربوا المعسكر كله أسرونا •• بينهم بنات زى القمر •• منهن واحده قربت منى وسألتنى انت من الظاهر طلع عليه أولع سيجاره من سجايره •• نمنا على الارض •• العربات تدور وتتجه نحونا بسرعة من بعيد ••وتفرمل عندنا •• قبلنا ببوصات •• كنت بتكلم أنجليزى زى البلبل البنت أحضرت لى كوبا من الليمونادة المثلجة •• استجوبونى •• قلت أنى ملازم جديد لا أعرف شيئا •• ضربنى بعصاية فيها مسـامير •• عندهم خريطة لسيناء بالكامل مكتوب عليها بالعبرى •• كانت أياما سوداء ••

أنا كنت فى لواء مدفعية •• بين خرم والمطله •• كنا مجموعة اللواء ياقوت ••• أقدم الاسرى • معانا هنا •• كنا ثلاثة لواءات مدفعية ولواءين

مشـاة احتياط ·· كان واجبنا مصيدة للدبابات اليهودية ·· كنا فى مكان لا يعرف عنه شيئا ·· لم نر الحرب يوم ٥ ، ٦ يونيو ·· وكأننا لواءات لجيش أخر ·· يوم ٧ يونيو اتصلت بنا القيادة من وهران الســاعة ٤ ظهراً ، وهران ·· القيادة سقطت صباح يوم ٧ يونيو الساعة ١١ على وجه التحديد

ـ انتظـر حتى تعـرف باقى الحكـاية ·· الو ·· ياقوت ·· هـل تستطيع الانسـحاب الى الحسنه ·· قلنا ·· نسـتطيع ···

بعد نصف ســاعه ··· الو ·· الوياقوت طريق تمادة مؤمن انسحب عليه ·· اللواء ياقوت الحقيقة عمـل انسحاب تكتيكى كما هو موجود فى الكتب ·· بعد آخر ضوء ··· لواءات المشــاة أولا ·· وبعدها لواءات المدفعية ·· والاضاءة مقيدة ·· وخرجنا من حفرنا ·· وانطلقنا فى الطريق لتمادة ·· وبالقرب من تمادة ·· وجدنا سدا ترابيا ·· وباعث ضـوء ·· ورشــاش متوسـط ومدفع هاون ·· عندما اقترب القول من السد ·· تسلطت علينـا اضـواء البورجتكور ·· يخلقنا فى دور من الفوضى العجيبة ·· الهـاون والرشـاش ابتدأ فى الضرب والناس لم يستطع أى قائد أن يسيطر عليهم ·· دلهم ضغطوا على السد · وابتدأو يضربون بعضهم بعضـا ·· وانتهت تماما السـيطرة على اللواءات الاحتيــاط ··

قائد اللواء مسكين ·· كان واقفا فوق عربته الجيب ينادى ويصرخ ·· ولكن لا مجيب ·· تداخلت اللواءات بعضها داخل بعض ·· وأخيرا ·· فك أحدهم مدفع وعمره وأطلقه فى اتجاه البروجكتور ·· طلقتين ·· أحضرنا بعد ذلك بلدوزر ·· فتح ثغرة فى الســد وتحركنا ثانيا على الطريق ·· لكن فى فوضى غريبة ·· بعد حوالى ماثة أو مائتين من الامتار وجدنا ســدا أخـر ·· ونفس الطقم ·· وهذه المرة كانت كافية لينفرط عقد خمسة لواءات ـ كان من المفروض أن تكون مصيدة دبابات ·· وفى داخل الصحراء المحيطة بطريق تماده وعلى الجانبيين ·· انطلق كل منا يبحث عن طريق للعودة ·· وفى اليوم التالى كانوا يجمعوننا مثل السمان المنهك بعد رحلة طويلة ·· ويسقط فى أول شبكة مفرودة على الشــاطىء ··

ـ مش معقول الناس دى كانت فهمانا بالشكل ده ····

ـ ولاد ·· عرفوا انهم لو هاجمونا فى خنادقنـا ·· كنا كبدناهم

خسائر شـديدة • كانوا خسروا •• فكروا يدمروننا بأيدينا ••
هذه هى الحرب الحديثة ••• بالطبع لا يوجد مبرر لاقول ان الاشارة التى ارسلتها القيادة فى الحقيقة ارسلتها القيادة الاسرائيليه من مركز قيادتنا وعلى أجهزة اشـارتنا بعد ما انسحبت القيادة وتركت الاجهزة والخرائط •• والشـفرة •

ـ منتصرون •• يبتكرون ويخططون •• وينفذون بجراءة •• كنت قائدا لسرية مهندسى اللواء العاشر مشـاة •• وهو لواء مستقر منذ مـدة طويلة فى القسيمة •• يوم ٤ قرروا تغيير مواقعنا وتكثيف حقول الالغـام لذلك أخذت ٥ عربات لصرف الغـام من العريش وفرصـة اكلمهم فى البيت من السنترال •• صرفت الالغام ونمت الليلة فى النادى •• صباحا كلمتهم من سنترال العريش وفى الطريق للقسيمة هاجمنا الطيران •• ققزت خـارج العربة وبعد ذلك بدقائق أنفجرت عربة تلو الاخرى •• قنابل ذرية •• تخيل عربة محملة بالالغام وتنفجر •• ضللت الطريق فى الصحراء •• حتى ورمت قدماى من المشى •• وكدت أموت من العطش •• التقطتنى دورية اسرائيلية قلت لهم أشرب •• قالوا أمش لن نسقيك •••• قلت لهم لازم أشرب •• خذونى معكم أو أسقونى •• وتشبثت بهم •• حتى أخذونى ••

انت كنت ستموت من العطش •• أنا كنت سأموت من الشرب •• كنت قائدا لنقطة مياه قرب عين الجديرات بالقسـيمة كل الناس بتشـرب من عندى •• حتى يوم انسحبوا جميعا ولم يخبرونى أنهم ينسحبون •• تتولش رمية • فى الزنقة يعرفوننى وفى المصلحة يتركوننى المهم دخلت المدرعات الاسرائيلية القسيمة •• وقبضوا على •• سألنى قائد المدرعات فين التنكات •• أنا فاكر تنكات المـاء •• أشرت له عليها •• قال لى لا التنكـات •• وأخيرا فهمت أنه يقصد المدرعات عندما أخذنى لاحدها وأشار لى عليها •• ثم قال أين التنكات الخاصة بكم •• قلت له •• لا أعرف أنسحبوا وتركونى •• أخذنى لفناطيس المياه تخيل أنهـا مسممة •• وأجـبرنى على الشرب من كل فنطاس وكميات كبيرة حتى كدت أن أموت من كثرة الشرب •••

أما نحن فقد كنا فى ابو عجيلة •• كنت قائد الورشة فى نهـاية أبو عجيلة ••• وأبو عجيلة محصنة جدا •• ولا يمكن اختراقها من المواجهـة أبدا •• طلب القائد تدعيم لواء مدرع •• وأجابت القيادة أنه قادم لنا لواء ••واتفقنا أن اشـارة التعارف هى أن يدخل مضيئا أنواره •••

- ودخل مضيئا أنواره حتى وصل الى الورشة فأطلق المدفعية ٠٠ فلقد التقطت القوات الاسرائيلية الاشارة ودفعت لواءا مدرعا مضيئا أنواره استقبلناه بالاحضان ورد علينا بالنيران ٠٠٠٠

وهكذا مضت الايام الاولى من الاسر كل منا يتكلم عن مأساته ٠٠ متصورا أنها المأساة الوحيدة ٠٠ ولا يمل من سردها أبدا ٠٠ حتى حفظنا جميعا كل القصص ٠٠٠ حتى التصرفات الصغيرة منها ٠٠و كنا نجد لذة في الرواية ولذة في السماع ونسهر حتى أوقات متأخرة من الليل نعذب أنفسنا ٠٠ بين الاهات والزفرات الحارة الحزينة ٠٠٠٠ واصبحنا نكملها عندما يسردها صاحبها ٠٠ ثم ساد بيننا صمت مفاجىء عن رواية اساطير الحرب٠٠

خلال الاسبوع الاول لم تحدث أحداث هامة عدا تنظيم الادارة للمعسكر واعتيادنا على النظام الجديد سوى بيان المخابرات الاول ٠٠ وهذا البيان له قصة ٠٠٠

في نهاية الاسبوع الاول وحوالى السابعة ارتفعت أصوات الميكرفونات على غير العاده ليتكلم المذيع باللغة العربية في صوت ضخم قائلا « أيها الضباط والجنود بالجيش المصرى اليكم هذا البيان ٠٠ » ثم صوت الرئيس عبد الناصر ٠٠ يقول « لقد فقدنا أكثر من ثمانين في المائه من معدات الجيش وانه لم يكن موجودا من يدافع عن قناة السويس » ٠٠ ثم صوت المذيع ينعى الجيش المصرى ويرجع ذلك الى شخصية الرئيس العدوانية النزقة ٠٠ ثم نسمع صوت عبد الناصر قائلا « أنا المسئول عن كل ما حدث » ٠٠ ويتركنا البيان معلقين ٠٠ لا نعرف ماذا يحدث في بلدنا ٠٠ هل حقا عبد الناصر الذى قال هذا الكلام ٠٠ هل هذه مسرحية متقنة ٠٠ هل معنى ذلك أن الجيش قد تدمر ٠٠ وأن اليهود قادرون فعلا على الوصول الى القاهرة ٠٠ وتذكرنا ما كانت الاذاعه الاسرائيلية تذيعه في بداية الحرب كانوا يوجهون نداء يقول « أيها الجندى المصرى نحن لا نريد بك أذى ٠٠ عندما تشاهد جنود جيش الدفاع الاسرائيلي الق سلاحك وارقد مادا يديك أمامك وجنود جيش الدفاع لديهم الاوامر بأن لا يصيبوك بضرر ٠٠ وستقضى فصل صيف ممتع على ضفاف البحر المتوسط في ضيافتنا) نداء يحمل قدرا هائلا من الصفاقة لمن يستمع اليه في بداية الحرب ٠٠ ولا يترك الا ابتسامة خفيفة اذا كنت مؤدبا ٠٠٠ ولكنه يصبح شيئا يمكن التفكير فيه بعد الاسر ٠٠

ودارت المناقشات بعد انتهاء البيان ‥ معنى ذلك أننا هزمنا فعلا ‥ هذا اعتراف صريح من عبد الناصر ‥ وكأننا فوجئنا بالهزيمة ‥ وكأننا لم نعش المأساه ‥ ‥ كان عندنا أمل ‥ أى أمل ‥ وانتهى ‥ لكن هل عبد الناصر هو المسئول الوحيد عما حدث بالتأكيد هو شريك ‥ ولكن النظام بالكامل مسئول ‥ الجيش ‥ والاعلام ‥‥ ومجلس الامة الذى حل نفسه فى وقت الشدة ‥ والاتحاد الاشتراكى الذى لا وجود له ‥ ونحن ايضا ‥ مسئولون ‥‥.

رد آخر ـ يابنى دول مجانين ‥ أصيبوا بجنون العظمة ‥ وطغوا وفسدوا هذه هى النتيجة ‥ شمس بدران ده ‥ كان ‥ الاها ‥ كان متحكما تماما فى كل شىء ‥ النظام كله يجب أن يتغير ‥ يجب أن نعود لديننا ‥ ولتعاليمه ‥ ولأخلاقه ‥ فين عبد الناصر ‥ من سيدنا عمر ‥ سيدنا عمر ‥ كان عنده جلابية واحدة ‥ كان بينام تحت الشجرة ونعله تحت رأسه ‥ « عدلت فأمنت فسلمت فنمت يا عمر » ‥

- يا أخى هو ده وقت مواعظ ‥ المهم أيه الحل ‥‥ ؟!
- الحل تناموا وتتركونا ننام ‥ يا ناس ياهوه الواحد لا يستطيع أن ينام ساعتين ‥

وبعد هذا البيان بأيام قليلة أذيع البيان الثانى ‥ وكان حديثا مسجلا بين الرئيس عبد الناصر والملك حسين ‥ بالتليفون اللاسلكى ‥

- الانجليز والامريكان هم اللى ساعدوهم والا الامريكان بس ‥
- الانجليز والامريكان ‥
- على كل حال ‥ شد حيل جلالتك ‥ احنا مبسوطين من الموقف المشرف لجلالتك ‥ وهى الحرب كده ‥ خسارة ومكسب ‥ ثم ‥‥ ‥‥ (كلام غير مفهوم) ‥
- جلالتك تصدر بيانا واحنا نصدر بيانا وحنقول للسوريين كمان يصدرون بيانا علشان نحمى الموضوع ‥

ثم يتلوه المذيع معلقا على هذه المحادثة ‥ بأن الانجليز والامريكان لم يحاربوا معهم وأن الحرب كانت بواسطة جيش الدفاع الاسرائيلى ‥ ونتيجتها ‥ نتيجه لقوة تدريبه وعظمة قيادته ‥ وأن موضوع التدخل الخارجى ما هو الا محاولة للتخلص من الازمة .

ودارت المناقشات واحتدمت فلقد كنا كمن يعيش فى سرداب مظلم من العالم ... عجيب أمر انسان هذا العصر .. ان تعوده على أن يستيقظ كل يوم فيقرأ أخبارا جديدة عن العالم .. أو يفتح الراديو فيعرف ما يدور بأقصى الارض أمر جديد عليه حضاريا ... ومع ذلك فانقطاع الجريدة أو نشرة الاخبار تشعرنا بأننا نعيش فى سرداب مظلم مقطوع عن العالم .. كيف كان يعيش البشر قبل وسائل الاعلام ياترى ..

لذلك جددت هذه البيانات أوجاعنا .. وأجبرتنا على التفكير وكثرت المنازعات والمناقشات ...

- ليس هذا صوت عبد الناصر ...
- لا .. صوته وأنا سمعته من قبل فى الراديو .. نفس المكالمة ...
- يريدوننا .. أن نفهم أنهم انتصروا منفردين ...
- هذا حقيقى .. هل رأيت طيارة انجليزية أو امريكية ...
- نحن بين أيدى أعداء تذكروا ذلك ...
- عايز عبد الناصر يكرر مسرحية ٥٦ ويخرج منتصرا ويحول الهزيمة والانسحاب لنصر .
- هل فقدنا الثقة تماما فى بلدنا ..

هكذا كانت حياتنا .. فى الاسابيع الاولى .. وكلما هدأنا قليلا حركتنا المخابرات الاسرائيلية ..

فى يوم .. صحونا لنجد فى لوحة الاعلانات فى مدخل المعسكر صورة زنكوغرافية لجريدة الاهرام .. وفيها مقال لمحمد حسنين هيكل من سلسلة مقالاته « بصراحه » يقول فيه أن الجيش الاسرائيلى كان يحارب بطرق علمية اكسبته النصر وهى طرق عالية معروفة فى الحرب من حشد ومناورة وتثبيت وتطويق .. وأن القيادات المصرية أصابها الذعر والارتباك فلم تستطع الصمود ....

وبعد ذلك بأيام قليله وضعوا مقال لاحمد بهاء الدين فى المصور .. عن ضرورة قيام دولة عصرية فى مصر .. وأن السبب فى الهزيمة أننا لم نكن تأخذ أمورنا بمقاييس الدولة العصرية .. وانه مستحيل أن يؤمن عامل بالاشتراكية التى يتحدث عنها رئيس مجلس الاداره ذو العربه وجهاز التكييف

والملابس المستوردة ·· وأنه لكى يؤمن الشعب بضرورة شد الحزام لابد وأن يرى شد الحزام هذا عمليا على قيادات العمل السياسى والمهنى ··

وكانت هذه المقالات أيضا ·· تولد مناقشات حادة جدا ·· فلم نكن نتصور أنه وفى نهاية حرب كهذه يستطيع كاتب مهما كان أن يقول ما يقولانه ·· البعض قال أنها نسخ مزوره ويدلل على أنه بعد الانفصال طبعت سوريا صورة مزورة من جريدة الاخبار تحمل خبر حدوث انقلاب فى مصر ·· ووفاة عبد الناصر والمشير ·· مما حدا بجلال مريدى أن يضعف ويسب الحكم وفساده فى التليفزيون السورى ·

ويرد أخرون ·· بل هو أسلوب هيكل فعلا وأسلوب بهاء الدين وهذه ليست بكذبة ·.·

- ممكن تقليد الاسلوب ···
- الكلام معقول ···
- وهل معقول أن يكتب فى مصر ···
- من أدراك ما يحدث الان فى مصر ···
- لقد تأثرت بدعاية العدو ·· وفقدتم روحكم المعنوية ···
- وانت مغلق الفكر ولا تريد أن تفهم ···
- سنعود فى يوم ما ·· ونعرف الحقيقة ····
- سنتقابل ····· !!

وكان النقاش لا ينتهى ·· حلقات مناقشة متتالية ·· لكل منا وجهة نظر ·· وقدرة على التحليل والفهم والعناد ···

وفى الايام الاخيرة من الاسابيع الاولى ·· احضروا لنا كتابا كتبه مندوبو وكالات الانباء يحكى قصة النصر العسكرى الاسرائيلى ·· حوالى عشر نسخ ·· وتركوها فى غرفة القيادة ·· ذهبت لاستعير نسخة ·· فرفض الرائد صفوت اقدم الضباط ·.· وأحالنى للرائد ثروت الذى حاول أن يفهمنى بأنها كتب مسممة لافكارنا ·· ثرت ثورة شديدة ·· قائلا ·· لماذا تنصب من نفسك وصيا على فكرى ·· لماذا تتخيل أن قدرتك على الفهم تفوق قدرتى ·· أرجوك اعطنى كتابا ··

ـ هل تتحمل مسئوليته فى مصر ٠٠٠

ـ أتحملها ٠٠ هات الكتاب ٠٠٠

وقرأته ـ كان يقص قصة الحرب ٠٠ والمعارك المختلفة ٠٠ مبالغا فيها ٠٠ ومحاولا ـ فى نفس الوقت أن يدعى بأن الجيش الاسرائيلى خاض معركة حقيقية وأنه لولا كفاءته التى لا تدانى ٠٠ لما حقق النصر ٠٠

وكنت دائما ما أقول ٠٠ حقا أنه حقق نصرا يفوق أقصى تصورات اللواء مرد خاى قائد الطيران جنونا ٠٠ ولكن السبب لاننا أيضا فقنا أقصى التصورات جنونا فى الفوضى وعدم التخطيط والارتجال والغرور ٠٠٠ أن الانتصار الاسرائيلى فى حقيقته هزيمة عربية ٠٠٠ فقط ٠٠٠

تشبعنا فى الايام الاولى ٠٠ حتى كدنا ننفجر يأسا وحزنا ٠٠٠ لا حديث سوى حديث المعركة ولا تصور الا تصورها ٠٠ ولا شىء سوى ماذا حدث لنا ٠٠ حتى يوم ٦٧/٦/٢٣ ٠٠ حدث تغيير خطير ٠٠ فأجهزتنا العصبية لم تعد تحتمل التوتر التى ما لا نهاية ٠٠ ولذلك فاقد حدث الضد ٠٠ سهرنا طول الليل نحكى نكتا ونضحك ٠٠٠ ونضحك ٠٠ ونضحك بأصوات عالية كاننا فى حفل سمر ٠٠ محاولين لا شعوريا أن ننسى مأساتنا ٠٠ وكانت هذه الليلة ٠٠ وبصورة متفاوتة فى الحجرات المختلفة انتشرت موجات الضحك واللامبالاة ٠٠ وابتدأنا نلاحظ الصوت الانثوى الذى ينادى فى الميكروفون ٠٠ وأصبح مثيرا جدا ٠٠ ومثيرا لخيالات لا نهائية ٠٠ وابتدأنا نلاحظ مرور المجندات الاسرائيليات فى الشارع الامامى فى طريقهن للمطعم والعكس ٠٠ البنت السمينة ٠٠ والبنت الطويلة ٠٠ والبنت أم شعر أصفر ٠٠ والتى تحرك مؤخرتها ٠٠ والتى ٠٠ الخ ٠٠٠

واصبحنا نطالب باذاعة رتفيهية ولو لساعات ٠٠ نريد موسيقى ٠٠ أغانى ٠٠ وهنا كانت المخابرات الاسرائيلية قد أتمت فترة الانضاج ٠٠ ووصلت فعلا الى اللحظة التى تستطيع فيها أن تقابلنا وجها لوجه ٠٠ بل لقد أمدونا بصابون وأمواس حلاقة ٠٠ حقا لكل ثمانية عشر ضابطا موسى وقطعة صابون صغيرة ٠٠ ولكنه تطور يربطنا باسانيتنا بشكل أو آخر ٠٠٠

حلقت ذقنى ٠٠ لاول مرة ٠٠ حلقهـا لى زميل اذ لم نجـد مرايا للحلاقة ٠٠٠ وأخذت حماما باردا وغسلت أوفرولى ثم لبسته ٠٠ وشعرت أن حالتى النفسية أصبحت رائعة ٠٠ فاليوم لاول مرة اشعر بانسانيتى ٠٠ وسمعت نداء ٠٠ ٥٧٦٣ ٠٠ هـذا رقمى ٠٠

ـ أفنـدم ٠٠

ـ مطـلوب للاستجواب ٠٠

وذهبت لاجلس أمام أول مستجوب ٠٠ ماذا سيحدث ياترى ٠٠٠ ؟

الموقف يخالف تماما لما تخيـلته ٠٠ أدوات التعذيب ٠٠ والمعذبون الغلاظ ذوو العضلات المفتولة ٠٠ لا وجود لهم ٠٠ وحل محلهم رجل بسيط رفيق ملامحه عادية تشبه ملامح أى فلسطينى طيب ومهذب ٠٠

كان ضابطا فى الجيش الاسرائيلى ويرتدى ملابس نقيب ذى الثلاث عصابات الصغيرة على الكتافة ٠٠٠ هذه هى اللحظة التى حاولت تخيلهـا كثيرا منذ أن قبضوا على لاول مرة ٠٠٠ جاء ميعـاد اختبارى ٠٠ اجمـع شجاعتك يافتى ٠٠ للم نفسـك ٠٠٠ فلتفرض احترامك عليه ٠٠ لست أقل منه فى شىء ٠٠

نظر الى باندهاش ٠٠ وقال :

ـ أنت مصرى ؟ ٠٠

ـ نعـم ٠٠

ـ لا ٠٠٠ ملامحك تدل على انك لست مصريا ٠٠٠

ـ لماذا ٠٠٠ ؟

ـ لا أعرف ٠٠ ولكن عندى احساس بأنك لست مصريا ٠٠٠

كان من الممكن أن تغضبنى هذه الاسئلة ٠٠ لولا أننى تعودت عليها ٠٠ فكثيرون يقولون لى مثل هذا الكلام ٠٠

ـ مصرى ٠٠ أبا ٠٠ وأما ٠٠ وجدودا ٠٠

قلتها وأنا ابتسم لماذا ياترى بدأ حديثه بهذه البداية الغريبة ٠٠ قـد يكون لاننى أول مصرى يقابله وذقنه محلوقة وملابسه نظيفة ٠٠ وحالته النفسية مرتفعة ٠٠ مجـرد مصـادفة ٠٠ وقد يكـون لان ملامحى أقرب للشاميين ٠٠ وقد يكون ٠٠

ـ اسمك ٠٠ وحدتك ٠٠ تاريخ ميلادك ٠٠٠
أسئلة عادية تماما ومسموح لنا بالرد عليها مفصلا ٠٠٠
ـ ما رأيك فى الحرب ٠٠٠ ؟؟
ـ شيء سيء جداً ٠٠ أن يقتل انسـان ٠٠ انسانا أخر ٠٠ أو أن يهدم انسـان أعمال وعرق اناس آخرين ٠٠٠
ـ ولماذا تحارب ٠٠٠ ؟؟
ـ لانكم اجبرتمونا على الحـرب ٠٠٠
ـ لقد ابتدأتم الحرب باغلاق مضيق تيران ٠٠٠
ـ الحرب أبتدات بقصف الطيران للمطارات ٠٠٠
ـ يا حبيبى مضيق تيران يشكل حيـاة أو موتا بالنسـبة لنا ٠٠ ومستحيل أن تغلقوه وتجمعوا فى سيناء الآف المقاتلين ولا نقوم باجراء وقائى ٠٠ بذلك تصبحون أنتم البادئين بالحرب ٠٠ ويؤكد ذلك سحبكم للبوليس الدولى ٠٠٠
ـ كان ذلك بسبب حشدكم لقواتكم أمام سوريا ٠٠٠
ـ والله ٠٠٠ والله ٠٠٠ لم نحشد قوات ٠٠ لقد أخذنا سفراء جميع الدول على الحدود وأطلعناهم على الوضـع وطلبنا من سـفير روسـيا ان يذهب ولكنه رفض ٠
ـ حشدتم قواتكم أمام سوريا ٠٠٠
ـ ماذا أقول أكثر مما قلت ٠٠ ستعود لبلدكم وتعرف أننا لم نحشد٠٠ بالمناسبة هل والداك أحياء ٠٠٠
ـ نعـــم ٠٠٠
ـ أوحشـــوك ٠٠٠
ـ متعودان على ذلك ٠٠ وأنا متعود على أن أعيش بعيدا لمدد طويلة ٠٠
ـ ربنا يرجعك لهم بالسلامة ٠٠٠
ـ أرجو ذلك ٠٠٠
ـ كلامى العربى كويس ٠٠٠ ؟
ـ ليس رديئا ٠٠٠
ـ تعلمته من أصدقاء فلسطينيين هنا ٠٠٠
ـ لك أصدقاء عرب ٠٠٠ ؟
ـ كثيرون ٠٠٠

وكيف يعيشون ... ؟

ـ كويس .. بنعمل لهم مدارس ومستشفيات .. ونعطيهم عملا .. ولكن أحمد سعيد وهيكل .. والكلام الكثير .. يجعلهم باستمرار غير راضين ..

ـ أحمد سعيد وهيكل فقط .. وأرضهم ومنازلهم .. وحياتهم ...

ـ من بقى منهم تركنا له أرضه .. وتركنا له وظيفته وعائلته .. ولكن الذى ترك ارضه أخذناها لتعميرها ...

ـ ولماذا ترك أرضه .. لانه خاف على حياته منكم ...

ـ والله فكرتك مش مضبوطة بالنسبة لهذا الموضوع .. فى سنة ٤٧ احنا خرجنا بعربات معلق عليها ميكروفونات .. وكانت تنادى لا تغادروا أماكنكم ... لن نؤذيكم .. لكن زعماءهم قالوا لهم أسبوع أو أكثر وتدخل الجيوش العربية وينتهى الموقف ولذلك تركوا الارض على أمل الرجوع فوق مدرعات الجيوش العربية .. ما ذنبنا فى هذا (لم أكن أعرف تفاصيل هذا الموضوع جيدا ولذلك فلم أستطع الرد وحاولت أن أتخلص من المأزق فسألته) .

ـ انت متزوج ... ؟

ـ نعم ... وزوجتى فنانه ...

ـ أى نوع من الفن ... ؟

ـ رسامة ...

ـ بترسم كلاسيك .. أم مودرن ... ؟

ـ مودرن ... انت بتحب الرسم .. تعرف ترسم ... ؟

ـ أفهم ... وأتذوق ...

ـ بتحب السيرياليزم ... ؟

ـ ولماذا السيرياليزم بالذات .. أفضل التكعيبية والتأثيرية .. والتعبيرية ..

ـ انت بتفهم كويس فى الرسم .. احنا عندنا مدارس ورسامين كبار ...

ـ ونحن أيضا ...

ـ انتم بلدكم فنونها قديمة .. من خمسة آلاف سنة .. أما الان فهى متخلفة ..

ـ معلوماتك غير صحيحة تماما •• فلدينا كليات فنون ومعــاهد موسيقى وباليه ومسرح وسينما وأساتذة لهم معارض •• وينالون جوائز كثيرة فى المعارض العالمية تصوير •• ونحت •• وعمارة ••

ـ قد يكون هذا صحيحا ••• ولكن الموسيقى ضعيفة •••

ـ لماذا ••• لدينا موسـيقى كلاســيك •• وموســيقى حديثة •• واوركســترا سيموفونى

بدهشــه ـ هل تعرف الموسيقى الكلاسيك ••• ؟

ـ بالتأكيد •••

باختبار ـ من من المؤلفين تحب ••• ؟

ـ تشيكوفسكى ••• ريمسكى كورسكوف •• بتهوفن •• موتسارت•• خاتشاتوريان •• باخ •••

ـ هل تسمع لباخ ••• ؟

ـ نعم •• سبستيان باخ •••

ـ شىء غريب ••• الم اقــل لك انك لست مصريا •• المصرى يحب أم كلثوم •• وعبد المطلب ••

ـ وما الغريب •• نحن شــعب له حضارة عمرها أكثر من خمسة آلاف سنه •• من عندنا نشأت الحضارة ••• نحن الذين علمنا العالم •• ومرتان •• فى البداية وفى العصر الاسلامى •••

وابتدأت نظراته تتغير •• لم تعد نظرات الدهشــة •• ولم تعد نظرة تواضع من انسان متقدم لاخر متخلف من شعب متخلف •• وســعدت لهذا التغيير فلقد فرضت عليه احترامى نجحت فى تحـويله من مســتجوب الى متعجب •• وخطرت لى فكرة لماذا لا أبعــده عن الهــدف الذى أحضرنى من أجله ••• وفى نفس الوقت أقنعه باننا لسنا شعبا متخلفا لاننا هزمنــا أعجبتنى هذه الفكرة •• وحاولت أدارة الحديث كلما حــاول أن يفرعه الى الناحية العسكرية الى حديث آخـر •• عن الفلســفة •• والعــلوم •• والفنون •• والاجتماع •• والسياسة والتاريخ •• والحضارة •• أفــرع عديدة متنوعة كانت تزيد نظرات الاحترام الممزوجة بالدهشة كلما تكلمت عن سارتر ••• وهيجل •• وبرتراند رسل •• وفرويد •• وداروون •• حتى حضر من ينبئه بانتهاء الوقت •• وتركنى ولم يأخذ المعــلومات •• التى يريدها •• وخرجت لاحاسب نفسى •• ما الذى فعلته •• هل هــذا وتت

استعراض معلومات ·· هل ما فعلته كان صوابا ·· ؟ أم خطأ ·· ؟ لماذا تصرفت بهذه الطريقة · اعزاز وطنى ·· محاولة للتغلب على الشعور بالنقص عن طريق الاستعراض ··· فخ نصبه بمهارة رجل المخابرات ليتعرف من أنا ·· قد يكون ·· ولكننى تعلمت درسا ·· وهو ألا أخاف المستجوب ·· هو رجل ·· وأنا رجل ·· ولا فارق ···

وفى هذه الفترة تغيرت الحياة فى المعسكر تماما ·· فلقد ردم الاسرائيليون دورة المياه المفتوحة والتى أستعملناها فى بداية حضورنا للمعسكر ·· وفتحوا دورة المياه الاساسية ·· وهى دورات تشبه اى دورة فى معسكر مصرى ·· ولكنها قذرة جدا ·· وسمحوا لنا بأذاعة ترفيهيه صباحا لمدة ساعتين ·· ومساء قبل أغلاق العنابر ·· وكانت أول أغنية نستمع اليها فى أسرنا ·· أغنية لمحمد عبد المطلب ·· وأنا مالى ·· وأنا مالى ·· عمر الايام م حتحلالى طول م أنت بعيد عنى يا غالى ·· وصحنا جميعا كأننا متفقون ·· أولاد الكلب ···

ثم أغانى لام كلثوم ·· فات الميعاد ·· وبقينا بعاد ··

متصبرنيش ··· م خلاص ··· أنا فاض بيه ومليت ··

وأغانى لشاديه ·· سلامات ··· سلامات يا غايب عنى ···

كلها أغانى تزيد الحنين الى الوطن ·· وتزيد التساؤلات ·· متى سنعود ··· لتكون شرخا فى أعصابنا ·· وتزيد توترنا ···

وفى بعض الاحيان كانوا يذيعون بعض الموسيقى الراقصة قبل فترة الغذاء ··· والمجندات الاسرائيليات ذاهبات الى المطعم ·· يرقصن وهن ما شيات ·· (تاكيلا ·· ورقصات أخرى ··)

وزادت الدعوات للاستجواب ·· وامدوا مكتبة المعسكر بكتب أخرى تتحدث عن النصر العسكرى الإسرائيلى ثم مجلة نيوزويك الامريكية ·· وهى تحكى قصة الانتصار ·· مصورة موشى ديان ·· فى المقال الرئيسى وعنوانه « الرجل الذى حول القطط الى سباع » ··· والمقصود بالقطط

هم جنود الجيش الاسرائيلى الاحتياط فى الاغلب ‥ وهى اشارة الى انهم مسالمون ‥ ولكن فى وقت المعركة يتحولون الى سباع تحت قيادة السبع الاكبـــر ‥

كذلك وفى هذه الايام احضروا لنا كروت صغيرة لنكتب عليها مالا يزيد عن عشرين كلمه لاهالينا ‥ وكان خطـــابى الاول ‥ « مازلت أعيش على ظهر الارض » ‥ وفى هذه الفترة أيضا ‥ احضروا لنا مجـــلات جنسية امريكية كلها صور جنسية عارية ‥

وهكذا خففوا الضغوط قليلا ‥ فأصبح فى استطاعتنا اغلاق النـــور فى المســاء دون تهديدات ‥ ولم نعد نستمع الى الطلقات الليلية للحراس ‥٠ وصاحب ذلك تطور فى الطريقة التى نعيش بها ‥ انتهى حديث الحرب ‥ أو قل الى حد كبير ‥ وابتدأنا فى الحديث عن وســـيلة للترفيه وقضـــاء الوقت ‥ وتحولت الاحاديث تدريجيا الى الحـــديث عن الســـينما ‥ والجنس ‥٠ والنكت الجنسية ‥ والمغامرات العاطفية ٠ والاغانى الخليعة كل يحاول أن يعوض النقص الذى أصابه بالمبالغة فى مغامراته ‥ بالاضافة لمـــا دار فى الاستجوابات ٠ ثم ابتدأنا فى عمل كتاشين من علب السجائر ‥ وشطرنج من لبابة العيش ‥٠

فى الاستجواب الثانى ‥ طبقت ما تعلمته من الاستجواب الاول ‥ الملابس النظيفة ‥ وحــلاقة الذقن ‥ والابتســـامه الواثقة ‥ واستقبلنى فى هذه المره لجنة ‥ ضابط ومترجم ومتفرج ‥ وأوراق كثيرة ‥ استجواب عسكرى هذه المرة ‥٠

ــ ماذا كنت تعمل ‥٠ ؟

ــ ضـــــابطا ‥٠

ــ أى كتيبه ‥٠ ؟

ــ كتيبة مهندسيين ‥

ــ معلوماتك الهندسية ‥

سؤال مباشر بماذا أرد ‥ لا أستطيع اللف أو الدوران حوله ‥٠

ــ انا ‥ انا دخلت الجيش منذ مدة قريبه ‥٠

ــ ماذا تعـــرف ‥٠ ؟

ــ أعرف كل شىء ‥ ولكننى لا أتقن شيئا ‥ معرفة سريعة ‥٠

ـ أنت رائد .. معنى ذلك أنك مسئول ... ؟
ـ المهندسون يصبحون روادا سريعا ...
ـ مدة عملـــك ... ؟
ـ ســـنه ...
ـ وفى خلال هذه السنة تصبح رائدا ... ؟ !
ـ أضافوالى مدة خدمتى السابقة فى وظيفة مدنية ...
ـ ما نوع تخصصك ... ؟
ـ معمـــارى ...
ـ بتبنى عمارات فى الجيش ... ؟
ـ مبانى صغيرة .. بوابة .. مخزن .. سلاخليك .. سجن ..
ـ وأين كنت تعمل وانت مدنى ... ؟
ـ فى سيناء .. نفذت كل المبانى الموجودة هنـــاك .. فى العريش ورفـح والشيخ زويد وبير العبد .. المدرسة الابتدائى هناك .. ومدرسة الصنايع فى العريش .. قطع حديثى بصراحة ...
ـ ما معلوماتك عن رص حقول الالغام ... ؟
ـ مش فاهم ... !!! محاولا أن اعطى نفسى فرصة للتفكير ...
ـ كيف ترص حقل الغام بواسطة الافراد .. بواسطة معدات ... ؟
ـ بواسطة الافراد ...
ـ وما الطريقة ... ؟
ـ عـــادى ...
ـ أزاى بتسجلها ... ؟
ـ فى الســـجل ...
ـ أيه اللى بتكتبه ... ؟
ـ أملأ الخانات الموجودة ...
ـ مش عيب عليك تبقى رائد طويل وعريض وتكذب ...
ـ كيـــف ... ؟

وفتح درج مكتبه وأخرج مذكرات الفرقة الاساسية وكتاب الالغام .. وقـــال :

ـ هذا هو المستوى الذى تدرسه ‥ وهذا هو كتابكم ‥ لمـــاذا تكذب ‥ ؟

أخذتنى المفاجأة بصورة لم أتوقعها ‥ ولكننى اسـتجمعت نفسى سريعا وضحكت قائلا ‥

ـ فى الحقيقة ‥ اللى بيرص الالغام كتائب متخصصة ‥ أما أنا فلم ارصها أبدا ‥

ـ كيف تعمل طريق ‥‥ ؟

ـ بالجريدر ‥ والبلدوزر ‥‥

ـ وعندما تكون مفككة ‥‥ ؟

ـ نضـــع طـوب وزلـــط ‥‥

ـ ألا توجد طـرق أخرى ‥‥ ؟

ـ توجد طرق كثيرة ‥ تعرفهـــا كتائب الطرق ‥‥

ـ وماذا تعـرف أنت ‥‥ ؟

ـ أعـرف كل شـــىء ‥‥

ـ ماذا كنت تعمل ‥ فى الجيش ‥‥ ؟

ـ لم أعمل أكثر من سنة ‥‥

ـ فى هذه السنة ماذا عملت ‥‥ ؟

ـ كنت فى الكلية الحربية ثلاثة شـــهور ‥ والباقى فى المدرسة ‥‥

ـ التى فى الحلمية ‥‥ ؟

ـ نعم ‥ أخذت فيها الموجود فى هذه الكراســة ‥ ووصلت كتيبتى منــذ شــــهرين فقـــط

ـ ماذا عمـلت هنـــاك ‥‥ ؟

ـ بنيت بوابة ‥ وميز للضباط ‥‥

ـ العمـل العسكرى ‥‥

ـ مفـــيش ‥‥

وهكذا درنا فى دائرة مفرغة ‥ ننتهى من حيث بدأنا ‥ وكان يتخلل الحديث أسئلة عن حالتى النفسية وأهلى ‥ وهل تريد أن تراهم (بلهجة تهديدية) كأنما يقول لى أننى لن أراهم الا اذا تكلمت ‥ ومع أننى فهمت ماذا تعنى هذه اللهجـــة ‥ ومع علمى أيضـــا بأن تفاصـيل عملى مكتوبة فى الدفاتر والكتاب اللذين أمامه ‥ الا أننى لم أستطع أن أنطقها لعـدو بلسانى ‥ بنفسى ‥ تطوعا ‥ حتى بدون ضغط ‥ حقا هو يعـرفهـا

جيدا •• ولكن من يعلم لماذا يسألنى هذه الاسئلة •• وطغى هذا السؤال على قشرة عقلى ••• فسألته ••

– أمامك الكتاب والمذكرات •• وتستطيع أن تعرف منها الاجابات الصحيحة ••• على كل سؤال تفصيليا •• فلماذا تسألنى •• ؟

فوجىء بالسؤال وتردد قليلا ثم قال :

– مجرد اجراء روتينى لأتأكد من انك مهندس ••

شىء غريب لا يمكن أن يكون اجراء روتينيا •• المقصود شىء أخر •• لا أعلمه •• اكتشفته بعد ذلك عندما داومت على التفكير •• وبعد عدة ظواهر أخرى ربطتها بعضها ببعض أهمها أنهم يبحثون عن المهندسين الذين رصوا حقول الالغام •• ليساعدوهم فى أزالتها •• وهنا فهمت لماذا يصرون على حقول الالغام •• ويعود لها بعد عدة اسئلة •• لقد نجوت ان الاصرار على مصلحة الوطن الفطرية ما هو الا أصرار على المصلحة الشخصية ضمنيا ••• لو أننى اعتبرت الكتاب والمذكرة ببساطة سببا لان اتكلم لأصبحت مثل الفتاة التى يعتدى عليها غصبا بواسطة مجنون او سكران فتتحول الى بائعة هوى •• ألم تغتصب •• ؟ •• ما الداعى للشرف الان •• الم تقع فى أيديهم الكتب والمذكرات ما الداعى للسكوت الان •• ولكننى لو فعلت ذلك لكان جزائى يتناسب مع مقدار قصر نظرى •• لكان جزائى أن أقف الايام الطوال•• أساعد العدو على التخلص من الالغام التى نصبتها له •• لكان جزائى الاستنكار من نفسى ومن مجتمعى وقومى •• وازدرائهم لى •• ا.م لبائعة الهوى التى أعتدى عليها يوما غصبا بواسطة مجنون ••

ومنذ هذا الاستجواب ومع انتهائه •• انتهى تماما سؤالى عن المعلومات العسكرية ولا اعرف السبب •• بل الاعجب أن كل المستجوبين بعد ذلك كانوا يعاملونى على أننى ضابط احتياط ••

جاءنا زميل بعد الاستجواب مصفر الوجه منفعلا أنفعالا شديدا ••

– ماذا حدث ••••• ؟

– أولاد الكلب ••••

– ماذا حدث ••••• ؟

ـ ســألونى عن جهــاز لاسلكى معين فاستعبطت ٠٠ أحضروا كلبــا ضخما ووضــعوه أمامى ٠٠ أيدي الكلب فوق كتفى ٠٠ ودخلت سيدة مجندة اسرائيلية وبصقت فى وجهى ٠٠ وقالت لى ٠٠٠٠ هــل انت رجــل ٠٠٠

ـ ياه ٠٠٠٠ وبعــد ٠٠٠٠

ـ ركبنا فى عربة جيب حتى البحــر ٠٠ نزل منها جنديان وحفــروا حفرة عميقة على الشــاطىء قالوا لى دى مقبرتك ٠٠ ســندغنك هنــــا ٠٠٠

ـ مش معقــول ٠٠٠٠ !!

ـ بعد ذلك أرجعونى وقالوا ٠٠ فكر وسنتكلم ثانية السـاعة الرابعة٠٠

٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠ ٠

وهاج الزملاء ٠٠ قد يتعرض اى منا لهــذا الاستفزاز ٠٠ وذهب الرائد صفوت الى قائد المعسكر ٠٠ وقائد المستجوبين ٠٠ مقدما احتجاجا ٠٠ الم تقولوا انكم لن تضغطوا على احد فى استجواب ٠٠ ألم تقولوا انكم لســتم برابرة لتستجوبوا بهذه الطريقة ٠٠ ســنقدم احتجاجا للصــليب الاحمــر ٠٠ وكانت النتيجــة اعتذار عمــا حدث ٠٠ وانتهت القصــة ٠٠ وأن ظلت تتداول مــدة طــويلة ٠٠

زميل اخر جاءنا يضرب كفا بكف ٠٠ هل تتخيلون ٠٠ قلت لهم اننى رئيس عمليات كتيبه فقالوا لى لا أسمك كذا ٠٠ ووظيفتك كذا ٠٠ ثم أخرج ورقة من مكتبه وقال وهذه امضــاؤك ٠٠ ثم فرد خريطة رسمتها للدفــاع المضــاد للطيران فى منطقة ابو عجيــلة وقال لى ٠٠ وهــذه خريطتك ٠٠٠ أحضروا الخريطة التى رسمتها ٠٠٠

وكذلك احضروا لبعض الزملاء ٠٠ خرائط مصورة بالطائرات لمناطق أيواء القوات فى القاهرة وعلى القنال وأخذوا يضعون على الاماكن اسـماءها ٠٠ وخاصة مصانع وقواعد الصواريخ المضادة للطائرات ٠٠٠

اصبحت لحياتنا ما يشبه الشكل المستقر حتى بداية شــهر يوليو ٠٠ اغانى وبعض الموسيقى ٠٠ ثم استجد فى نهاية المــدة نشرة الاخبار فى تمام الثانية عشر من صوت اسرائيل أو الاذاعة الاسرائيلية الناطقة باللغة العربية

أو ما يشبه ذلك .. وسمحوا لنا بخطاب كل شهر وكارت كل خمسة عشر يوما .. وأغرقوا المعسكر بجليدتين يوميتين .. احداهما باللغة الانجليزية وتسمى الجورزلمبوست وهى جريدة ناطقة بإسم الحكومة الاسرائيلية .. وأخرى باللغة العربية وأسمها جريدة « اليوم » وهى تصدر للمناطق المحتلة

والجورزيلم بوست جريدة غير مبتذلة بالمقارنة بجريدة اليوم .. وان كانت موجهة ومعبرة عن وجهة النظر الاسرائيلية فى جميع القضايا .. وتصادف مرور خمسين عاما على مؤتمر بازل ونبوءة هرتزل بقيام دولة اليهود فى فلسطين بعد خمسين عاما .. ولذلك أصدرت الجريدة ملحقا خاصا عن نشأة اسرائيل .. ومنها عرفنا بقرارات مجلس الامن والسفير يارنج والانواط التى منحت للجنود والضباط الاسرائيلين ومعظمها نتيجة للعمل الباسل الذى قاموا به لانقاذ جريح أو احضار جثة زميل اثناء القتال ...

أما جريدة اليوم فهى جريدة ، مبتذلة وحقيرة جدا .. لا تتورع عن حكم فى مصر خصوصا وتشويش الحياة فى الدول العربية عامة .. ونقد (لاشتراكية اللبن المخلوط بالماء فى مصر) والتشكيك فى احتمال قدرة الجيش المصرى على استعادة كفاءته القتالية فى المدى القريب وحددت بناء على رأى قائد عسكرى امريكي بأن أقل مدة لذلك هى أربع سنوات .. وكان من النادر أن تمسك عددا ولا تجد فيه سبا مباشرا لعبد الناصر ...

وهذه الجريدة رفضتها العناصر الواعية بالمعسكر وقبلتها بعض العناصر المهزوزة التى كان يحلو لها قراءتها واستعذاب آلام الاهانة ...

واستقر نظام الحكم المحلى للمعسكر واصبح لهيئة القيادة حجرة كبيرة يسكنها حوالى خمسة ضباط يخص كل منهم مكان أكبر .. وأصبحوا يتمتعون ببعض الامتيازات الصغيرة فى هذه الظروف جعلتهم متميزين عنا .. فهم لا ينظفون حجرتهم أو يغسلون أدوات أكلهم .. أو ملابسهم .. بل يقوم بها بعض الجنود المصريين المخصصين لخدمتهم وكميات اكلهم اكبر كثيرا .. ولكنها حياتنا ومجتمعنا .. نقلناها معنا الى الاسر ...

وتحولت أحاديث الضباط كما قلت بعيدا عن الحرب .. وزادت التحرشات ... والمشاجرات الشباب لأتفه الاسبابيين الضباط ..

وانتشرت النكات التى تروج لها المخابرات الاسرائيلية ٠٠ مثلا قولوا لعين الشمس ما تحماش ٠٠ لحسن دا جيشنا المصرى راجع ماشى ٠٠٠

كذلك حدث تغيير هام ٠٠ وهو عودة الاسرى الاردنيين ٠٠ والسوريين ٠٠ ولم يبق بالمعسكر سوانا ٠٠ أسرى ٠٠٠

والان فلنحاول أن نتصور سويا ٠٠ يوما من ايامنا فى المعسكر ٠٠ فى الحجره رقم ١٠ ٠٠ حيث ينام ستة عشر ضابطا ما بين رائد وملازم حديث التخرج ٠٠٠

الساعه السابعه صباحا :

احدهم يستيقظ ويضحك بصوت عال ٠٠ ثم يصمت فجأة ٠٠ ويزغد الضابط المجاور له ٠٠ قائلا ٠٠

ـ انظر اليسوا أمواتا ٠٠ احنا خلاص متنا ياسادة ٠٠

آخر ـ اصطبح وقول يا صبح ٠٠ من الصبح وانت تنعق كده ٠٠

آخر ـ هو الواحد ميقدرش ينام ساعة ٠٠٠٠

آخر ـ قوم ياسى زفت أغسل الاوانى النهارده دورك فى الغسيل والفطار زمانه جاى ٠٠

آخر ـ علشان خاطرى اغسلهم بدلا منى ٠٠ انا تعبان وقرفان ٠٠٠

آخر ـ هو انت الوحيد الذى لك أهل ٠٠ م كلنا متجوزين ولنا أولاد ونسوان وأباء وامهات ٠٠٠٠

ـ أنا متصور أن الصليب الاحمر الذى أخذ خطاباتنا مزور ٠٠ ولم يرسلوا الخطابات

ـ السوريون والأردنيون مشيوا ٠٠ ليه احنا فاضلين ٠٠٠

ـ البنى آدم فى مصر لا ثمن له ٠٠ ولا قيمة ٠٠

ـ لو أن بيننا ابن وزير والا اخو واحد كبير كان زماننا فى مصر ٠٠٠

ـ حتى دى عايزه وسايط ٠٠٠٠ ؟

ـ سلفنى صابونتك اغسل وشى ٠٠٠

جنديان يحملان قزانا كبيرا ومعهما ضابط يقفون على باب الحجرة ٠٠

ـ الفطار يا حضرات كل واحد ياخد أكله ٠٠٠

ـ أين كوزى ٠٠ عايز أخذ شاى ٠٠٠ انتم متغاظين من كوزى لانكم لا تملكون مثله ٠٠٠

ـ بطـل بقى ·· كوزك مرمى وراء جزمتك ···
ـ ارمى الدبش بتاعك ··· يا فتاح يا عليم ··
ـ لا ·· العيشـة معـاكم متنفعش أنا حاشـوف نـاس غـيركم ··
ـ قوم يا عاطف ··· عشـان تاكل ···
ـ سيبه ده سـهران طول الليل بيولع سـيجارة من سـيجارة ···
ـ هى دى سجاير دى ·· قش ملفوف فى ورق ····
ـ فينك ياكيلوباترا ···
ـ احنا ياجماعة لازم نشغل وقتنا بحاجة مش معقول كده حتموت من الملل والفراغ ·
ـ والله الواحد منكم لويؤدى تعليمات دينه عمره ما حيلاقى فراغ ·· صل واقرأ القرآن وستجد السكينة ···
ـ من أين نحضر القـرآن ··· ؟
ـ سـأطلبه من المستجوب عندما أذهب له ···
ـ قل لى يا سيدى انت بتروح كتير هناك ليه ··· ؟
ـ ناس بتحبنى ·· أنت مالك ·· على الأقل بشرب سيجارة نظيفة وكازوزه مثلجة وشـاى فى كباية ···
ـ تعال أعلمك البوكر ···
ـ انت متصور ان الكوتشينه بتاعتك دى كوتشينه ···
ـ مش أحسـن من مفيش ···
ـ تعال نتمشى فى الخارج ···
ـ تعال نزور الدكاتره ·· فى حجـرتهم ···
ـ أنت يا واد انت قد أولادى ·· انت نسيت أنى قائد كتيبتك ··· ؟
ـ يا عم لما نروح لمصر ابقى حاكمنى ·· هنا كلنا أسرى ···
ـ عيب يا محمد ده القائد بتاعك برضه ···
ـ والنبى تسكت يا فندم ·· أصلك متعرفهوش ·· أنا عارفه كويس
ـ ··· يخرب بيتك كل ده علشان طمطمايه ياولد ···
ـ آه كل مرة ياخد الطمطمايه الكبيرة ·· ويسيب الصغيرة لى ··
ـ طمطماية أيه ياولد ·· الطمطماية دى ملهاش قيمة ·· شوف الواد الدنى ··
ـ فى مصر عندك الفدادين والعمارات والفلوس فى البنك ·· لكن هنا الطمطماية هى العمارات والفلوس ·· خلى فدادينك تنفعك ···

ـ برضه الأصل غالب •• من يوم ما دخل الحربية أولاد الشحاتين وهى كده • على أيامنا كنت تحب تتفرج على أيام الجمعة والزيارات •• أحسن العربيات • وبوفيهات التورتات والجاتوهات •• وأميرات مصر وجميلاتها •• وفرقة مزيكة باللبس الرسمى •• ناس اعينهم مليانة •• مش أولاد الشحاتين اللى بيتكلموا عن طمطماية •• روح النهارده شوف الكلية الحربية •• تلاقى البوابين والسمكرية هم الزوار •• لدرجة أن أى افندى محترم يتكسف يزور قريبه •••

ـ يا عم بطلوا سرح بقه عايز تفهمنا انك ابن باشا •• انت دخلت الحربيه سنه ٥٣ •

ـ آه لكن أخويا دخل ٤٩ •• ومادام أخويا قبل ٤٩ كنت حتقبل انا كمان لو كان الوضع زى ما هوه •••

ـ ياريت والله كان أحسن ••

ـ هس •• هس •• كان زمانك النهارده خالى شغل ••

ـ مش أحسن من الرمية المهببه دى ••

ـ أن شاء الله حيعوضوك كويس بعد ما ترجع •••

ـ الاسرى فى ٥٦ أخذوا مرتباتهم بالكامل وشهرين مكافأه •• وهدايا وحفلات وتعويضات ••••

ـ لكننا فى ٥٦ كنا منتصرين مش زى الخيبة السودة دى •••

ـ يا عم انتصار أيه ونيلة أيه •• انت بتصدق يعنى لو كان الانجليز والفرنسيين عايزين يموتونا واحد •• واحد •• كنا حنقدر عليهم••

ـ انتم لسه عمالين تتكلموا •• أنا استحميت وانتم عمالين تتخانقوا

ـ استحميت فين ••• ؟

ـ على الحنفيه •••

ـ قدام الناس كده •••• ؟

ـ اذا كنت بقضى حاجتى قدام الناس •• حيغلب علينا أن نستحمى أمامهم •• ولا فى النظافة لا ••• فاضل الواحد يحلق •• وأحط الكولونيا التمام ••• والبودرة •• واسرح شعرى •• وتلبس الجلابية الدبلان بتاعة أخوك شلبى •• يا سيد متحلمش •• أحنا هنا كوم زبالة ••• دى مزبلة •• عايش فيها خنازير ••

ـ يا جماعة •• يا جماعة •• الواحد يعنى ميعرفش ينام •••

ـ قوم يا معلم الساعة بقيت الحادية عشرة ٠٠٠
ـ قوم بينا نسمع الاخبار !!!
ـ خليك أنت علشان تأخذ لنا الاكل ٠٠ غسلت مكان الفطور ٠٠٠ ؟
ـ الميه انقطعت قبل م الحق !!!
ـ يا أخى حتفضل كسلان كده لامتى ٠٠ مش قادر حتى تخدم نفسك
ـ أصله ابن بهوات ٠٠ كان عنده ثلاث مراسلات فى المكتب يا سيدى
ـ نصف السرية كانت مراسلاته ٠٠٠
ـ هو حد وصلنا لعتليت الا اللى زيه ٠٠٠

الساعه الثانية ظهرا :

ـ الضباط يخرجون من حجراتهم ٠٠ ويتدفقون الى واجهة المعسكر أمام السور حيث يوجد الميكروفون ليستمعوا الى نشرة الاخبار ٠٠

تعليقات مختلفه على االاخبار ٠٠ كل كلمة تفسر لاكثر من معنى ٠٠ مناقشات متوترة ٠

الغذاء ٠٠ علب الخضار المحفوظ التى أخذوها من الحرب وأرزنا أيضا أو مكرونة ٠ لا فاكهة ٠٠ اللحم فى حدود ضيقة على هيئة كفتة أو بلوبيف ٠٠ طابور الغسيل ٠٠ كل يحمل أوانيه ويقف أمام حنفيات المياه فى أنتظار دوره ٠٠٠.

الساعه الان الخامسه :

بعد ساعة ستقفل علينا الأبواب ٠٠ هذه الساعة هى الفرصة الوحيدة للتجول خارج الحجرات حيث يصبح الجو صالحا للمشى ٠٠ كل ثلاثة أفراد أو أربعة ٠٠ يسيرون معا ٠٠ اذا أقتربت منهم تستمع الى كلام متباين ٠٠ فلنقترب من هؤلاء ٠٠٠

ـ الجو جميل جدا ٠٠٠
ـ شايف الالوان فى السما ٠٠٠
ـ الحياة حلوة لكن احنا اللى جايبين القرف لانفسنا ٠٠٠
ـ لماذا لا نعيش فى سلام ٠٠ هل يجب أن نكون دولة عظمى ٠٠٠
ـ والله انا مليش فى الطور أو الطحين كنت مدنى وحتجوز جرونى ٠
ـ انا اتجوزت الشهر الماضى ٠٠ كنا فى شهر العسل ٠٠ مراتى حامل ٠٠ يا عالم ٠٠

ـ والدى كان مريضـــا ·· ترى ماذا حدث له ··· ؟

ـ تلاقيهم ولا حاسين ·· احنا بس اللى طالع عنينا ···

ولنتقرب من هؤلاء ···

ـ انت فاكر اللحن ده ·· ويصفر بفمه ···

ـ آه بالطبع « سترانجراين زى نايت » ···

ـ أعبدها الغنوه دى ····

ـ شـوف كلماتها ·· « اتنين تايهين فى الظـلام ·· يتمنيان الحب والسـعادة ·· شىء ما فى عينيك جذبنى اليك ·· شىء ما فى ابتسامتك أثارنى للغاية ·· شىء ما فى قلبى يقول أنت لى ···

ـ أسكت من فضلك لا تقطعنى ·· احنا أصـلنا فراعنه ·· شـوف الاطفـال فى الجنـاين تلاقيهم بيقطفوا الورد ·· حتى الوردة لا تسـتطيع أن تعيش فى سـلام ·· الوردة الرقيقة الحلوة ·· احنا شـعب فرعون ··

ـ والله كـلامك مضـبوط ··

ـ يا جماعة وحياة أبوكم تبطلوا السيرة دى ·· احنا حنفضل نشتم فى نفسنا كده لحد أمتى ···

ـ أصلنا نستحق الشتيمه ·· لازم النكسة دى تغسلنا من الداخل ·· لازم ننقد أنفسنا ونصلح بعض ·· ليه الطفل الصغير يقطف الوردة ·· ويضرب الطوبة فى لوح الزجاج ·· ليه ·· تعرف تقولى·؟

ـ سـمعت اللحن ده « لافام دى مون آميه » ·· زوجه صـديقى ·· أحبك ·· أعبدك ·· انت النور الذى آراه ·· انت الحيـاة ·· أكسبتنى السعادة والمحبة ولكن هناك عيب صـغير أنك زوجة صديقى »

ـ الناس دى بتجيب الكلام ده منين ·· ولا اللحن ·· علشـان كده بيغلبوا ··· مش تعاليلى يا بطـه ···

ولنقترب من مجموعه أخرى ···

ـ وقلتله ادينى بق ميه ···

ـ ·· ·· ··

ـ قاللى لا ·· ليه يابنى ·· ده أنا حموت ·· ابن الكلب يقول لى ·· م هو يا انت « تموت يا أنا اموت ·· أحنـا كده ·· شـعب مش متعاون ·· لو كان قلبنا على بعض وايدنا فى ايد بعض ·· مكنش حصـل اللى حصـل ···

- وحتروح بعيد ليه مشفتش الخناقة اللى حصلت على الأكل أول يوم.
- شـــايف الواد ده ...
- فـــين ...
- التخين ده أبو زنوبه ...
- آه ...
- بس اوعى تقول لحـد ...
- لا ...
- آه .... ده ... احنا لتاسرنا سوا . يوم ٨ يونيو .. جابوه اليهود وقعد يخطب فينا يا حضرات .. أنا ضابط مصرى زيكم .. متخفوش .. احنا خـلاص حنرجع بلدنا بعد يوم أو اثنين .. لان اليهود مفيش بينهم وبينا حاجة ... اللى كان بينهم وبين عبد الناصر .. ويسرنى أن ازف لكم الخبر الجميل ده اللى كلنـا بنتمناه .. ان عبد الناصر .. تنحى .. اســـتقال .. مشى وبالشكل ده يصبح مفيش سبب للحرب .. وحنرجع تانى لاهلنا واولادنا قريبا جدا ..
- مش معقول .. هو عبد الناصر استقال ... ؟
- آه انت متعرفش .. بس رجع تانى ...
- يا أخى اشاعة اسرائيلية .. احنا سمعناه بيخطب فى ٢٣ يوليو .. وانتم ... عملتم ايه ...
- كنا عايزين نقتله .. لكن ما باليد حيله .. اليهود بيحموه بالسلاح...
- وانت أيه رأيك ... ؟
- زى ما قلت احنا شعب ميخافش الا بعنيه .. اللى يتجـــوز أمى اقوله يا عمى .
- ولنقترب من مجموعة رابعة ....
- أنا مش قلت من زمان .. من لا دين له لا شرف له ...
- حقيقى يا أخى البلد اللى تنسى دينها لازم يحصـل لها كده ...
- قول لى يا أستاذ .. أين الدين .. أين الصــلاة .. اين الفضيلة .. هل نعيش فى بلد اســلامى ونستولى على أرض الناس وفلوسهم ومصانعهم اللى عرقوا وتعبوا فيها .. ربنا قال كده ..

ـ يا أخ والله الواحد كان بينكسف يركب الاتوبيس من الانحلال ·· دى فوضى ·· اخر زمن ···

ـ ربنا مش راضى عنا ·· ده انذار من الخالق عز وجل ···

ـ لكن م اليهود كفرة ·· لماذا ينصرهم علينا واحنا مسلمين وخير امه·

ـ مين قالك ·· مش يمكن يكونوا اقرب لله منا ·· مش اليهوية دين سماوى ·· مش يمكن يكونوا بيطبقوا تعاليم دينهم احسن منا·

ـ على رأيك ·· على الأقل ما بيسجنوش مسلم علشان بينادى بتعاليم دينه واحيائها ·

ـ انت عارف لو الاخوان فى الحرب دى ·· كانوا شيبوهم ·· الواحد من دول فى ٤٨ كان يطلع على اليهودى زى الوحش ينادى الله أكبر ·· الله اكبر ·· اليهودى يترعب بسبب سلاحه ويهرب ·· سبحانه مغير الاحوال ···

وهكذا تدور الاحاديث بين جماعتنا الصغيره كل اثنين كل ثلاثة كل أربعة ··· نصبوا انفسهم قضاة ·· وظلوا يرجمون المجتمع ثم يلصقونها بالنكسة ·· بالحرب ·· لقد هزمنا لاننا فراعنه ونمارده ·· ومتخلفين نقطع الورود ·· ولاننا لم نترك الاخوان يقتلوننا فى السينما والمسارح · ولم نتركهم ينسفون لنا الكبارى ومحطات الكهرباء !!!

وتحل ساعة الحبس ·· ويتجه كل منا الى غرفته ·· الى سجنه ·· فيؤدى حاجته أولا ·· ويملأ أوانيه بالماء ·· ويغسل وجهه ورجليه من التراب ·· وأخيرا ·· يقف الحراس اليهود يصفقون بأيديهم ·· انتهت الحرية فلندخل إلى الاقفاص ···

الاضاءة طول الليل ·· لاضوضاء ·· الشبابيك مغلقة ·· اذا مرض أحكم فلينادى على الحارس أقدم ضابط بالحجرة ····

ـ مساء الخير ·· مين أقدم الضباط ···

ـ ·· ·· ·· ··

ـ العدد كام ··· ؟

ـ ·· ·· ·· ··

ـ أحاد .. أثنين .. ثالوث .. رباع .. خمشة .. سـبـاع .. شـمونى ...

ـ تصبحوا على خـير ...

وتغلق الابواب بالترابيس .. ويوضـع عليها الاقفال من الخارج ..

الان نحن فى مواجهة انفسنا .. وعلينا أن نقضى هذا اليوم .. بيومى يقلد اليمنيين .. الشيخ محمد يصلى يؤم المصلين .. محمود والجندى وفايز ومحمد يلعبون بوكر .. عاطف وعادل يتكلمون .. حتى نسقط بالتتالى نائمين .. واحدا .. تلو الاخر .. ونضع الجردل الذى نبول فيه ليلا خلف الباب .. ويطفىء أخر المساهرين النور .. وننام ليبدأ يوم جديد ...

وتمر الايام الباقية من شهر يوليو حتى قرب نهايته وفى السبت الاخير من الشهر استدعى للاستجواب حوالى ٢٥ ضـابطا مجتمعين .. كانت الاجراءات مخالفة للاجـراءات المتبعة .. أكوام من البنطلونات الجديدين البيج بكل المقاسات .. قمصان بيضـاء ... أحذية بلاستيك ..

فسـألنا .. ما الموضـوع ... ؟ وجاءنا الـرد ...

رجل طويل يلبس الملابس المدنية .. ينادى علينا .. وكل ٥ ضباط أو اربعة أو ثلاثة يسـلمهم لاخر ... وهكذا حتى تبقى ٦ ضـباط .. أنا مهندس ـ وطبيب ـ ونائب احكام ـ ومهندس مركبات ـ ضابط أشارة ضابط مدفعية .. يوجد رابط معين يجمعنا أكيد ولكننا لا نشـعر .. ارتدينا ملابسـنا الجديدة .. واستلمنا الرجل المدنى ومعه أخـر يحمل حقيبة عرفنا بعد ذلك أن بها طبنجة .. ركبنا ميكروباس .. واتجهنا خارج المعسكر نحن فى طريقنا لزيارة أسرائيل .. أول زيارة للاسرى المصريين .. الدنيا غريبة بعد السجن الطويل .. ها نحن نرى عربات مدنية ... رجـالا ونساء وأطفالا يسرعون بعرباتهم فى اتجاه البحر .. الميكروباس يقف بعد مدة قليلة .. يلتفت لنا المرافق ويفرد خريطة لاسرائيل ...

صباح الخير .. أول موضوع نتكلم فيه هو أننى أريد أن تنسوا انكم أسرى .. انتم الان ضيوف لاسرائيل .. سياح .. بالمفهوم ده نقدر نفهم بعض ونمضى يوما جميـلا ...

وقد يكون للضغط الشديد وفرصة التخلص منه ولو ليوم سببا لاننا جميعا ابتسمنا وقررنا فعلا أن نعتبر انفسنا سياحا ..

استمر فى كلامه .. هذه خريطة اسرائيل بعد ٥ يونيو .. (سـباح ايه الله يخرب بيتك هل هـذا كلام) وكأنه اكتشف ما يدور بفكرنا .. وأضاف الا اذا حل السلام فنحن مستعدون للرجوع الى الحدود السابقة .. وهذا المكان اسمه عتليت .. (كانت المرة الأولى التى نسـمع فيها اسـم المكان) نحن بجوار حيفا .. هذا جبل الكرمل .. زيارتنا سنصـعد الى جبل الكرمل .. وسنرى حيفا من أعلى ثم سنذهب الى كيبوتز بجوار حيفا وسنزور اخواننا عربا فى الناصرة .. ثم نتناول الغذاء على شاطىء طبرية .. وانطلق الميكروباس .. العربات حولنا تحمل العائلات للبحر .. الرجال والنساء بالمـايوهات فاليوم عطلة .. بلاج حيفا .. الشـماسى الملونة .. المايوهات البكينى .. الجيلاتى .. النظارات .. حياة عـادية .. كأنه لا وجود للحرب هنا .. العربة ترتفع فى طريقهـا الى أعلى الجبـل .. السينمات .. افيشات أفلام رأيناها فى القاهرة .. السيدات البيضاوات بالشورت .. بالميكروجيب .. بالمايوه .. العربات الصغيرة تملأ الجبل .. من هنا الطريق الى الجامعة .. هذا فندق مبنى على أحدث طراز .. مبانى جديدة منشأة على مدرج الجبل .. هنا نفق للمترو يصل الى حيفا أسفل الجبل .. وفوق ربوة عالية تطل على حيفا .. توقف الميكروباس .. نطـل على حيفا من أعلى .. جميله حيفا .. البحر الابيض .. نستنشق الهواء بملء رئتينا .. فناطيس بترول .. قبة ذهبية .. يشير اليهـا المرافق هذه مقبرة زعيم البهائيين . البهائية دين يجمع بين المسيحية والاسـلام مكانه الاصلى ايران .. ثم انتقل لحيفا .. يوجـد بهائيـون فى الدول العربية .. وفى الهند ..

رجل يحتضن فتاة بجوارنا .. منظر يخدر الاعصاب .. هذه مبانى المهجرين الجدد .. كل أسرة لها منزل تمتلكه وتسدد ثمنه على أقساط .. حيفا تشبه أى ثغر لكن جميلة .. الاسكندرية أجمل .. هذه لها طابع .. والأخـرى لها طابع آخـر .. لا .. الاسـكندرية اكثر جمـالا .. وأكثر حضارة .. وهل الاسكندرية على هذه النظافة ونسـبة الخضرة .. هـذه

تمتاز بالجبل المطل على البحـــر ٠٠ حديث دار ســــرا فى غفـلة عن المرافق ركبنا الميكروباص ٠

المرافق ـ هل عندكم ما يشبه ذلك ٠٠٠ ؟

زميـــل ـ لا ٠٠٠

آخر ـ بل يوجد ٠٠ المقطم ٠٠٠

آخر ـ الاسكندرية مثل هذه وأجمل ٠٠٠

آخر ـ المعادى ومصر الجديدة على نفس المستوى من النظافة ٠٠٠

المرافق ـ الجبل كان مزروعا أشـجارا ٠٠ لكن الانجليز فى الحـــرب العالمية حرقوه لانه قريب من البحر ويسهل التخفى داخله ٠٠ بالمناسبة هـذا المبنى كان سجنا أقامة الانجليز أيام الاحتلال ٠٠ لليهود ٠٠

ـ الانجليز تركوا لكم البلد ٠٠ وكان لكم حكومة ظل تحكم بجـــوار الحاكم الانجليزى ٠٠٠

ـ أبدا كان الانجليز مستعمرين ٠٠ ولقـــد حاربناهم ٠٠ والعـــرب حاربوهم وكانوا دائما لا يفرقون بيننا ٠٠ فى يافا ٠٠ كان هنـــاك حى لليهود فى تل أبيب وحى للعرب فى يافا ٠٠ فكان الانجليز يخطفون أطفـــال العرب ليتركوهم فى الحى اليهودى ٠٠ ويخطفون اليهود ويقتلونهم فى الحى العربى ٠٠ كى يزيدوا الاحقاد والتنازع ٠٠ عبد الناصر بنفسه ذكر فى مذكراته انه تكلم مع اليهود فى الفالوجا وسألهم كيف حاربتم الانجليز ٠٠ نحن أولاد اسحاق ٠٠ وأنتم أولاد أسماعيل ٠٠٠ والاثنين أولاد ابراهيم ٠٠ وطـول عمرنا بنعيش فى سلام ٠٠ لماذا لا نعيش الان فى سلام سوف ترون أننـــا نبنى ونريد أن نبنى لكن بجوار كل مبنى وبجوار كل مصنع خندق ٠٠ لمـــاذا ؟

وصلنا الى الكيبوتزيم ٠٠ مبانى حديثة الطراز ٠٠ يستقبلنا رجـال بسـطاء جدا بترحاب ٠٠ السـيدات والفتيـات بالشـــورت والبـــلوزة والصندل ٠٠ مستوى الجمال عالى ٠٠ رجل كبير السن يستقبلنا بترحاب زائد ٠٠ انه السكرتير العام للكيبوتز حاليا ٠٠ هكذا نتعرف عليه ٠٠٠

ـ اتفضلوا فى حجرة الاجتماعات ٠٠٠

أطباق برقوق أحمر وأصفر ٠٠ تفـــاح ٠٠ كمثرى ٠٠ نلتف حـــول المـائدة ٠٠ تفضلوا انتاج مزارعنا ٠٠ يتكلم عن لنظام فى الكيبوتز ٠٠٠

استمعنا اليه واعيننا على البرقوق والتفاح والكمثرى .. فلقد طال حرماننا منها .. ولكن الكرامة البرجوازية كانت تمنعنا من ابداء هـذه الرغبة صراحة .. لذلك فقد كنا نستمع اليه فارغى الصبر .. نريد أن ينتهي لنبدأ بالالتهام ...

ـ الحياة عندنا ديموقراطية .. كل الناس تشتغل .. كل الناس تعيش نفس العيشة الادارة والقيـادة بالانتخاب .. وكل زوجين لهما منزل .. الأطفال فى منزل خاص بالاطفال تحت رعاية موحدة .. واكل موحـد .. الاطفال لا ترى أباءها الا فى العطلات وبعد الظهر ساعتين .. الشابات فى منزل .. والشـبان فى منزل .. وممكن يتزوجون .. ويكون لهم منـزل منفصل .. لكنهم عادة يتزوجون من خارج الكيبوتز .. الخدمة فى المطعم بالدور كل فرد له مصروف شخصى شهرى من ٢ : ٣ جنيهات ملابسه على الكيبوتز بالطبع .. الارباح نزيد بها المنشئات ونرفع مستوى المعيشة .. جزءا أخر نعمـل به رحلات للخارج ... الناس تتفسح .. وتتعلم أشـياء نافعـة للكيبـوتز ..

التعليم حتى المرحلة الثانوية .. وفنى حسب احتياجات الكيبوتز .. وهناك تعليم اكثر من ثانوى أيضا حسب احتياجات ومطالب الكيبوتز ..

ثم شعر بالملل الذى انتابنا .. فانهى محاضرته .. هل تريدون أن تسالوا .. شيئا .. ؟

ـ متى أنشىء هذا الكيبوتز ... ؟

ـ سنة ١٩٣٩ .. واسمه .. ضاليا .. ولقد أنشىء بواسطة الوكالة الصهيونية بعد أن أشترتها من أصحابها اليهود وجعلتها ملكا للسكان .. وكان اسمها القديم « جديرة » وانشاءتها سنة ١٨٨٤ ولكنها لم تكن كيبوتز انما أصبحت ملكيات بمفهوم الكيبوتز ١٩٣٩ .

ـ لماذا لا يعيش الاطفال مع أهلهم ... ؟

* ـ هنا كلنا نعمل .. الرجال والنساء .. والنساء حصـلن على حقوقهن المساوية للرجل .. وهن لذلك لا يستطعن أن يتفرغن لأبنائهن .. لذلك تقوم مدرسـات مدربات برعاية جميع الاطفـال ..

هامش (ان العائلة فى الكيبوتز تعتبر مجازى الى حد ما٠٠ اذ أنه لا توجد حياة عائلية بالمعنى الذى نفهمه ٠٠ ويتضح من مراجعة تاريخ الكيبوتز أن قادة حركة الكيبوتز وروادها كانوا يعتبرون الزواج مؤسسة برجوازية مهترئة أو فاسدة لا تتناسب مع حياة الكيبوتز ومثلها وللقيم الاقتصادية والاجتماعية فيها « توقعت أن تقضى حركة الكيبوتز على الزواج والعائلة بالمعنى التقليدى » (سبيرو صفحة ١١٠) ٠٠ والواقع هو أن تغيير مؤسسة الزواج وضع « الرواد » أمام مشكلة مستعصية زادتها تعقيدا زيادة عدد الرجال على النساء بنسبة ٢ : ١ ٠٠٠ وقاموا بتجارب عديدة منها تعدد الازواج ٠٠٠ وتعدد الزوجات (سبيروا صفحة ١١) ٠٠ وكسروا طوق الحياء الجنسى فاسسوا الحمامات المشتركة ولكنهم لم يلبثوا أن تخلوا عنها ٠٠ وعلى أى حال فقد اعتبروا الجنس مسألة شخصية والزواج مسألة مزاجية ٠٠ لا تحتاج الى اذن أو مراسم من قبل المجتمع سواء فى مطلعها أو نهايتها ٠٠ وحتى يومنا هذا كل ما يحتاجه الزوجان لاعلان زواجهما هو التقدم بطلب غرفة مشتركة ٠٠ والغاء ذلك الترتيب عند الافتراق ـ وبذلك فالرجل والمرأه لا يتزوجان بل يصبحان « زوجين » ٠٠ أى اثنين « ٠٠ والمرأة لا تحصل على زوج بل على شاب أو رفيق والشاب لا يحصل على زوجة بل رفيقة ٠٠ صديقة ٠٠ ولذلك فالاطفال بهذا المعنى يصبحون ابناء للكيبوتز ٠٠ يعلمهم ويربيهم على الولاء المطلق للدولة والكيبوتز وكراهية الاعداء ٠٠ فاصلا اياهم عن أبويهم ٠٠ وأمثلة ذلك واضحة فى أكثر من قصة من قصص الجيل الجديد الاسرائيلى ٠٠ وخاصة أبنة موشى ديان) ٠٠

ـ ماذا تفعلون للرجل الذى لا يريد أن يعمل ٠٠ أولا يرضى عن العمل الموكل له ٠٠٠ ؟

ـ أولا النصيحة ٠٠ ثم توجيه النظر ٠٠ ثم الطرد بعد « الاجتماع العام

هامش : ان فلسفة الكيبوتز تقوم أساسا على فلسفة ا ٠ و ٠ جوردن (١٨٥٦ ـ ١٩٢٢) صاحب فلسفة « دين العمل » ٠٠ الذى نادى بالعمل كظاهرة خلاقة وقيمة عليا ٠٠ وكان دائما ما يحض على العمل كخلاص للشعب اليهودى « ان شعبا تعود جميع أنماط الحياة عدا النمط الطبيعى ـ أى تحقيق الاكتفاء الذاتى عن طريق العمل ـ لن يصبح شعبا حيا عاملا الا اذا بذل أقصى طاقة لتحقيق هذا الهدف ٠٠

ان العمل ليس مجرد العامل الذى يحدد علاقة الانسان بالارض وحقه فيها وحسب ‥ بل هو القوة الرئيسية فى بناء حضارة قومية أيضا ان العمل هو مثل انسانى أعلى للمستقبل والمثل الاعلى يشبه الشمس الشافية ‥ اننا بحاجة الى متعصبين للعمـــل متزمتين له بأعلى معـــانى الكلمة « جوردن » ‥ وكان بن جوريون هو الذى وضع هذه الفلسفة موضـع التنفيذ واعتبرها خلاصا للشعب اليهودى حتى أنه كان يقضى شـهرا من كل سنة فى الكيبوتز يعمل فى الفلاحة ‥ وهو يقول سنة ١٩١٥ ‥ « ان عرق الجبين يصنع الوطن القومى ‥ سوف نحصل على وطننا القومى بواسطة عملنا وكدحنا ‥ ان أرض اسرائيل تصبح ملكنا عندما يكون عمالها وحراســها من صفوفنا » ‥ (المصدر بن جوريون بعث اسرائيل ومصـــيرها ») ‥ وفى موضع أخر قال ‥ « الحياة فى الكبيوتز صعبة ‥‥ وفيها الكثير من ملامح التقشف فى حياة الجندية وليس من السهل تحمل نظامها وصرامتهــا اذا لم يكن العضو فيها صهيونيا متحمسا مندفعا » ‥‥ « ان تمهيد الارض وخلق الشروط هو من عمل الطلائع ‥ طلائع العمل والعلم والبناء مسلحة بارادة قومية ووعى تبشيرى ‥‥ قادرة على أن تدمج مصـائرها الفردية فى هدف سام وعارفة كيف تطوع حيـــاتها لتحقيق أحـــلامها ‥‥ ‥‥

ـ بن جوريون ـ

من هذا نستطيع أن نفهم مدى سذاجة السؤال ‥ ومدى الاندهاش الذى أجاب به سكرتير الكيبوتز ‥ فالمفروض أن المنضم للكيبوتز طليعة متحمسة مندفعة لبناء الوطن الاسرائيلى القومى ‥‥

ـ هل هذه اشتراكية ماركســية أم اشتراكية اصـــلاحية أقــرب لأوين ‥‥ ؟

وتغــابى الرجــل ‥ فلم يرد على الســـؤال ‥ ثم قمنــا لزيارة الكيبوتز ‥ بعد ما انهينا على الاطباق الممتلئة أمامنا ‥‥

زرنا منزل عائلة :

حجرتان احداهما للنوم واخرى بها أنترية خفيف جدا ‥ مكتبة ‥ راديو ‥ ثلاجة صغيرة جدا ‥ حمام ‥ لا مطبخ ‥ لا حجرة طعام ‥ لا حجرة أطفال لا حجرة استقبال ‥ دخلنا اكثـــر من منزل ‥ كلهـــا متشابهة ‥ نظيفة تتخللها الشمس والهواء ‥‥

فى طريقنا الى عنبر الاطفال .. اشار سكرتير الكيبوتز لبعض الاكواخ الخشبية .. قائلا : هذه كانت مساكننا القديمة فى بداية انشاء الكيبوتز .. بالطبع أزلناها وأقمنا مكانها هذه المساكن .. ولكننا تركنا بعضها لنتذكر دائما ما استطعنا انجازه خلال هذه السنوات بالعمل ... ولنتطلع الى مستوى أحسن ...

عنبر الاطفـــال :

حجرات متجاورة .. بكل حجرة من ٢ الى ٤ أسرة أطفـــال .. تحت كل سرير شبشب صغير .. فوقه بيجاما .. حجرة للالعاب .. حجرة للأكل والدراســـة .. الاطفـــال كلهم فى الخارج يلعبون مع أبائهم يوم عطلة .. دورة مياه بها مباول ومراحيض صغيرة خاصة بالاطفال .. وفرش أسنان وفوط ..

فى الطريق الى المركز الثقافى ... المرافق يعلق على ما شاهدنا ..

الطفل يتربى فى بيوت الحضانة منذ أن يرى النور حتى سن الثامنة عشرة وتبدأ الخطوة الاولى بعد الولادة بأيام .. فيوضـــع الطفـل فى بيت الحضانة .. ويبقى هناك مدة سنة واحدة وتتولى الام ارضاعه بينما تتولى المربيات تربيته .. وبعد بلوغ الطفل سنته الاولى ينتقل الى الروضة حتى سن الرابعة .. وفى تلك المرحلة يسمح للابوين باصطحاب طفلهما الى البيت لقضاء بضعة ساعات معهما .. وفى سن الرابعة ينتقل الطفل الى مدرســة الاطفال وهى التى زرناها الان ... وتنتهى هذه المرحلة لدى بلوغه السابعة حيث ينتقل الى المدرسة الابتدائية التى تكون بمثابة بيت لهم أيضا حتى سن الثانية عشرة فيعيش فى منازل الشباب حيث يتعلم فى المدرسة الثانوية « أو مؤســـسة التعليم » حتى الثامنة عشرة ... حيث يلتحق بالجيش ...

وكنا قد وصلنا الى المركز الثقافى .. مارين من خـــلال مماشى مبلطة ببلاطات كبيرة ومزروعا فيما بينها يحفها من جميع الاتجاهات الاشجار ذات الازهار الملونة .. بين طوابير النساء والرجال والاطفال القادمة على الطريق يلبسون المايوهات ويحملون على أكتافهم أطفالهم .. الاطفال صحتهم جيده جدا ... الدماء تجرى فى وجوههم بشــدة . بعض الجـــــاميع تغنى .. دوأد ير .. وكلاما أخر بالعبرية ...

شاب وفتاة فى ركن تحت شجرة يتناجيان ٠٠ ولا ينظر لهما سوانا نحن الستة المصريين ٠٠ المرافق يبتسم ويقول هـذا هو سن الحب ٠٠٠

المركز الثقافى مبنى من طابقين ٠٠ ولذلك فهو أكبر المبانى الموجودة ٠٠ به مكتبة هائلة ممتـلئة بالكتب العـبرية ٠٠ بعض اغلفتهـا توحى أنهـا مترجمة ٠٠ مسرح أنيق ٠٠ أماكن للقراءة أو لسماع الموسيقى ٠٠ السيمفونية التاسعة لبيتهوفن تشدنى ٠٠ أقف لاسـتمع الى الكورال فى الحـركة الرابعة ٠٠ سكرتير الكيبوتز يعلق ٠٠ لم نكن نملك كل هذا منذ ثلاثين سنة ٠٠ ولكنه جهد عمل هذه السنين ٠٠ لم يساعدنا أحد ٠٠ بجوار المركز الثقافى حمام سباحه رائع ٠٠ حوله الارض مزروعة من كل جانب ٠٠ الشبان والشابات يجرون ٠ يلعبون بالكرات الخفيفة ٠٠ العجائز مسترخيات على كراسى بلاج يتشمسن ٠٠ يعتبن فى هدوء ٠٠ كأن الحـرب فى مكان آخـر فى المريخ مثلا ٠٠ الاطفال تجرى حولى ٠٠ أطفال ذوو شـعور صـفراء ممتلئين يكاد يخـرج من وجوههم الدم ٠٠ أربت على رأس أحـدهم ٠٠٠ فينظر الى بأستغراب ٠٠

هذه هى السعادة ٠٠ حقا ٠٠ قطعة من الجنة ٠٠ بالتأكيد هم سعداء جدا ٠٠ يعملون ٠٠ يأكلون ٠٠ يلهون ٠٠ صحتهم جيدة ٠٠

هامش (فى مجال الحديث عن الحياة الاجتماعية علينا الا ننسى أن العمل يستهلك ساعات النهار من الفجر الى الغسق ٠٠ وبعـد انتهاء ساعات العمل يتجه سكان الكيبوتز الى الحمامات ليغتسلوا ومن ثم يصرفون بعض الوقت فى رؤية أولادهم بمدارسهم ومؤسسات « التعليم الجماعى » حتى وقت العشاء ٠٠ والواقع هو أن صالة الطعام العامة هى مركز الحياة الاجتماعية فى الكيبوتز ٠٠ وذلك لاسباب « عقائدية جماعية » ولاسـباب (ظرفية تاريخية) تتعلق بظروف السكن وعـدم صـلاحية الغرف الضيقة لاستقبال الضيوف ٠٠

فى صالة الطعام العامة تجرى المناقشات وتتم اللقاءات بين جميع أفراد الكيبوتز يستمعون الى الراديو ـ قبل أن تعم الراديوهات ـ وفى بعض الاحيان يشاهدون الافلام السينمائية والحفلات الموسـيقية ولكن مع ذلك لا يزيد هذا على أكـثر من مرة فى الاسـبوع أما بقية سـهرات الاسـبوع

فيتضيئل الاعضاء باجتماعات اللجان ·· والاجتماعات العامة ومع أن أجهزة الراديو الخاصة قد كثرت فى الاونة الاخيرة واتجه أعضاء الكيبوتز نحو قضاء بعض السهرات فى مساكنهم الخاصة ·· الا أن الحياة الاجتماعية بقيت باهتة لسبب فقدان الحياة الخاصة وضعف وسائل الترفيه والتسلية وضعف ضيق الدائرة البشرية ·· ولما كان نظام الكيبوتز نظاما مغلقا فقد كثرت الثرثرة والاصطدامات الشخصية ·· ولعل العطلة السنويه تتشكل متنفسا لضغط الحياة الاجتماعية مع أن مشكلة عدم توفر النقد المخصص للرحلات تحد من امكانية قضاء بعض الوقت خارج الكيبوتز ·· وخلاصة القول فان الحياة الاجتماعية فى الكيبوتز تشكل انعكاسا للحياة شبه العسكريه التى يعيشها سكان المستعمرات الجماعية وهى متأثرة بالمقاييس التقشفية والجماعيه التى وضعها مؤسسو حركة الكيبوتز فى مطلع القرن ·· « الكيبوتز أو المزارع الجماعية فى اسرائيل » عبد الوهاب الكيالي) ·

عدنا فى طريقنا الى خارج الكيبوتز ·· مررنا بالمطعم ·· صالة واسعة أنيقة جدا ·· الاضاءة مختفية وهادئة ·· المناضد مرتبة جيدا وعليها الشوك والمعالق والسكاكين والملاحات والمسطردة ·· السرفيس ·· انسات يدفعن أمامهن عربات عليها الاكل الساخن · المطبخ نظيف جدا يعمل بالبخار لا رائحة ·· لا قاذورات ·· كأننا فى مستشفى نظيف ··

زميل ـ بالطبع كانوا يعلمون بزيارتنا مقدما ···

آخر ـ حتى لو كانوا يعلمون فالمستوى رائع ···

خرجنا من مكان الايواء ··· ودارت الاحاديث الثنائية بيننا ···

ـ المستوى رائع ·· هل تتخيل أن هؤلاء فلاحين ··· ؟

ـ فلاحين بالمشورت والمايوه والشوكة والسكينة ···

الفرق بيننا وبينهم هو الفرق بين فلاحينا وهؤلاء ···

والان الى اماكن العمل ·· الارض ·· التى قال عنها أحد قادة التكتلات العمالية الثالثة فى الارض المحتلة فى مجلة يهودية تصدر فى نيويورك « لقد تم شراء الارض التى أقيمت عليها الكيبوتزات بواسطة الهستدروت من الاقطاعيين غير المقيمين وجرى أبعاد الفلاحين العرب الذين كانوا يعملون عليها لقاء تعويضات ضئيلة أو بدون تعويضات على الاطلاق ·· وكثيرا ما تعرض الفلاح العربى وعائلته الى الاجلاء القهرى لرفضه النزوح عنها ·· وكان شبان الكيبوتز العتيد يسارعون الى طرد الفلاح العربى بالقوة

ويستعينون بالشرطة أحيانا ... كثيرا ما كانت عودة النظام تعنى اهراق دم الفلاح العربى (نيويورك سنة ١٩٦٢ صفحة ١٣) مورد كاى شتاين (الى اتحاد عمال امريكا حول الهستدروت) .

الارض .. مزروعة قطنا ـ قطن هنا ... !

ـ اجرينا تجارب حتى وصلنا الى زراعته ..

ـ الزراعة اتوماتيكية ...

ـ كيف عرفت ...؟

ـ خطوط شجيرات القطن فى خط مستقيم كأنها رصت بتيدوليت ...

ـ نعم .. عندنا الحرث ميكانيكى كذلك بذر الحبوب والجنى ..

ـ وكيف تحافظون على الخطوط المستقيمة نظيفة بدون حشائش ..

ـ نرش مواد بين الخطـــوط تمنع نمو أى مزروعات اخـــرى حتى ولو كانت قطنا ... لنعطى الفرصة لشجرة القطن بأمتصـــاص كل المواد ....؟

ـ ولكن هل كل هذا قطن ... مساحات كبيرة ...

ـ لنستطيع رشـــها بالطائرات ...

ـ وكيف تروونها ... ؟

ـ بواسطة المواسير والرش ... لان المياه عندنا قليلة لابد ان نستفيد من كل نقطة منها للزراعة .. توصلنا الى قطن مستواه جيد وان كان قطنكم لا ينـــافس .

وقفت انظر الى حقول الممتدة الى مدى الرؤية .. وفجأة تخيلت أن القطن قد تحـــول الى قطن احمـــر .. انة مصـــبوغ بدماء القتلى المدفونين فى هـــذه الارض ...

اتجهنا الى مكان تربية الحيوانات .. ابقار فريزيان ... الحـــلب اتوماتيكى ثم يعبا فى عربات ثلاجات .. الفراخ ... البيض .. مصنع علب خضار .. الخيل .. جراج الجرارات والعربات . وانتهت الزيارة .. ركبنا الميكروباس مغادرين الكيبوتز فى اتجاه اكمال رحلتنا ...

ـ مستوى حضـــارى عالى ...

ـ هل رأيت مديرية التحرير ٠٠ لا تقل عن ذلك ٠٠٠
ـ كل العالم أصبح فى هذا المستوى ٠٠ عدا ريفنا المتخلف ٠٠٠
ـ هل رأيت البنت المرتدية شورت أحمر ٠٠ ذات الشعر الاصفر ٠٠ كالقمر ٠٠٠
ـ أولاد الكلب ٠٠ فى منتهى الجمال ٠٠٠

الطريق الى الناصرة ٠٠ جميل ٠٠ هكذا تخيلت الطريق وأنا مغمض العينين فى رحلة الوصول لعتليت ٠٠ الطريق العريض فى منتصفه جزيرة مزروعة على جانبيه بيارات البرتقال ٠٠٠

ـ هل كل هذه كيبوتزات ٠٠٠ ؟؟

ـ كيبوتز ٠٠ فى اللغة العبرية تعنى جماعة ٠٠ مؤنثها (كفوتزا) ٠٠ ونستعملها للتقليل أى جماعة صغيرة ٠٠ والان تعنى هذه الكلمة جماعة من الناس يعيشون ويعملون سويا فى مزرعة جماعية والكيبوتزات عندنا متفاوتة بعضها يضم ٣٠ نسمة والاخرى ١٥٠٠ أما الكفوتزا فهى مستعمرة يقل عدد ساكنها عن ٣٠ نسمه ٠٠ والكيبوتز ليس الشكل الوحيد للزراعة عندنا ٠٠ فبجوار الكيبوتز والكفوتزا يوجد الموشاحيم وهى قرية تعاونية يمتلك الارض فيها أصحابها ولكنهم يعيشون بتسويق جماعى وعمل جماعى وعندنا قرى ذات ملكية خاصة ومدارس زراعية بالاضافة للقرى العربية ٠٠ عندنا حوالى ٨٣٨ قرية زراعية منها ٥٩٢ قرية جماعية من هذه الـ ٥٩٢ حوالى ٢٢٨ كيبوتز يسكنها حوالى ٨٨ ألف من حوالى نصف مليون ٠٠ ولهذا فليست كل الاراضى التى نمر عليها كيبوتزات ٠٠٠

ـ وهل العرب يعيشون أيضا فى كيبوتزات ٠٠٠ ؟

ـ لا فطبيعتهم ترفض الحياة الجماعية كل منهم يريد قطعة أرض خاصة به ٠٠٠

هامش :

(يسكن الكيبوتز خليط من اليهود الذين جاءوا من أوربا الشرقية والذين تلقوا التوجيهو التدريب على حياة الكيبوتز قبل مجيئهم الى فلسطين ٠٠ ومن يهود أوروبا الوسطى والغربية (أثر الاضطهاد النازى) ومن الصابرا أى أبناء المهاجرين المولودين فى فلسطين من أعضاء حركة الكيبوتز فى المدن ٠٠ والجدير بالذكر فى هذا الصدد هو أن تيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية وقائدها الرئيسى كان قد شدد فى مذكراته على أهمية طرد الفلاحين العرب من أراضيهم واستنبط لهذه الغاية وسائل متعددة ولعل

الكيبوتز كانت فى هـذا الصدد وسيلة مثالية لاستقدام أعـداد كبيرة من المهاجرين واستيعابهم وربطهم بالارض الفلسطينية والتنظيمات العسـكرية والعمالية الصهيونية ربطا محكما واجلاء العرب عن أرض فلسـطين لذلك لم يسـمح اطلاقا لأى عربى بالحيـاة فى كيبوتز ... وبالتالى لم يسـمح للعرب بأقامة كيبوتزات خاصة بهم لانها بذلك تفقد سببها واهميتها العسكرية .. وتربط العرب بأرضهم فى شـكل متماسـك لا يريدونه ...)

زميل يضربنى ضربات سريعة من أسفل المقعد لارى طـائرات تندفع من بين الحقـول وترتفـع لأعلى .. هنا مطـار سرى .. المرافق يحـاول أن يلفت نظرنا لشىء آخر فيقدم لنا سجائر من علبته ...

وصلنا الناصرة .. مدينة عربية فعلا .. المبـانى القديمة من دور أو دورين على الاكثر .. الشوارع الضيقة الممتلئة بالاطفال ذوى الجلاليب .. القهاوى الكثيرة ذات الكراسى القش والنراجيـل .. عربات الفـول والطعمية والكوبيبة ورائحة الزيت المحروق ... الحلويات الشامية .. الراديو العـالى .. أكوام برتقال وليمون وخضروات ...

ـ مثل أى مدينة عربية .. الناصرة ...

ـ هنا بشرت الملائكة السيدة مريم بميلاد المسـيح ...

هذه كنيسة البشارة .. هنا مكان الحقل الذى حول فيه المسيح الماء الى نبيذ ... وأردف .. والله العرب مش عايزين يغيروا الطابع بتاع بلدهم رغم انهم أغنياء لكن الواحد يفضـل يحوش عن أن يبنى لنفسـه بيتـا ويفرشه ..

الميكروباس يسرع فى اتجاه الناصرة الجديدة .. بلد نظيف .. فيلات على الطراز الحديث .. الشوارع واسعة ونظيفة .. المنازل من أعلى الجبل تطل على منظر رائع للسهل . المرافق يتفق مع أحد السكان الاسرائيليين على أننا سنعود له حوالى الساعة الرابعة . الميكروباس يتجه الى بحيرة طبرية .. نقف داخل محطة بنزين .. صاحبها عربى ..

ـ مين دول ... ؟

ـ أصدقاء من القاهرة ...

ـ أهلا .. أهلا .. كيف الحال فى القاهرة ... ؟

ـ الحمد لله .. كيف حالكم أنتم .... ؟

ـ والله كويس .. احنا عايشين فى بلدنا .. الخير كتير والحياة عظيمة ولا يوجد ضغط أو أى مشاكل .. والله احنا ما كنا نريد أن يتطور الموضوع لهذه الدرجة .

ثم حاول أن يكمل بسرعة خطبته التى أعدها مسبقا .. ولكن المرافق من مقدرتنا الذهنية على الفهم فأشار للسائق بالتحرك قائلا متشكرين يا أخى ...

ـ والله احنا عايزينهم معانا شوية ...

اكتشف أننا ننظر له باستهزاء وفى نفس الوقت باستنكار لمحاولته التقليل

ـ متشكرين لدينا أعمال أخرى هامة ..

طبرية بحيرة مياه عذبة .. هادئة جدا .. الجو جميل وان زادت الرطوبة قليلا لان مستوى منسوب الأرض تحت منسوب البحر فهى أكثر نقطة منخفضة على الارض .. والرطوبة والحرارة تسمح بزراعة الموز .. وصيد الاسماك وتربية الحيوانات والطيور الداجنة .. كذلك السياحة بفتح كازينوهات أو فيلات للتصييف وهذه الاعمال التى يعيش عليها الاعداد المتلاصقة من الكيبوتزات ...

سنزور كيبوتز منها .. كيبوتز دجانيا وهو اول كيبوتز أنشىء فى فلسطين سنة ١٩١٠ .. كان أول مكان زرناه هو المطعم .. صالة واسعة تشبه السابقة .. ولكنها أقل رفاهية فى الواجهة الامامية شباك واسع له كونتر .. يطل على المطبخ .. وفى نفس الصالة صفت مناضد خشبية كبيرة حولها كراسى خفيفة .. والمناضد مغطاة بمفارش بسيطة .. والطراز المعمارى لهذه الصالة يرجح بأنها منشأة منذ مدة طويلة .. شاب وفتاة يدخلان لرؤيتنا بدافع حب الاستطلاع .. الشاب يربى شعره على هيئة البيتلز والفتاة تطلق شعرها الاصفر الطويل فى اهمال وترتدى بلوزة حمراء وشورت أبيض قصير جدا تبدو مثل ممثلات السينما .. ننظر لهما نحن ايضا باستطلاع ...

المرافق يشرح لنا ـ هؤلاء الشباب من الدول الاسكندنافية .. يحضرون لقضاء العطلة ويعملون مثل باقى افراد الكيبوتز .. بالطبع لا يأخذون

مرتبات ٠٠ فاذا اعجبتهم الحياة عاشـوا معهم ٠٠ وان لم تعجبهم يعودون ٠٠ ولكن عادة ما يبقون فشكل الحياة هنا يجذبهم كثيرا ٠٠

هـامش

ان الاسلوب المتبع فى اختيار الاعضاء الجدد يعتمد على مبدأ التجربة ٠٠ أى أن الراغبين فى الانتساب يقضون فترة تجريبيه فى الكيبوتز قبل قبولهم أعضاء فيها ٠٠٠ وتنقسم هذه الفترة التجريبية الى قسمين : المـدة الاولى والحد الادنى المقرر لهـا هو ستة أشهر يعتبر المتقدم بطلب الانتساب بمثابة ضيف ٠٠ فأذا وافق الاجتماع العام بأغلبية بسيطة على انتسابه يصـبح عضوا مرشحا لمدة لا تقل عن نصف عام أيضا ٠٠٠ ولا يصبح عضوا عاملا الا بعد موافقة ثلثى أعضاء الكيبوتز أو ثلثى حضور الاجتماع العـام على الانتساب الكامل للكيبوتز ٠٠ وهناك حقيقة هامة عن تصفية الانتسـاب وهى أن عضوية الكيبوتز تزداد لا بفضل الانتسابات الفردية بل بفضل انتساب أعضاء حركات الشباب جماعيا « بن يوسف ص ٨٨ »

تناولنا الغذاء ٠٠ سوسيز ٠٠ وبطاطس بالصلصة البنية ٠٠ ومكرونة وشراب عصير البرقوق ٠٠ ثم بعد ذلك كمثرى وبرقوق طازج ٠٠ وابتدأنا جولتنا فى الكيبوتز بالمرور على قسـم الدواجن ٠٠ القسم منظم ٠٠ ونظيف ومعد بطريقة مبتكرة تناسب الجو الحار فهناك ادشاش من المياه البـاردة المسـتمرة ترطب الاقفاص والمنطقة المحيطة ٠٠ ورغم ذلك فلم نهتم كثيرا بالقسم فلقد أصابنا الملل والتعب بعد أكثر من شهرين كسـل فى حجراتنا ومشينا شبه نائمين خلف سكرتير الكيبوتز ٠٠ حتى وقفنا أمام شـاب اسمر من عمـال الحظيرة يتكلم اللغة العربية باللهجة المصرية بوضـوح ٠٠ نشد انتباهنا التففنا حوله ٠٠٠ لقد وجدنا قطعة من مصر هنا فى أعمـاق اسرائيـل ٠٠٠

ـ أنا مصرى ٠٠ مصر أجمل بلاد الدنيا ٠٠ زرت بلاد كثيرة لم أجد فى حياتى ما هو أجمل من القاهرة والاسكندرية كان يتكلم صـادقا ٠٠ بل كان سعيدا بنا ٠٠ فلقد وجد فينا قطعة من مصر أيضـا ٠٠ يا حبيبى يا مصر ٠٠ كم وحشتينى ٠٠ كم وحشتنى شـوارعك ٠٠ حواريك ٠٠ ترابك ٠ ناسـك ٠٠ حتى شحاتينك ٠٠ كل ما هو جميل فيك وكل ما هو سىء ٠ واستمرت جولتنا ٠ المركز الثقافى ٠٠ المنازل ٠٠٠ [illegible]

•• المستشفى نفس الكلام •• نفس الفلسفة •• ولكن كان هناك شيء جديد فالمستعمرة فى مواجهتها هضبة الجولان عبر بحيرة طبرية •• ولذلك فالاستعدادات العسكرية تغلب عليها •• بل الطابع العسكرى واضح فى كل مكان •• الخنادق المكشوفة والملاجيء المغطاة •• أسوار السلك الشائك •• أبراج الحراسة •• الكشافات الضخمة ••• صفارات الانذار •• لاحظ المرافق نظراتنا •• فقال :

هضبة الجولان فعلا تسيطر سيطرة كاملة على المستعمرة •• ولكن لن تصدقوا ان خسائر المدفعية السورية هنا لم تتعد بعض بقرات •• وبعض المبانى ولا خسائر اطلاقا فى الارواح •••

هامش

استند الجيش الصهيونى شبه السرى فى فلسطين الانتدابية (الهجانا) الى الكيبوتزيم فى التجنيد وفى التدريب السرى وفى اخفاء الاسلحة السرية •• (موش كريم) •

ان شعب اسرائيل هو الجيش •• أذ أن جميع المواطنين من ذكور واناث هم أفراد فى الجيش فهذا الوضع وحده يؤمن شروط بقاء جزيرة اسرائيل فى محيط عربى (بن جوريون) ••

فى ظل هضبة الجولان وعلى ضفاف بحيرة طبرية الهادئة وقبل غروب يوم من ايام يوليو ما بعد النكسة جلسنا •• ستة ضباط أسرى مصريين ••• ومرافق صهيونى (عرفنا من الشاب الاسمر الذى قابلناه أنه سكرتير حزب الماباى الحاكم) •• فى كيبوتز دجانيا أقدم المستعمرات العسكرية الزراعية الاسرائيلية وثلاث مواطنين أسرائيليين كانوا فى يوم ما •• مواطنين مصريين •• جلسنا حول منضدة طويلة فى كافتريا أعدت للسياح •• كل الموجودين يتكلمون اللغه العربية وأغلبهم بلهجه مصرية عدا سكرتير الكيبوتز فكان يتكلم الانجليزية •• واستمرت دردشة عن القاهرة •• وحواريها وناسها •• •• وملاهيها •• والتغييرات التى حدثت فيها •• العتبة وميدان رمسيس ••• نقلوا تمثال النهضة أمام الجامعة •• واقمتم الكورنيش بالطبع والهيلتون والسد العالى •• وتخدر كل الموجودين •• نحن من ذكرى بلدنا •• والحديث عنها فى هذا المكان الرومانسى وهم من ذكرى أيام صدر شبابهم التى عاشوها فى بلدنا •• سقطت العداوات •• وتقاربنا بشدة •• وتحمس أحدهم فاشترى علبتين سجائر أمريكانى •• أعطاهما لنا ••• وتحمس آخر ••

فاشترى لنا زجاجات مياه غازية منغبشة من البرودة ·· والرطوبة ·· وفجأة دار حديث بالعبرية بين سكرتير الحزب المرافق لنا وسكرتير الكيبوتز ·· ثم ترجم لنا المرافق الحديث فقال : لم أكن أعرف هـذا حقـا ·· ولكن ابن سكرتير الكيبوتز أصيب فى الحرب الاخيرة وقطعت رجلاه ·· ومع ذلك يرحب بكم ····

مناورة سخيفة مكشوفة ردتنا بقسوة للحقيقة ·· اننا بين ايدى أعداء ·· اننا أسرى وصحونا من الحلم لنستمع فى ملل الى ما يقوله سكرتير الحزب ·· نحن نريد أن نعيش فى سـلام ·· كل المواطنين هنا لا يريدون الحرب نريد أن يعيش أطفالنا خارج الملاجىء والخنادق ·· عشنا تحت الارض أكثر مما عشنا فوقها ·· نريد أن نستمتع بالشمس ·· كنت استمع اليه وأنا أنظر حولى متلهيا ·· الفتيات والشبان حولنا كثيرون ·· معظمهم غربيون ·· الملابس كلها شورتات وبلوزات ·· فتاة يتعلق بها بصرى وأحاول أن أتأملها أكثر ما يمكن ·· متوسطة الطول تلبس شورت أبيض وبلورة ركامة بيضاء ·· شعرها الاصفر منسدل باهمال حول رقبة طويلة بيضـاء تحمل وجها له أجمل ابتسامة رأيتها فى حياتى · الشماسى على البلاج ·· بيك أب مع بعض الاسطوانات موسيقى راقصة قادمة لنا من بعد · ونـا فى طريقنا الى الميكروباس مبانى جديدة منفذة جيدا ·· الخرسانة غير محتاجة لبياض فهى منفذه بحيث لا تغطى بالبياض لتتحمل رطوبة المنطقة ·· الشرفة على الكافتريا ترحب بنا بابتسـامة لزجة ·· انها زوجـة وزير ·· الوزير نفسه من سكان الكيبوتز ·· نركب الميكروباس ·· أنظر لا خر مـرة الى لابسة الشـورت الابيض ·· هذا الشباب لـماذا يتحول الى وحوش ··· ؟؟

هـامش

(اسرائيل فى حقيقتها ·· مقدمه للاستعمار الامبريالى العالمى فى الشرق الاوسـط ·· أنشـأتها انجلترا لتحـافظ على ممتلكات التـاج البريطـانى فى المنطقة ·· « ان قيام دولة قوية على ضفاف قناة السويس قادر على حماية المصالح الانجليزية فى الشـرق الاوسـط » وايزمان ـ وبعد الحرب العالمية الثانية ·· ومع أنتقال الزعامة الى أمريكا ·· انتقلت حمايتها الى امريكا ·· وانتقل الولاء الصهيونى اليها أيضا ··· وتحولت الى فصـيلة متقدمه للجيش الامريكى فى المنطقة لتنفيذ المخططات الامريكية العالمية) ··

نحن فى طريقنا الان الى الناصرة ·· فقدنا اندهاشنا ·· نحاول أن نحتفظ فى مخيلتنا بما نراه فيحتمل ألا نرى مثيله الا بعد مدة طويلة ··

اليوم يقارب على الانتهاء وسنعود ثانيا الى سجننا ٠٠ الميكروباس يصعد المرتفعات المطلة على الناصرة الجديدة ٠ فيلات صغيرة جميلة منتشرة على المنحدر ٠٠ نزور عائلة يهودية تسكن احدى الفيلات ٠٠ المنزل بسيط جدا ٠٠ ولكنه جميل ٠٠ الاحاديث ودية ٠٠ ترحيب ٠٠٠ حديث مع فتاة اسرائيلية ابنة صاحب البيت ٠٠ عمرها حوالى السادسة عشرة ٠٠٠

تقول ــ لماذا لا نعيش فى سلام ٠٠ منطقتنا نستطيع ان تكون أغنى مناطق العالم ٠٠٠٠

لديكم البترول والمواد الخام والعمالة ٠٠ ولدينا الفنيون والعلماء ٠٠ ونستطع أن نأخذ رءوس الاموال الامريكية للتعمير ٠٠

أبتسم ٠٠ هذا ما يعلمونها ٠٠٠ !! ٠٠ وجهه النظر الاسرائيلية بدون أى زواق أو أصباغ تخفى حقيقتها ٠٠٠

تتصور أننى موافق على ما تقوله ٠٠ توجه لى كلامها ٠٠٠

ــ ما رأيك ٠٠ لماذا نحارب ٠٠٠ ؟ أكلمها برفق شديد ٠٠

وهل تتصورين اننا لا يوجد بيننا علماء وفنيون مثلكم ٠٠ انا مهندس والزميل مهندس والاخر طبيب ٠٠ ولنا زخيرة عريضة من العلماء ٠٠ ثم هل تتصورين أن رءوس الاموال الامريكية ستعمر لنا بلادنا لننافسها ٠٠ انها تعطيكم لانكم اسرائيل يا آنسه ٠٠ ولانها تتصوركم ٠٠ ١١ ٠٠ وقطع كلامى المرافق قائلا ٠٠٠

ــ انها تقصد ابناء عمرمتنا من الاغنياء فى أمريكا ٠٠ فرصة سعيدة ونحن شاكرون ومضطرون للرحيل فلدينا ما نشاهده ٠٠٠

الميكروباس ينتقل بنا الى الناصرة القديمة ٠٠ نقف أمام منزل عربى كبير ٠٠ ذى مشربيات ومقرنصات وحليات عربية ٠٠ تقابلنا على الباب سيدة قادمة لتوها من عند مصفف الشعر ٠٠ عرفنا بها المرافق ٠٠ زوجة رب العائلة ٠٠ تذكرنا بسيدات البرجوازية الصغيرة المصريات ٠٠ متحشمة فى ملابسها العصرية ٠٠ المنزل به مضيفة واسعة على عادة المنازل الشرقية ٠٠ يحتشد فى الصالة عدد كبير من عرب الناصرة ٠٠ ترحيب شديد

واحضان مصرية وقبلات على الطريقة الشرقية وقف المرافق فى وسط الحجرة وبطريقة مسرحية أشار لنا ولهم وقال ضيوف من القاهرة ·· مواطنونا العرب فى اسرائيل ·· أنتم أقارب ولنترككم لتتعارفوا · انتشرنا فى أرجاء القاعة الواسعة ·· واخذت مكانى بجواره ·· عرفنى بنفسه مدرس فلسفة فى المدارس العربية ·· كان يتكلم بانفعال فيهتز وجهه السمين ·· وتبرق عيناه الزرقاوان من تأثير دموع حبيسة ··ويشير بيديه وأضابعه ··ويتحرك كثيرا على المقعد العربى الطراز ·· وكنت أنظر اليه باهتمام وتركيز لعلى استوعب كل حرف ينطقه وفى نفس الوقت أنظر بطرف عينى الى نهاية الحجرة الواسعة لارى هل هناك من يراقبنا ·· فلم أكن أتصور أن سكرتير الحزب الحاكم سيفى بوعده ويتركنا لنتعارف بدون رقابة ···

قدموا لنا السجائر الامريكية ·· والحلويات الشامية ·· والشيكولاته ·· والقهوة ·· والشربات كل شوقهم للعرب خارج اسرائيل تركز فى هذه الزيارة شعور الانسان الذى وجد أهله بعد غربة طويلة ·· الاستقبال الحماسى يذيب الثلوج سريعا ·· ذو العينين الزرقاوين يسألنى ··

ـ ما الحل ···· ؟

ـ أعتقد أنه لا يوجد الا حرب العصابات والمقاومة السرية ···

ـ المقاومة بهذه الصورة لا يمكن ·· ماذا يعنى نسف فنطاس ·· أو وضع لغم تحت جرار زراعى يعمل ·· أؤيدك بأن المقاومة قد تكون فعالة وحاسمة ···· ولكنه لابد من تصعيدها وحتى يتم ذلك ·· ما العمل ؟·

كان أمامى أحد الطريقين ·· أن أسمعه ·· أو يسمعنى ·· وفضلت أن أسمعه فهو الصوت المحبوس أبدا داخل السجن الاسرائيلى ···

لذلك قلت ـ أنا فى حالة بلبلة بحيث لا أستطيع أن أقدم لك حلا ·· ولكنى ساكون ـ مستمعا جيدا لك ···

ـ المعركه يا عزيزى فى مصر ·· لا شك أن مصر أكبر الدول وهى أملنا بقيادتها الثورية المتقدمة ·· ولكن تجربتنا مع هؤلاء ثلاث مرات اثبتت أننا لا بد وأن نصل الى مستواهم الحضارى والتكنيكى ·· وبعد ·· بمعنى أنه لا بد وأن تقفلوا على أنفسكم الباب مدة حتى تتقدموا حضاريا وتكنيكيا ·· حتى تصلوا الى مستواهم ·· وبعد ذلك الحرب ··

ـ وأنتـــم ••• ؟

ـ نحن الاحتياطى الطبيعى لكم •• وفى كل مره كنا مستعدين للقتال بجواركم مع ظهور أول خيط للامل •• ولكن •• أنا معــك •• حرب المقاومة لا بد وأن تأخذ صورة مخالفة للعب الاطفال هـذه •••

ـ أليست المقاومة املا يمكنكم أن تسعوا اليه ••• ؟

ـ شعبنا شعب مفكك •• وزعماء الدول العربية ساعدوا على تفكيكه أكثر •• صدقنى •• ان عيبنا نحن العرب أننا لم نتخذ الشـكل العصرى للدولة بعد •• انهزمنا يا أخ لانهم هنا يخططون ويعملون بشكل علمى •• أما نحن فنعمل بشكل ميتافيزيقى •• على مصر وأرجو ان تقول كلمتنا وتبلغها يا أخى •• أن تتقدم وتصبح الدولة العصرية القادرة على مواجهة اسرائيل •• لا بديل للحـرب •• لا بديل للحرب •• ولا بديل للتقدم لكسب الحرب •••

كدت أبكى فلقد كانت كلماته أول رد لاعتبارنا أسمعه منذ ٥ يونيـو اللعين ••• وازددت حبا لهذه العيون الزرقاء الذكية ••

ـ ما أخبار العالم فى الخارج •••• ؟

ـ مقال هيكل سمعناه فى صوت العرب •• يتكلم عن أسباب النكسة •

وهنا قدموا لنا حلوى أخرى غـير التى اسـتقبلونا بهـا •• قبض صديقى على كمية كبيرة ووضعها فى جيبى قائلا :

ـ أعط لزملائك •• والله كنا بنريد أن نرسل لكم الطعام يوميا ولكن •• حكم القوى ••

ـ هل سـاعدت أمريكا أسرائيل فعـلا بالطيران ••• ؟

ـ لا •• ولكن البحرية الامريكية كانت مستعدة لدخول المعركة فى حالة دخول أول جندى مصرى ارض اسرائيل •• ولا يمنع أيضـا انهم سـاعدوهم بواسطة الباخرة الاليكترونيه ليبرتى فى التوجيه والتصحيح للطائرات لدى مطاراتكم •• يا أخى شىء غريب •• هنا عرفنا مقدما ان مجلس الوزراء سيبدأ الحرب يوم ٥ يونيو •• وأبلغنا سفارة دولة شرقية •• وبالتـالى أبلـغت روسيا وروسيا أبلغتكم •• بمعنى أنه لم تكن هناك مفاجأة •• ومع ذلك حدث ما حدث • كيف •••

ـ لا أعـــرف •••

ـ سمعنا أنه قد حدث خيـانه بين قيـادة سـلاح الطيران •• وأن المخابرات المركزية الامريكية دفعت مبالغ هائلة رشـوة •• وسمعنا ان الطيارين

كادوا أن يجنوا فى مطار غرب القاهره ⋅⋅ يريدون أن يصعدوا ⋅⋅ والأوامر لا تصـــلهم ⋅

ـ قد يكون هذا حدث ⋅⋅ وقد لا يكون ⋅⋅⋅

ـ نعم ⋅⋅ أنا مقدر بعدك عن المعلومات ⋅⋅المهم الحمد لله على السلامة ⋅ والله تبلغ ســلامى للاخوه فى مصر ⋅⋅ وتقول لهم ان أملنا مازال معلقا بكم ⋅⋅⋅ ورغم كل العون الامريكى ⋅⋅ هنا حنفية ذهب موصلة بنيويورك ⋅⋅ ومع ذلك املنا كبير فى النصر ⋅⋅⋅

ـ وانتم هنا ما هو موقفكم ⋅⋅ كيف تعيشون ⋅⋅⋅ ؟

ـ العرب هنا يمكن تقسيمهم لثلاثة اقسام ⋅⋅ قسم (وكاد يشـير الى بعض الجالسين) استسلم ورضى بالواقع ويقول هذه بلدنا ⋅⋅ والعرب لو دخلوها سيذبحوننا كما لو كنا يهودا وهؤلاء فى الاغلب اغنياء العرب ⋅⋅ والقسم الاخر نسميهم ناصريين ⋅⋅ وطنيين يؤمنون بالبعد القومى وأملهم مصر وعبد الناصر بالذات ⋅⋅ واغلبهم من الطبقات الوســطى والموظفـين ومستعدين لتقديم اى عمـل فى الوقت المناسب ⋅⋅ وبينهم تيارات ثقافية وقومية مرتبطة بالتيارت الموجودة بالقاهرة والعالم العربى ⋅ والنوع الثالث هم الشيوعيون ⋅⋅ وهم متطرفون جدا ⋅⋅ اغلبهم من المثقفين الفقراء وهـم لم يتركوا النضال ابدا ⋅⋅ بالكلام ⋅⋅ بالحرب ⋅⋅ بالشـعر ⋅⋅ بالمنشورات ومرتبطون الى حد ما بالاحزاب الشيوعيه الاسرائيلية ⋅ وموقفهم واحـد مسلمين مسيحيين ويهود ⋅⋅ لهم جريدتهم « الاتحاد » بالطبع سرية ⋅⋅ ودواوين شـعر سميح القاسم وتوفيق زياد ⋅⋅ ومحمود درويش ⋅⋅ وان كان لا يسمى نفسـه شيوعيا ⋅⋅ وغيـرهم كثيرون ⋅⋅ بعد النكسـة ازداد نشــاطهم لدرجة أنه صدر قرار بحظر تجولهم وتحديد اقامتهم فى منازلهم ⋅⋅

ـ بالمناسبه هل توجد قيود على العـرب ⋅⋅⋅ ؟

ـ يوجد قيود طبعا ⋅⋅ على التجول ⋅⋅ والحركة والنشر ⋅⋅ والتجمعات ⋅⋅⋅ ولا يسمح باى تحرك من بلد الى أخـر الا بتصريح من القائد العسكرى للمنطقة ⋅⋅ ولكنهم عادة لا يمنعون ذلك الا فى زمن الحرب ⋅⋅ وعموما هم أذكى من ان يشعرونا بالقيود ⋅⋅ الكارثة الحقيقية هى العمل ⋅⋅ فهنا اليهودى له كل الفرص ⋅⋅ وما يتبقى فللعرب ⋅⋅ وعادة ما تكون الاعمـال الشـاقة ⋅

ـ وهل تتولون مناصب قيادية فى الحكم ⋅⋅⋅

ـ توجد بعض المناصب للعرب ⋅⋅ منصب القاضى ⋅⋅ وبعض المدرسين ⋅⋅ وفى بعض الاوقات ممثلون فى الكنيست ⋅⋅ صمتنا قليلا ثم سأل ⋅

ـ هل زرتهم أماكن كثيرة ... ؟

ـ زرنا بعض الاماكن ...

ـ ما رأيك .... ؟

ـ مش بطال ... !!

ـ نسوانهم حلوين ...

ضحكت ....

ـ نعم ...

نسوانهم من اللاتى أخذن لهم فلسطين منا .. كن يضحكن على الشبا .. ويأخذن نقودهم .. وأرضهم .. عن طريق الخمارات والكباريهات ..

كان يدور هذا الحديث .. وحولى أحاديث أخرى كثيرة .. كنا نلتقط منها بعض الكلمات عن السد العالى .. ومديرية التحرير .. والرى .. والتقدم المصرى بعد الثورة ... وارتفعت الاصوات .. وأرتفعت الضحكات .. حتى دخل المرافق الاسرائيلى ... قال لى زميلى ـ هل تعرف انه سكرتير الحزب الحاكم ... ؟

ـ نعم ...

أراد أن يسيطر على الموقف ويوجهه .. فلقد كانت أول زيارة يقوم بها الاسرى المصريون .. للمواطنين العرب .. وكانوا يجربون .. حتى يشعرونا بمدى الحرية والديمقراطية الاسرائيلية .. ولكن الموقف خرج من بين يديه ...

قال ـ ما رأيكم ندير مناقشة مفتوحة .. ونستفيد جميعا بدلا من الجلسات الثنائية .. ردوا عليه : أتركنا فى حالنا .. نحن سعداء بذلك ..

ولكن التقط الخيط منه بعض المتعاطفين أو الخائفين .. وابتدأوا فى مناقشة مفتوحة ... على حد تعبيره ...

قال أحدهم ـ كلمونا عن الزراعة عندكم وأهم المحاصيل ...

رد زميل وهو يبتسم لسخافة السؤال مع الموقف ...

ـ نحن نزرع القطن ... والقصب ...

غمزنى زميلى قائلا ...

ـ أتركهم فى حالهم .. هل لديك أسئلة أخرى ...

ـ ما تأثير « فتح » على السكان العرب هنا ...

« فتــح » هى أساس المشكلة ٠٠ بشكل رومانسى جدا حاولت أن تقود المقاومة أو تحييها ولكن ما المكاسب التى عادت علينـــا من نسف الجــرار الزراعى ٠٠٠ أو فنطاس المياه ٠٠٠ لقد دمروا فى مقابل ٠٠

وهنا نهض المرافق ٠٠٠ قائلا ٠٠٠ كانت فرصة عظيمة وزيارة ممتعة نرجو أن تكونوا قد تعرفتم جيدا على أوجه الحياة المختلفة فى بلدنا ٠٠ وكنا نريد أن نطيل الزيارة ولكن لنا برنامج يجب أن نستوفيه خصــوصا وأن الزمــلاء يريدون زيارة كنسية البشــارة ٠٠٠

تركنا العائلات العربية ٠٠ ونحن مازلنا نشعر بحرارة اللقـــاء ٠٠ والمحبة الحقيقية الواضحة فى أعينهم ٠٠ وكانت تدور فى رأسى أسئلة كثيرة تلح على ٠٠ هل هذا اللقاء مرسوم ٠٠ هل ما قيل لى هو الحقيقة ٠٠ هــل اعد من قبل أم تورط المرافق فيه ٠٠ جلست فى الميكروباص بجوار الشـــباك أنظر شاردا الى مجاميع الاولاد والاطفال الحفاة يلعبون حولنا وينظـرون لنا بأندهاش واستطلاع وافترب منى احدهم ٠٠ لم أشعر به فى البداية حتى اصبح ملاصــقا لى ٠٠ ونطق بكلمــات قليــلة كانت كافية لحســم الموقف امامى ٠٠٠ لقد عبر عن رأى عرب الناصرة ٠٠ رغم كل الحواجز والقيود ٠٠ قال « كسفتونا » واستدار عائدا ٠٠٠

زرنا كنيسة البشارة ٠٠ كنيسة قديمة اقيمت حول بئر يســمى بئر العذراء ٠٠٠ ويقال أن العذراء بشرت بالمســيح عنده ٠٠ الجو الرهيب الخانق للاماكن المقدسة القديمة الشموع المتدلة للنــذر ٠٠ الســيدات البسيطات الطيبات يدعون لنا ٠٠ شربنا من ماء البئر ٠٠ ومررنا بداخـل الكنسية ٠٠ ثم ذهبنا الى جامع الناصرة ٠٠ ســاهمت فى بنــائه الحكومة الاسرائيلية ٠٠ جامع فاخر ٠٠ مغطى بالسجاد ومعلق فى سقفه النجف ٠٠ وبه مكتبة أسلامية كبيرة ٠٠ على حد قولهم ثم ركبنا الميكروباس ثانيا ٠٠ فى رحلة العودة فى اتجاه عتليت ٠٠٠ فى الطريق الصاعد الى أعلى جبـــل الكرمــل حيث كيبسوتز « بيت عورين » كانت توجد العــربات الصــغيرة الواقفة بجوار الرصيف ٠٠ ومجموعات من الشباب والشابات الصغيرات يحبون بعضهم بعضا ٠٠ البعض غارق فى القبلات وفى مكان آخر كان احدهم يرقد فوق زميلته يزاولان الجنس ٠٠ أبتســم المرافق وقال هــذه مســألة شخصية ٠٠ وان كان اليهود الشرقيون اكثر تحفظا فى ذلك ٠٠ عموما هذه من مشاكلنا ٠٠ أقصد الفارق الحضارى بين اليهود الغربيين ٠٠ واليهود

الشرقيين ••• ولكن عموما الشرقيون يحاولون الان أن يسايروا التقـــدم الحضارى الغربى •••

وصلنا الى كيبوتز « بيت عرين » أنشىء عام ١٩٣٩ فى أعلى جبـل الكرمل •• الليل تقدم •• نسمات الهواء الباردة فى يوليو •• أضواء صغيرة منتشرة فى الحدائق •• جلســات عائلية حول مناضد صـغيرة •• موسيقى خفيفة منبعثة من ميكرفونات معلقة بين الاشــجار ••

دخلنا الى مبنى فخم مكون من عدة طوابق يســتعمل كموتيل للراحة والسياحة •••. المطعم صالة واسعة تشبه صـالة الطعـــام بالهيلتون •• الاضواء المختفية •• المناضد النظيفة •• المضيفات يتحركن بهدوء بين المناضد لابسات الميكروجيب •• سيقانهن وأرجلهن مثيرة للغاية لاول مرة اشعر بآدميتى منذ ٥ يونيو بعد ما جلست على الكرسى الوثير أمام منضدة العشـــاء •••

ـ أريد أن أذهب لدورة المياه •••

دورة نظيفه جدا •• حتى لو لم ترد فلتدخلها فهى بالمقارنة بدورات عتليت •• بل بعنابر نوم عتليت هى الجنة •• أنظر لنفسى فى المرآة لأول مرة منذ شهور طويلة ••• البنطلون واسع والقميص ضيق جدا يكاد تنقطع أزراره •• شعرى طويل •• ضعيف جدا •• خاسس •• ما هذه النظرات البائسة •• هل هذا الوقت أنا •• مستحيل •• الراحة تكاد تقتلنى ••
البائسة •• هل هذا الواقف أنا •• مستحيل •• الراحة تكاد تقتلنى ••

المضيفة تقدم لى طبق اللحم •• تميل بجوارى •• أشــعر برائحة البرفان المختلط بعرقهـا •• أكاد أجن •• صـدرها يظهر من خـلال ثوبها وهى منحنية •• ساقها يلمس ساقى •• أنتصب •• أخجل من نفسى •• انحنى على طبقى أقطع اللحم أمضغه على مهل معدتى تؤلمني •• فى رأسي صداع شـديد •• قلبى يدق دقات متتـــالية أريد أن أفرغ ما بمعدتى ••• لا اشــعر بالحديث الذى يدور حولى •• أبحث بعينى عن المضيفة الفارعة ••• الزملاء يحاول كل منهم أن يخفى مشــاعر •• أحدهم يميل على أولاد الكلب حلوين •• ما رأيك فيهن •• ؟ أصمت •• يرتبك •• تقع أدوات المائدة منه على الارض •••

نخرج الى الهواء الطلق الخارجى ٠٠ أتنفس بعمق ٠٠ الهواء البارد يدير رأسى ٠٠ اشعر بتعب وخدر شديد فى جسدى ٠٠ نركب الميكروباس ٠٠

المرافق يحــاول أن يختتم الرحلة ٠٠ يفتح الراديو ٠٠ الموســيقى الهادئة تنســاب هواء البحر يتخــلل الشبابيك ٠٠ أغوص فى مقعدى ٠٠ مسترخيــا ٠٠ أغمض عينى ٠٠ ما الــذى أتى بنا الى هنــا ٠٠ ملعون أبو الحرب ٠٠ الموسيقى تتوقف ٠٠ المذيع يتكلم هنا صوت أمريكا ٠٠٠

ـ اليكم موجزا لاهم الاخبار العربية ٠٠ المرافق يحــاول أن يغلق الراديو ٠٠ يخجل ٠٠ عموما انه صــوت أمريكا ٠٠ لا فارق كبير ٠٠

وكقطعة نشــاف امتصصنا الاخبــار ٠٠ فى نهــاية النشــرة أو قرب نهايتها ٠٠ المذيع يذيع خبرا بأن الرئيس جمال عبد الناصر قال فى خطابه بان الحرب فى ٦٧ ما هى الا جوله يعقبها جولات ٠٠ وأن الحرب لم تنته بهزيمه يونيو ٠٠ أغلق المرافق سكرتير حزب المــاباى الحاكم الراديو بتوتر شديد ٠٠ والتفت لنا يرد على عبد الناصر ٠٠٠

ـ نحن مستعدون لاكثر من جولة ٠٠ واحب أن أخبركم بأننــا ومنذ حرب يونيو نتدرب استعدادا للحرب المقبلة ٠٠ نحن نملك أسلحه سرية مدمرة لم نستعملها فى الحرب السابقة ٠٠ لاننا انتصرنا ٠٠ بالاسـلحة التقليدية ٠٠ ولم يستدع الموقف تجريبها ولكننا سنستعملها وعلى وعلى أعدائنا ٠٠ كلمة قالها شمشون اليهودى وهو يهد المعبد نحن لدينا ايضــا ابحاث متقدمة فى معاملنا ٠٠ يحضر من أجلها علماء أمريكا ليستفيدوا منا ٠

وهنا كان الميكروباس قد دخل الى المعسكر ٠٠ وكانت النوايا قــد وضحت تماما واطارت الكلمات الاخيرة كل الخدر الذى كنا نشــعر به ٠٠ ولذلك فلقد كانت خطبة الوداع سخيفة جدا وهو يتلوها غير حاسب لمــا حدث منذ دقائق حســابا ٠٠ كنا نســتمع لعدونا وهو يقول :

ـ والان انتهت الرحلة ٠٠ وكل شىء لابد وله نهاية ٠٠ حتى وجودكم بيننا له نهاية وحتى عداؤكم لنا له نهاية ٠٠ ونأمل أن تزورونا ثانيــا وقريبا ٠٠ أخوانا سياحا حقيقيين ٠٠ كلمات مرسومة سخيفة رغم كل الطلاءات العديدة التى كشفتها أضواء الحقيقة والتى أجبرته على كشف أوراقه فى لحظة غير مناسبة ٠٠٠

استقبلنا الزملاء باستطلاع شديد وتشوق لمعرفة ما حدث ·· وقضينا ما تبقى من الليل نحكى قصة خطواتنا على الارض المحبوسة داخل اسرائيل .

تتابعت بعد ذلك الزيارات لباقى الاسرى ·· وتنوعت لعكا وتل أبيب ويافا ··· صور متكررة لما حدث لنا ولكن بتحفظ أكثر فيما يختص بتقابل المصريين مع الفلسطينيين فى اسرائيل ·· وصاحب ذلك تغييرات كثيرة لحياتنا فى المعسكر لنبدأ مرحلة أخـــرى من أواخر يوليـــو وحتى أوائل أكتوبر ··· فالاستجوابات اختلف طابعهـــا ··· وتحولت الى مقابلات سياسية ·· وصاحبها فى نفس الوقت محاضرات جماعية يلقيهـــا بعض المتخصصين وعرض أفلام سينمائية ·· وحدثت بعض التغييرات فى نظام معيشتنا ·· لقد احضـــروا لنا مراتب وكميـــات من القش لحشـــوها . وتحسن الى حد ما الاكل ·· فلقد ســـمحوا لنا بتناول بعض الفواكه مع الغذاء ·· وكميات من المربى مع الجبن فى العشـــاء ·· وانتظم تموييننا بصابون للوجه ·· وأمواس للحلاقة ·· وصابون للحلاقة ·· بل أحضروا لنا بعض أدوات الترفيه طاولات وشطرنجات وكتاشين ·· وخفت قيـــود الحراسة ·· بل ولقد جاءنا من مصر خطابات من الاهل ووصـــلتنا طرود هدايا من الحكومة المصرية ··· وطرود خاصة من أهالينا ·· واضيف للمقرر اليومى من الاذاعة أغنية « على بلد المحبوب وديني ·· » وتعددت مرات اذاعة الاغانى ·· ودخل المعسكر مجلات أخرى غير الجيروزليم بوست ·· واليوم ·· فلقد دخلت مجلة الكواكب ·· وهى صورة من الكواكب المصرية والشبكة نفس المقالات ونفس الريبورتاجات ونفس الصـــور المسروقة ·· كذلك هربت سرا جريدة « الاتحاد » جريدة الحزب الشيوعى ·· وهى تندد بالاحتلال واغتصاب الارض.وتحذر من العصـــابة العسكرية الحاكمة وتحكى قصصا للضغط على العرب فى الاراضى المحتلة وتذكرهم بمجازر دير ياسين ·· وتحكى قصة أمام المسجد الاقصى الذى بكى فى صلاة العيد وقال « عيد بأى حال جئت يا عيد » ·· وتجاوب الجماهير معه وقولهم الصبر ·· الصبر ·· ثم رعب المذيـــع الاسرائيلى واســـتدعاؤه الجيش ·· وتعلق الجـــريدة على الرعب الاسرائيلى من مجموعة من العزل فتقول هل ستحرمون الناس حتى من حق البكاء ·· ومنها أيضا عرفنا أن النائبين الوحيدين اللذين عارضا ونددا بحرب يونيو فى الكنيست الاسرائيلى كانا من أعضـــاء الحـــزب الشـــيوعى ···

هذه بعض التغيرات التى حدثت بالاضـــافة الى مد فترة الســـماح بالماء ·· واصلاح دورات المياه الجديدة ·· وحدثت فى حيـــاتنا تغييرات

أخرى هامة ·· فلقد ابتدأت الملكات تتفتح لدى الضباط ·· وظهرت أنواع عديدة من الفنون بأقل امكانات ···

هذا يرسم ·· لوحا جيدة خريج كلية الفنون ·· فملأ جدران الحجرات بالنسوة العاريات ·· وهذا يصنع عرائس ويفتتح مسرحا للعرائس ·· وآخرون يؤلفون الشعر وزملاء لهم يلحنونه ويغنونه وظهرت أكثر من موهبة غنائية ·· وانتشرت حلقات الغناء في جميع الحجرات تستمع الي الصبان ومجدى وعمر ·· واخرين ·· وتكونت فرق موسيقية بالات بدائية ·· واستمعنا الى أغانى محورة تحمل معانى جنسية أو فكاهية ···

وبجوار هذا انتشرت الحلقات الدينية ·· احضروا القرآن والاناجيل ·· وتكونت حلقات القراءة ·· وحلقات التفسير ·· وحلقات الذكر ·· وعم المعسكر نوع من أنواع التصوف ·

وبجوار حلقات التصوف هذه ·· كانت حلقات البوكر ·· والمقامرة على السجائر ··· وانتشرت الاسواق الخلفية لتبادل البضائع ·· الزنوبة بثلاث علب سجائر كبيرة وعلبة المربى بعلبتين والغيار الداخلى بخمس علب ·· وكانت الاسعار ترتفع وتنخفض حسب توفر السجائر من عدمه ·

طلبت للاستجواب ·· كان المستجوب شابا صغيرا يتكلم الانجليزية ·· عرفنى بنفسه ··· طالب بالدراسات العليا بالجامعة العبرية ويعد دكتوراه فى العلوم السياسية والاجتماعية ·

ـ ما رأيك فى نظام الحكم فى مصر ··· ؟

ـ ماذا تقصد ··· ؟

ـ الديمقراطية ···

ـ عظيمة ··

ـ هل لديكم ديمقراطية ··· ؟

ـ نعم ···

ـ وهل هذه ديمقراطية ·· هل لديكم أحزاب ··· ؟

ـ وهل الديمقراطية معناها احزاب ٠٠ ؟ هذا شكل قديم نظرى ٠٠ في الحقيقة الديمقراطية ترتبط أساسا بمن يملك السلطة الاقتصادية ٠٠ فى أمريكا مثلا هناك حزبان ٠٠ ولكنهما يخدمان نفس الايديولوجية ٠٠ ونفس الهدف ٠٠ وهو تسلط أصحاب رءوس الاموال الامريكية على الحكم ٠٠ ما الفرق بين الحزبين اللذين فى أمريكا ٠٠ كلاهما سيطر عليه بواسطة الأقوى اقتصاديا ٠٠ بواسطة أصحاب الملايين ٠٠٠

ـ فلنترك أمريكا جانبا ٠٠ انجلترا ٠٠٠

ـ أيضا الحزبان الرئيسيان المحافظين والعمال ٠٠ لا فرق بنما ٠٠ كلاهما يخدم نفس الغرض ٠٠ بل العمال اكثر رجعية من المحافظين ٠٠ جميع أعمال القمع التى عانت منها المستعمرات ٠٠ جميع أنواع الاستغلال والمظاهرات حدثت أثناء حكم العمال ٠٠ الاكثر دلالة على ذلك حكومات الظل التى تكونها الاحزاب خارج الحكم ٠٠ أين الديمقراطية فى هذا ٠٠ الحكم فى انجلترا رغم الهايد بارك ٠٠ ورغم البرلمان الانجليزى ٠٠ فى الحقيقة يتحكم فيه مجموعة من محترفى السياسة ٠٠ المسيطر عليهم بواسطة أصحاب رءوس الاموال الانجليزية ٠٠

ـ ما قولك فى أن المواطن الانجليزى قادر على سب ملكة انجلترا ٠٠ ؟

ـ كل هذا كلام فى الهواء ٠٠ ما تأثير سب الملكه سوى تخفيف التوتر ٠٠ هل يغير ذلك الطبيعة الاستعمارية لانجلترا ٠٠ بالعكس لم تستطع ديمقراطية الهايد بارك أن تؤثر الا فى اباحة الشذوذ الجنسى ٠٠

ـ لدينا هنا فى اسرائيل ديمقراطية ٠٠٠ (قالها بتحد) ٠٠٠

ـ واليهود الشرقيون ٠٠ والعرب الفلسطينيون ٠٠ وأهالى المدن المحتلة ٠٠٠ هل هذا رأيهم أيضا ٠٠ ؟ ٠٠ هل يزاولون حريتهم الديمقراطية مثلك أنت القادم من الغرب ٠٠٠

ـ بالتأكيد لهم حرية ديمقراطية ٠٠ الا بعض القيود الخاصة بأمن الدولة ٠٠٠

ـ هل تريد منى أن أتكلم بصراحة ٠٠ أم حديث بين أسير وآسره ٠٠ ؟

ـ لا ٠٠ وبصراحه فهنا من الديمقراطية ما يسمح لك أن تقول ما تريد ٠٠٠

ـ بعض القيود الخاصة بأمن الدولة هذه تزداد حتى تصل الى سجن وتحديد اقامة الاخرين كما حدث يوم ٥ يونيو ٠٠٠

ـ لا ‥ هذا غير صحيح ‥ العرب هنا لديهم الحرية الكاملة ‥ عندنا هنا جميع أنواع الاحزاب ‥ وكل منها له مجلته وجريدته ويطبع كل الكلام الحر …

ـ يا سيدى الفارق أن ‥ بامريكا حزبين ينفذان سياسة المليونيرات الامريكان ‥ وهنا عشرون حزبا ينفذون سياسة التوسع لحساب المليونيرات الامريكان أيضا …

ـ من قال هـذا … ؟

ـ هذا هو ما كتبتم فى الكنيست « من الفرات الى النيل » ‥

ـ لا هـذا غير موجود ‥

ـ وحروبكم ‥ التوسعية أيضا غير موجودة ؟؟

ـ نحن لا نريد الارض المحتلة ‥ نحن نريد السلام …

ـ وهل يفرض السلام بالقوة … ؟

ـ نحن ندافع عن أنفسنا …

ـ بالنابلم والاسلحة الهجومية والتكتيك الهجومى ‥ والاستراتيجية الهجومية ‥ هل تنكر أن استراتيجيتكم مبنية على الهجوم ونقل المعركة الى أرض العدو … الم تبدأوا الحرب ثلاث مرات ثم تقولون نحن ندافع عن أنفسنا … !

ـ خرجنا عن موضوعنا ‥ هل عندكم ديمقراطية … ؟

ـ الديمقراطية الاشتراكية ‥ تخالف الديمقراطية الغربية ‥ فى الدول الاشتراكية هى تحالف ‥ فى الدول الغربية هى تصارع ‥ والتصارع يبدد القوى فى تفاهات والتحالف يدعم القوى الحقيقية المنتجة فى الدولة وهم العمال والفلاحون ضد القوى الاستغلالية والطبقات غير المنتجة … فى بلدنا الديمقراطية هى تحالف بين القوى المنتجة من عمال وفلاحين ورأسمالية وطنية وجنود ومثقفين ‥ وعن طريق هذا التحالف تتحقق أمال وأهداف الطبقات الكادحة فى حياة أحسن ٠

هذا عظيم جدا ‥ ولكن نظريا ‥ هل تتصور يا عزيزى أن الفلاحين والعمال المتخلفين حضاريا ‥ الذين هم فى الاغلب يجهلون القراءة والكتابة ‥ وهم الذين يشكلون ٥٠٪ من أعضاء التنظيمات السياسية قادرون على تحقيق هذه الحياة الاحسن ‥ هل يفهمون فى الاقتصاد والتخطيط والادارة والقانون …

الفلاح الجاهل المتخلف بالطبع لا يفهم فى القانون والادارة والاقتصاد ولكنه يفهم مشاكلة جيدا ويفهم ماذا يريد ٠٠ وهو فى التنظيم يحقق ما يريد ٠٠ حقا لم نصل بعد الى العامل والفلاح المؤثر ولكن هل تتصور أن هناك عصا سحرية تضربها فتحول العمال والفلاحين الى أساتذة فى القانون والادارة بالطبع لا توجد لدينا هذه العصا ٠٠ ولكن لدينا ما هو أكثر جدوى وهو الزمن والممارسة ٠٠ فخلال ممارسة العامل والفلاح للعمل السياسى فى وحدته الصغرى يتعلم ويثقف وينضج ويصبح أكثر صلابة عند انتقاله لوحدته الاكبر ٠٠ فيشارك فى سياسة اقليمية ٠٠ حتى يصل الى أعلى مستوى يصبح فيه قادرا على التخطيط لتسيير مستقبل وطنه ٠٠ أن الممارسة والزمن كافيان لان يجعلا فلاحينا وعمالنا زعماء سياسيين قادرين على تسيير دفة بلدنا ٠٠

أيضا هذا الكلام نظرى ففلاحو وعمال التنظيمات الشعبية منفصلون عن الشعب والمجتمع قانعون بما وصلوا اليه من رفاهية ٠٠٠

لن أجادل فى هذا أيضا ٠٠ ولكن هذه الظاهرة ستزول عندما يكتشفهم ناخبوهم ومع الزمن سيحدث تطور وستصحح هذه الاخطاء وقد يكون ما حدث أمس كافيا لا حداث التطور ٠٠ كما حدث بعد حربنا معكم سنة ٤٨ ، سنة ٥٦ ٠٠٠

أنت عنيد ٠٠ وتردد كلاما مملى عليك ٠٠٠

لا ٠٠٠٠٠

ماذا اذن لا تقتنع ٠٠ لقد غسلوا لك مخك جيدا ٠٠

هذه خرافة ٠٠ والا فانا بين يديك اغسل لى مخى ٠٠٠ !!!

وضحكت ٠٠ فضحك وانتقل الى موضوع آخر بعد أن نظر فى الورقات التى أمامه ٠٠

أشتراكيتكم ٠٠ هل عندكم أشتراكية ٠٠ ؟؟ ٠٠ بالمناسبة نحن لدينا الاشتراكية الحقيقية فى الكيبوتزيم ٠٠ هل زرت الكيبوتزات ٠٠٠

نعم زرت بعضها ٠٠ فى الحقيقة الكيبوتز مستعمرة تعاونية عسكرية فرضها الواقع العسكرى الذى تعيشونه ٠٠ وهى مبنية على فلسفة دين العمل لجوردن لا تتصل بالماركسية من قريب أو بعيد ٠٠ الا فيما تنتجه الحياة

الجماعية من فوائد ٠٠ ولقد قال بن جوروين احد المؤسسين لهذا النظام عندكم ٠٠ عندما يصبح عمال اسرائيل وحراسها من صفوفنا تصبح الارض لنا ٠٠ ولهذا أسستم مستعمراتكم العسكرية الزراعية ٠٠ من اجل ربط اليهودى التاجر بالارض وتحويله لمزارع أو عامل وانشأتم نظاما دفاعيا يسمح بالعمل والدفاع ٠٠٠

هذا صحيح فى البداية ٠٠ ولكن لا تنس أن الذين ساعدونا فى البداية كانت الدول الاشتراكية نحن حاربنا سنة ٤٨ ببنادق تشيكى ٠٠٠ !!

الدول الاشتراكية ساعدتكم !! تصور خاطىء جعلها تعتقد انكم ستصبحون نقطة انطلاق للاشتراكية فى الشرق نظرا لتجاوركم مع حكومات اقطاعيه رجعية ٠٠ ولكن مع الوقت ظهر أنتماؤكم الحقيقى اولا لانجلترا وفرنسا ٠٠ ثم والان لامريكا ٠٠ ما رأيك ٠٠ !!

ـ أكمل ٠٠٠

ـ وعلى هذا الاساس تقف اليوم هذا الموقف الشريف بجوار شعوب المنطقه المجاورة لكم ٠٠٠ كى تحميها ٠٠ !!!

ـ تحميها ممن ؟؟ ٠٠٠

ـ منكم ٠٠٠

ـ لا أفهم ٠٠٠

ـ من أهدافكم التوسعية لحساب أمريكا ٠٠٠

ـ يجب أن تجيب على سؤالى ٠٠ لماذا ساعدتنا الدول الاشتراكيه أساسا ؟؟

ـ عدا ما ذكرته فلا أعرف ٠٠٠ سابدأ لاعرف ٠٠

ـ ستسأل من ٠٠٠ ؟؟ ٠٠

ضحكت وقلت له : السؤال لمعلوماتى الخاصة ولن تعرف الاجابة بالطبع ٠٠٠ سأسأل عندما أعود ٠٠ عموما ٠٠ اشتراكية الكيبوتز اليوم هى نوع من الاستغلال الرأسمالى الجماعى ٠ فباسم الامن القومى لاسرائيل يعمل آلاف الشبان فى أسرائيل لصالح أصحاب الملايين الامريكان ولصالح المجموعة العسكرية الاسرائيلية الحاكمة٠٠أما عندنا٠٠فأشتراكيتنا حقا فى دور

التجريب ولكنها اكثر صدقا٠٠فالدولة كلها تتبع النظام الاشتراكى فى التخطيط والتسيير٠٠ووسائل الانتاج ملكية شعبية٠٠وان كانت هناك بعض السلبيات فأنتم لكم دور كبير فيها ٠٠ فانتقالنا من حرب الى أخرى واستعداداتنا الدائمة للقتال‌تحت وقع التهديد المستمر٠٠يستقطب جزءا كبيرا من ميزانيتنا ومنجهدنا لو اننا وجهناهما تجاه التنمية لتقدمنا كثيرا فى طريق المجتمع الاشتراكى .

ـ لماذا لا نوفر ما ندفعه نحن وما تدفعونه للقتال ونعيش فى سلام نبنى بلدينا ٠٠٠

ـ هذا أقصى ما نتمناه ٠٠ ولكن هل ستتركوننا نعيش حقا فى سلام اشك كثيرا ٠٠ لان دوركم الذى حددته لكم أمريكا فى المنطقة لا يسمح بذلك وأنتم منفذو ٠٠ السياسه الامريكيه هنا ومرتبطون بها ارتباطا كاملا

ـ لماذا لا نترك امريكا ٠٠ وتتركون روسيا ٠٠ ونتصافى ونعيش فى سلام ٠٠

ـ يمكننا ان نترك روسيا ٠٠ لانه لا تربطنا بها أى أرتباطات مثل ارتباطكم بالسياسه الامريكية هل تستطيعون حقا أن تتخلصوا من أرتباطكم ٠٠ لا أعتقد يا عزيزى أن تفقدوا كنز الذهب الذى يتدفق عليكم فيتحول لمصانع ومستشفيات ومفاعلات ذرية ومشاريع رى ٠٠ وسلاح وتتوسعون به ٠٠ من أجل ماذا ؟؟ ٠٠ من أجل السلام ٠٠ ؟؟ وفرضا أن هذا ما تريدونه ٠٠ فلتتركوا لنا أراضينا التى استوليتم عليها بعد ٥ يونيو ثم نتفاهم ٠٠٠

ـ يا حبيبى والله ٠٠ والله نحن لا نريد أرضكم نحن نريد أن نجلس معا حول منضدة واحدة ٠٠٠

ولنقف قليلا لمناقشة هذا الحوار ٠٠ لقد كنا من الجيل الذى تفتح على الثورة ٠٠ وعاصر انتصاراتها ضد الملك والاستعمار والاحلاف العسكرية ٠٠ وكان يفخر بتأثير ثورته على شعوب العالم فى افريقيا وأسيا وأمريكا الجنوبية ٠٠

وهو الجيل الذى لم يمارس السياسة فلقد كان عبد الناصر فى نظر جيلنا أول مصرى يحكم مصر ويقودها بدراية وحكمة وسط الزوابع ٠٠

كان الميثاق والنظام المصرى فى نظرنا هو أرقى الصيغ التى تلائمنا وكان واجبنا هو أن نحفظ هذه الصيغ ونرددها دون أى تفكير كما نحفظ شعائر ديننا ولا نسمح لأى مخلوق كان بمناقشتها ٠٠ وعن اقتناع وعن ايمان ٠٠ ولذلك فعندما قيل لى انه لا توجد فى بلادنا ديمقراطية أو اشتراكية لم أكن استطيع الا الدفاع عنها حتى ولو كنت أسيرا فى يد أعداء قد يؤدى اصرارى هذا الى ايذائى ٠٠ وحتى بعد هزيمة عسكرية قاسية كشفت مدى ضعف الحكم وهزتنا من الداخل هزات عنيفة وحتى بعد أن قررت أن أراجع كل معتقداتى وأفكارى التى كونتها خلال الخمس عشرة سنة السابقة على الهزيمة٠

بعد أيام أستدعيت لمناقشة مع أستاذ العلوم السياسية والشرق الاوسط بالجامعة العبرية ٠٠٠

نفس البداية ٠٠ نفس النهاية ٠٠ ولكنه حضر لكى يسألنى سؤالا لم يستطع تلميذه أن يسألنى اياه ٠٠ وهو « هل فكرت ٠٠ لماذا تساعدكم روسيا ؟؟ » ٠٠٠ وأجبت عليه بسؤال آخر بعيدا تماما عن موضوعنا ٠٠ هل أنت مؤمن ؟ ٠٠ أعنى ٠٠ هل تؤمن بوجود الله ؟ ٠٠٠

ـ صمت قليلا ٠٠ ثم تردد ٠٠ ثم قال ٠٠ « لا » ٠٠ لماذا ؟ ٠٠ ثم أردف هذه خرافات ٠٠٠
ـ هل يوجد مؤمنون كثيرون هنا ٠٠٠ ؟؟؟ ٠٠٠
ـ البعض مؤمن ٠٠ ولكنه ليس متدينا ٠٠ والبعض مؤمن ومتدين ٠٠
ـ لماذا هم غير متدينين ٠٠ ؟؟ ٠٠
ـ تعاليم ديننا صعبة ٠٠ بمعنى أن فى يوم السبت ممنوع على المتدين أن ينقل كرسيا من هنا للشارع ٠٠ لانه يعتبر عملا ٠٠
ـ معنى ذلك أن عددا كبيرا منكم غير مرتبط باليهودية ٠٠
ـ نعم ٠٠٠
ـ لماذا أنتم هنا ٠٠٠ ؟؟؟ ٠٠٠
ـ نحن تربطنا الروح اليهودية ٠٠ !!
ـ ميتافيزيقيا أيضا ٠٠٠ !!! ٠٠٠
ـ لماذا اذن نحن هنا ٠٠ ؟؟ (سألنى لينهى المناقشة ويصل الى ما أريد)
ـ أنتم هنا من أجل واقع اقتصادى أنتم هنا رأس حربة للرأسمالية

العـالمية قريبـا من أسـواق الشرق الاوسـط وأماكن انتـاج المواد الخام •• أنتم هنا قاعدة عسكرية متقـدمة تسـدالفراغ بين حلفى الناتو وسنتاتو •• لسـد فراغ أيزنهاور اتذكرونه •• لاحتلام أراضى الدول الاشتراكية • هل فهمت لماذا تسـاعدنا روسيا ••• ؟؟

ــ لا •••

ــ هل اخطأت فيما قلته سـابقا •••

ــ قريبا من الصـواب •••

فلنبدأ القصة من اولها •• الاتحاد السوفيتى ايديولوجيته الاساسية تتنبأ بأن العـالم سـيصبح اشتراكيا يوما ما كمرحلة لانتشـار الشيوعية العالمية ••• وذلك نتيجة لصراع الطبقة العاملة ضد الرأسماليين •

ــ هـذا صـحيح •••

ــ يمنع انتصار الثورة الاشتراكية فى العالم بعض الحقن المخدرة التى اعطتها الرأسمالية لطبقاتها العاملة على هيئة بعض الامتيازات •• من أين احضرت هذه الامتيازات •• من استغلال الشـعوب المستعمرة •• معنى هذا أنه لو انتهى الاستعمار فلن تستطيع الرأسمالية الوفاء بالتزاماتها تجاه عمالها معنى هذا أنه ستزداد حدة التناقض الذى سـينتهى بثورة للطبقـة العامـلة ضدهـا ••

ــ هذا غير صحيح لان العمال لا يتقاضون مرتباتهم من المستعمرات ••

ــ ولكن الرأسماليين يجمعون أموالهم من المستعمرات والتى وفى غيابها سيتحولون الى أستنزاف ما تبقى من دماء عمالهم ممـا سـيزيد التناقض فيثوروا •• وبذلك سيفجر العالم بثورات اشتراكية متتالية تؤذن بقدوم العالم الشيوعى •• معنى ذلك أن نهاية الاستعمار هو نهاية الرأسمالية • ومحاربة الاستعمار هو خطوة فى سبيل الاشتراكية من وجهة نظرهم أننـا قد التقينا •• نحن وهم لا نريد اسـتعمارا لبلادنا •• ولا نريد اسـتعمارا فى منطقتنا •• ولذلك فهم يساعدوننا •• يعطوننا السـلاح لندافع به عن أنفسـنا ضـدكم •••

وهنا وقف وقد اصفر وجهه •• ومد الى يده مصافحا وقال •• أختلف معك فى الرأى ولكننى لا أستطيع الا أن أحترمك •• شـكرا ••

استدعانى أحدهم للاستجواب .. وبعد الاسئلة اللازمة لتلطيف جو الحديث وبعد أن أعطانى سيجارة أمريكية فاخرة وزجاجة عصير برتقال مثلجه .. قال لى ..

ـ بالطبع تريد أن تعرف ماذا دار فى مصر بعد الحرب ...

ـ ... .

ـ الرئيس عبد الناصر تنحى وخلفه زكريا محيى الدين ..

ـ ... .

ـ حدثت بعد ذلك مسرحية .. بكى الرئيس فى التليفزيون وبعد ذلك بعشر دقائق كانت الكاميرات تنقل المتظاهرين وهم ذاهبون له .. والراديو يذيع بيانات التأييد والتلغرافات مباشره .. ألست معى أن انتقال معدات التليفزيون لنقل الاحداث يحتاج الى مدة .. هل كانوا يعلمون بأن الشعب سيخرج ...

ـ ... .

ـ زكريا رفض المنصب وقال انه لا يقبل غير عبد الناصر رئيسا هو والشعب المصرى

ـ ... .

ـ فى مصر خافوا من انقلاب فأطلقوا صفارات الانذار وصوروا أن هناك غارة وأطلقت المدفعية طلقاتها على أهداف مزورة ...

ـ ... .

ـ يوم ٩ ، ١٠ يونيو

ـ ... .

ـ البلد الان فى فوضى شديدة .. زادت الاسعار .. ولا يوجد ما يكفى من الاحتياجات الاساسية للمعيشة .. الناس فى ذعر وفوضى

كانت هذه المناقشات صورة لما حدث للاخرين أيضا .. ولك أن تتخيل البدايات والنهايات المختلفة التى حدثت مع باقى الاسرى .. والتى كان لها ردود افعال ومناقشات لاأول لها ولا أخر .. فمثلا تعليقا عما سمعناه عن أحداث ٩ ، ١٠ يونيو ..

ـ البلد فى فوضى ...

ـ يا أخى انت عند عدو ...

ـ يجب أن تكون هناك فوضى فعلا ٠٠ أنا لا أستبعد هذا الكلام
ـ ولكن هل المظاهرات حقيقة ٠٠٠
ـ لماذا لا تكون حقيقة ٠٠٠
ـ هل فعلا التليفزيون كان يعرف فنقل المظاهرات بهذه سرعة ٠٠
ـ والتلغرافات هل تصل بهذه السرعة ٠٠٠
ـ فعلا هى مسرحية ٠٠٠
ـ وهل بلدنا يمكنها الان ان تستمر بدون عبد الناصر ٠٠٠
ـ وهل الذى خلقه لم يخلق غيره ٠٠٠
ـ خلق غيره بالطبع لكن هل بلدنا تحتمل التخريب فى هذا الوقت الحرج٠
ـ يتركنا فى حالنا ٠٠ مائة آخرون يستطيعون ٠٠٠
ـ صدقنى ٠٠ هذه مصيبة حقيقية ٠٠٠
ـ لا مصيبة ٠٠ كان من الممكن أن نعيش أحسن بدونه ٠٠٠
ـ والله أنا غير مصدق لما حدث ٠٠ كلام يهود ودعاية ٠٠٠
ـ ولماذا يكذبون ٠٠٠٠
ـ لان من صالحهم أن تتصور بلدك فى فوضى فتستسلم لهم ٠٠٠
ـ يجب أن تكون فوضى ٠٠٠
ـ كانوا وصلوا القاهرة ٠٠٠
ـ غير معقول لان الشعب ٠٠٠
ـ شعب ايه ياعم ٠٠٠
ـ الشعب الذى حارب فى بور سعيد ٠٠٠
ـ بور سعيد يا ساذج ٠٠ اسكتوا ٠٠ اتركونا فى مشاكلنا ٠٠٠

وهكذا كانت دائما ما تثور مناقشات حول امكانيات الحل السلمى ٠٠ التناطح مع أمريكا التفاوض مع اسرائيل ٠٠ حق شعب فلسطين فى العودة ٠٠ تحالف العرب والدول الشرقية هل الحرب هى أحسن الحلول ٠٠٠

تبع ذلك تصنيف للضباط يمكننى أن اتصوره كالاتى ٠٠ قسم يناقش بمنطق ويحاول أن يفهم وان يوضح ٠٠ وقسم لا يريد أن يناقش فيوافق على كل ما يقال له ٠٠ وقسم لا يريد أن يستمع حتى لما يقال ٠٠ وابتدأت التيارات اليمينية واليسارية والمعتدلة تظهر بوضوح خلال المناقشات ٠٠

ثم تتصارع وتعلو الاصوات وتنخفض •• ويختلى كل اثنين فى جانب للتدارس وتتسع الدوائر •• وتنكمش ويزيد المناقشات تأججا ضابط قادم من الاستجواب ••• فقد كانوا يدرسون الاتجاهات والمناقشات والنقاط التى يحدث عليها الصراع ثم يحضرون لها •• ويدفعونها فى الاتجاه الذى يريدونه عن طريق من طرقهم •• وقد تسألنى كيف كانوا يعرفون المناقشات التى تدور فى معسكر مغلق •••

كانت لهم أكثر من طريقة لذلك • الاولى سؤال مباشر لاحد الضباط الذين استطاعوا اجتذابهم •• ماذا تقولون •• ؟ •• والثانية •• طرح نقطة للبحث على جميع المستجوبين ثم يحضرون أفرادا من شرائح مختلفة فى المعسكر ويناقشونهم فى هذه النقطة •• والثالثه كانت بالتقاط سؤال من احد الضباط لهم أثناء استجوابه أو مناقشاته ••

كذلك أصبح للاستجواب فى هذه الفترة دور جديد •• وهو ترويج الاشاعات قد تتصور أن الامر بسيط •• ما هى الاشاعات التى يمكن ترويجها •• ؟؟ •• ولكن فى الحقيقة كانت الاشاعة سلاحا حاسما فى تعذيبنا •• استعملته المخابرات الاسرائيلية بمهارة شديدة •• وكانت أبرز اشاعة لها تاثير فى هذه المرحلة هى اشاعة العودة ••

- متى سنعود ••• ؟؟
- قريبا اقرب مما تتصورون ••• ؟؟
- ••• •••
- فى حدود شهر ••

ويعود حامل الاشاعه لينشرها سرا •• ثم تتزايد همسا •• وتتناقلها الاذان ••• ويؤكدها آخرون حضروا من الاستجواب••وبمر شهر••ولا نعود• لماذا ••• ؟؟

- الحكومة المصرية لا تريدكم ••• !!
- معقول لا يريدوننا •• نحن أولادهم •••
- لا يريدونكم لانهم يخافون منكم أن تقولوا الحقيقة •••
- وهل الحقيقة اصبحت خافية ••
- النظام قلق ولا يحتمل البلبله •••

ـ وهل لدينا القوة لخلق بلبلة ٠٠٠

ـ هذا رأى حكومتكم ٠٠٠

وينقلب التفاؤل الى ضده ٠٠ ونصاب بحالة سوداوية وقلق وقرف ٠٠ بعدما كنا قد أعددنا انفسنا للعودة ٠٠ وتمر الايام ونعتاد على سجننا ٠٠ ليطالعنا أحد المستجوبين ٠٠٠

ـ المباحثات تقدمت وستعودون لبلادكم ٠٠٠

ـ ٠٠٠ ٠٠٠

ـ خلال الاسابيع القادمة ٠٠

وترتفع حالتنا المعنوية الى أقصى درجة ٠٠ ونصاب بموجة تفاؤل تعم المعسكر لتنتكس ثانيا ٠٠٠

ـ اختلفنا ثانيا ٠٠٠

ـ لماذا ٠٠٠

ـ من أجل ثلاثة جواسيس ٠٠ تصوروا لا يريدون مبادلة ٥٥٠٠ أسير بثلاثة جواسيس ٠

ـ لهذه الدرجة ؟؟

وتدور الاحاديث ٠٠ ما هذا الاستهتار ٠٠ لا أصدق ٠٠٠

ـ بل صدق الفرد عندنا لا يساوى شيئا ٠٠٠

ـ لو كان ابن أحدهم معنا لرجعنا من مدة طويلة ٠٠٠

ـ اللواء ياقوت دفعة الرئيس لا يعقل أن يتركه هنا ٠٠

هذا ما حدث ٠٠٠٠

وهكذا ترتفع حالتنا المعنوية وتنخفض فى فترات متتالية متقاربة أو متباعدة حسب المخطط الاسرائيلى الموضوع لتدمير جهازنا العصبى لاتمام خطتهم ٠٠

الحراس الاسرائيليون يضحكون ٠٠ المستجوبون يبتسمون بسعادة شديدة ٠٠ الاذاعة المحلية تفتتح قبل ميعادها بمدة ٠٠ المذيع يذيع تعليقات ساذجة ٠٠ قالت السيدة أم كلثوم أنها لن تغنى الا فى تل أبيب قبل حرب يونيو ٠٠ والاذاعة الاسرائيلية يسرها أن تتيح للسيدة أم كلثوم

الفرصة للوفاء بوعدها للغناء فى تل أبيب خصوصا وأن هناك اكثر من مليون من العرب فى انتظارها واكثر من ٥٥٠٠ مصرى أسير بعتليب يتمنون سماعها تغنى لهم ...

نشرة الأخبار : أذاعت اذاعة القاهرة بأن المشير عبد الحكيم عامر قد انتحر خبر من بيروت بأن الرئيس المصرى جمال عبد الناصر قد استقال .. وفى هذه المره كان رد الفعل مخالفا تماما لكل التوقعات .. فلقد تصاعدت الهتافات من عنابر الجنود ...

- تسقط الاذاعات الكاذبة ...

- عاش الرئيس .. عاش المشير ..

ثم تلتها هتافات من عنابر الضباط ...

- تسقط الاذاعة الكاذبة ...

- لا رئيس غير جمال ...

الضباط يبكون .. الوجوه مصفرة .. كل منا يبكى .. بلدنا تسقط فعلا ....

- وايه يعنى لما يموت . عشرون الفا ماتوا فى سيناء .

- بلاش كلام فارغ ...

- كان رجلا طيبا ...

- الى أين يا بلدى .. مات المشير .. واستقال الرئيس ...

- وهل تركه الرئيس ينتحر .. انها عشرة عمره ..

- رجل شريف .. رفض تقبل الهزيمة ...

- الصدمة كانت أكبر منه ...

الجنود فى حالة هياج شديد .. يقذفون الابراج بالحجارة .. هتاف واحد ل ٥٥٠٠ اسير - ناصر .. ناصر .. ناصر ..

اليهود يلبسون الخوذ .. فى حالة ارتباك شديد .. بعض كبار ضباطهم ينزلون المعسكر فجأة ويهددون بحرماننا من سماع نشرات الاخبار ..

وفى اليوم التالى انتظرنا النشرة ...

أخبار بيروت المشير لم ينتحر .. وانما انتحر ...

الهتافات تعلو قبل انتهاء الجملة .. عاش المشير .. عامر .. عامر ..

يحيا عامر .. هس .. هس ...

أخبار بيروت تكذب خبر أستقالة الرئيس عبد الناصر ...

ناصر ·· ناصر ·· ناصر ··

ـ يعنى ايه انتحر ···

ـ يعنى ضغطوا عليه لينتحر ···

ـ يعنى مات ···

ـ تسقط الاذاعات الكاذبة ··· تسقط الاذاعات الكاذبة ···

ـ لا رئيس الا ناصر ·· ناصر ·· ناصر ···

اليهود فى غيظ شديد ··

ـ عائدون لك يا فلسطين ··

ذهول بين الضباط ··· بعضهم يبكى ···

ـ لماذا تبكى ··

ـ الم تستمع لهذه المصيبة ···

ـ المشير كان يجب أن يفعل هذا ··

ـ ولماذا تركوه ينتحر ···

ـ كى لا تظهر الفضائح ···

ـ يعنى مات حقيقى !!

ـ ولماذا لا ···

اليهود يطلعون اللواء ياقوت على رسائل وكالات الانباء المختلفة ·· وهى تقول أنه فعلا مات ·· الاذاعة الاسرائيلية تدافع عن المشير الان أصبح بطلا ··

ـ وما الذى قالوه عنه من قبل ···

ـ هذه اذاعة موجهة لنا فقط ···

ـ لا ·· فهى اذاعة عالمية لا تكذب ···

ـ يقال أن هناك مؤامرة وقبضوا على ضباط كثيرين ··

ـ مثل من ··· ؟

ـ صلاح نصر ·· وجلال هريدى ·· وعثمان نصار ·· وشمس بدران ··

ـ لا يعقل هذا ···

ـ اللواء ياقوت رأى أوراق وكالات الانباء ···

ـ الان ·· هل هذا وقت مؤامرات ·· ؟؟

ـ ممكن ···

ـ ياناس البلد فى أزمة ···

ـ من أجل تغطية ما فعلوه فى سيناء ٠٠

ـ هذا كذب

ـ الرجل قرأ رسائل وكالات الانباء ٠٠٠

ولتخفيف الضغط ٠٠ تحسنت أصناف الطعام ٠٠ وزادوا لنا القيش فى المراتب ٠٠ واحضروا لنا دفعة من خطــابات مصر وطرودها ٠٠ واحضروا لنا أيضا طرودا من الحكومة المصرية وخفت الازمة تدريجيا ٠٠ حتى تنسينا ما يحدث فى القاهرة ٠٠٠

وفى يوم قالوا انهم قد أحضروا لنا سينما ٠٠ أخذ كل منا بطانيته أو جردل التبول الليلى ٠٠ وجلسنا صفوفا على الأرض امام شــاشة للسينما ٠٠ ننتظر ٠٠٠

عرضوا علينا أول فيلم ٠٠ عن الكيبوتزيم ٠٠ العمــل بداخله ٠٠ الغذاء ٠٠ الراحة ثم مناقشات الاجتماعات ٠٠ وفى آخر هــذه المناقشــات وقفت سيدة تقول ٠٠ أريد أن يكون لى منزلى ـ أطفالى ـ زوجى ٠٠ أريد ان أعيش حياة خاصة أربى أولادى وارعاهم واراعى زوجى ٠٠ نعيش فى فقر فى يوم ونغتنى فى يوم ٠٠ نأكل ما نريد نلبس ما نريد ـ حقا الحياة فى الخارج اكثر صعوبة ولكننى اريد أن اعانيها ٠٠٠

ثم فيلم آخر ٠ عن حياة البدو فى صحراء النقب وقسوتها وكيف يقدم الاطباء الاسرائيليون كل رعاية لهم ٠٠ بل يخاطرون بحياتهم فى الصحراء من أجلهم ٠٠ ثم أنواع الرعاية الاجتماعية المختلفة قوافل الصـحة وقوافل التعليم ٠٠ وقوافل الاعاشه المستمرة فى النقب ٠٠ وتصل قمة الدعاية عندما يلحق مواطن بدوى بالجامعة العبرية ويصبح طبيبا يقوم برعاية أهله ٠٠ وفى النهاية هكذا تصبح اسرائيل رســول الحضــارة بين هؤلاء العرب المتخلفين ٠٠ ولكن ما ننبهم ٠٠ هذا الفيلم ناطق باللغة العربية ٠٠ أى انه موجه اساسا لعرب فلسطين ٠٠٠

فيلم آخر عن المشروعات الاساسية لتعمير النقب ٠ مصانع البوتاس على البحر الميت مشروعات رى النقب وتحويل نهر الاردن ٠٠ ثم فيلم عن اعداد المظليين الاسرائيليين وتدريبهم ٠٠ وهو فيلم شبيه بالفيلم المصرى عن اعداد المظليين المصريين ٠٠ ومجموعة من أفلام الدعاية الواضـحة التى أضجرتنا ٠ فى نهاية السهرة قمنا نسب لهم ولهذه السينما السخيفة التى صدعوا بها رءوسنا ٠٠ وبطبيعة الحال وصلتهم تعليقاتنا ٠٠ ولكنــهم

بالتأكيد كانوا يعرفون أن هذا سيكون رد الفعل بدليل أنهم أفرغوا جميع أفلام الدعاية المباشرة فى سهرة واحدة •• ثم أصبحوا يعرضون علينا أفلاما طويله بعد ذلك فيلم كل أسبوع •••

فى منتصف الأسبوع التالى طلبونا لحضور محاضرة أو ندوة •• وكان موضوعها اللغة العبرية وعلاقتها باللغة العربية •• محاضرة طويلة عن قرابة اللغتين فهما من أصل واحد •• فى اللغة العبرية تقول آحاد •• اشنين •• ثالوث •• رباع •• خمشه • فى اللغة العربية تقول رجـــل •• فى العبرية يقولون رجال •• وهكذا أمثله كثيرة لا أتذكرها جيدا ولكننى كنت موافقا عليها •• فبالفعل اللغتان نشـأتا فى منطقة واحـدة ولابد أنهما قد تأثرتا ببعضهما •• كما حدث بين الفرنسية والايطالية والاسبانية •• ولكن المحاضر يتبع ذلك بأننا أبناء عمومة •• وأنه ولابد أن يحل السلام والتفـــاهم بين أبناء العمومة وعموما كفانا المحاضر مئونة تحليل ما يريد ان يصـــل اليه فلقد اوجزها هو بنفسه فى نهاية المحاضرة عندما قال •• وسواء رضيتم أم لا •• وســواء كان هـذا اليوم (قريبا أو بعيدا) الذى سنتفاهم فيه ونتبادل المصالح التجارية والصناعية •• فانه من الضرورى عمل جسر بين اللغتين بدايته عمل قاموس للغة العربية العبرية •• ونحن ندرس اللغة العربية فى مدارسنا كلغة أولى اجبارية لكل طلاب المدارس فى اسرائيل •• وسنعقد دراســـات للعرب فى اللغة العبرية •• فى الضفة الغربية وفى الجولان •• وفى قطاع غزة وســـيناء •••

وتطورت حياتنا •• فلنأخذ يوما من هذه الايام •• عتليت الساعة ٧ صباحا الحجرة رقم (١٠) •

ـ يا حضرات برتيتة البوكر جاهزة ••
ـ يا أخى قول يا صبح •• بوكر •• بوكر •• بوكر •• انتم ايه ••!
ـ احنا ورانا ايه •• واحد •• اتنين •• ثلاثة •• والرابع رفع رأسه من تحت البطانية •• الا أونه •• الا دوه ••
ـ فـــرق ••
ـ صباح الخير يا حضرات ••• الفطار ••• الفطار ••
ـ والنبى خذ لى ••• معـك •••
ـ لا قوم انت •••
ـ لما أخلص الدور ده •••

ـ من يلعب بريدج ٠٠٠
ـ انطاوله من حقنا اليوم ٠٠ أمس كانت فى الحجرة رقم (٩) ٠٠
ـ أحضرها يا مجدى ٠٠٠
ـ نعمل دورى ٠٠٠
ـ أنا أخذت الدورى مرتين والرائد توفيق مرة ٠٠ ومحمود مرة ٠٠
ـ نعمل القرعة لتحديد اللاعبين ٠٠٠
ـ انت يا جدع انت مش دبتى تستندرق وتطفى النور ٠٠٠
ـ أنا حر يا أخى أسهر زى ما أنا عايز ٠٠٠
ـ تصوروا فى الحجره رقم (٨) كانوا حاطين جردلين واحد للميه والتانى للتبول واحد منهم قام فى الضلمة ظرطار فى جردل الميه وشرب من جردل البول ٠٠٠
ـ يا شيخ محمد النهارده حـمد نقرا شوية فى الاوده ١٢ ٠٠٠
ـ العب معاكم ٠٠٠
ـ لا أعملوا برتيته تانية ٠٠٠
ـ أنا عندى صولد محترم سجاير العال مش سيلون ولا ناديف ٠٠٠
ـ شارك الدكتور ٠٠٠
ـ نعيما يا عم ٠٠٠ هـل توجد مياه فى الحمامات ٠٠
ـ ميه جميلة ٠٠ حلقت فى الاوده ٦ واستحميت ٠٠٠
ـ ثمن علبة المربى دلوقت ثلاث علب سجاير بلمونت صغيرة ٠٠
ـ وبكره ترخص كمان لما الناس تخلص سجاير ٠٠٠
ـ أنا محتفظ بالسجاير لغاية مترخص خالص وحشترى بها غيارات٠٠
ـ يا أخى خـلى عندك دم ٠٠ زمـلائك بيشمشموا على سيجارة وانت لا تدخن ومخزنها عندك ٠
ـ ايه حقى أنا لا أدخن أكل مربى ٠٠ أشرب عصير ٠٠ أشترى غيارات ٠٠
ـ وزميلك يبقى بدون غيارات ٠٠
ـ والله مزاجه هفه على كده ٠٠ يايدخن ٠٠ يايلبس ٠٠ حد ضربه على ايده ٠٠
ـ تلاعبنى عشره طاولة بعلبة بلمونت كبيرة ٠٠٠
ـ لا صغيرة ٠٠٠
ـ تعالى ححكى لك حكاية ٠٠٠

ـ عارفها القائد سابك ·· ومشى وتهت فى الجبل ·· وكنت حتموت من العطش ·.·

لا ··· ده فوزى بيقول ان الاتفاقية وقعت ···

ـ ياعم والله ما عايزينكم احنا حنفضل هنا طول العمر ···

ـ لادى حقيقى ·· فوزى رشا الحارس بعلبة سجاير بلمونت كبيرة ·· وسمعه صوت العرب النشرة ·· بس متفولش لحد ···

ـ تفتكر حقيقى حنمشى امتى ··· ؟؟ ···

ـ بتوع ٥٦ قعدوا شهر ونصف واحنا كده على شهر سبتمبر ···

ـ لا سبتمبر كتير قوى ·· نقعد ٤ شهور ·.·

ـ امبارح حضرنا الارواح فى السلة وكتبت أننا حنسافر فى سبتمبر ··

ـ بلاش كلام فارغ ···

ـ والله السلة حقيقى أنا أعرف واحد ···

ـ اسكت وحياة أبوك أنا مش فاضى لك ···

ضجة ـ ياه ·· برافو ·· برافو ·· تصور ضرب صولد على فلوش ما نكيه·

ـ كسب قد ايه ···

ـ أربع علب سجاير ···

المستجوب لمح لى من بعيد ان كنت عايز أسافر بره ·· ممكن ··

ـ ازاى ··· !!

ـ قال لى لو تسافر بره تحب تروح فين ··· !!

ـ طيب م تسافر ·· هى عيبها الوحيد انهم حيشغلوك هناك جاسوس ··

ـ لا جاسوس ولا حاجة ·· مش أحسن من الرمية دى ·· أنا أقدر أسافر أى بلد ومن هناك أروح الكويت او ليبيا ·· وابعت أجيب مراتى وولادى ···

ـ فكرة عظيمة ···

ـ اذا طولنا عن شهر كمان حطلب منهم ···

ـ يا شيخ محمد عيب كده انت راجل عارف ربنا كويس ميصحش ··

ـ أمال نسيبهم يموتونا هنا ·· والله فى الاخر حيزهقوا ويموتونا ··· الواحد يسافر بلد كده ولا كده ·· ولا يقعد لغايه م يموتوه ···

ـ فلان الفلانى ·· مطلوب استجوابه ···

ـ أيوه ياعم ·· حتشرب لك سيجارة نضيفه وشاى ·· وحاجة ساقعة·

ـ والنبى تقول لهم على الصابون ·· لحسن خلص وعايزين ···

ـ وكونتشينه ٠٠٠

ـ الجوابات اتاخرت والطرود ٠٠٠

ـ حاول تتشمشم كده حنمشى امتى ٠٠٠

ـ الجرايد بتاعتنا جيبتوها ٠٠٠

ـ لا ٠٠ هاتها والنبى ٠٠٠

ـ شـوف يا سيدى الكـلام ٠٠٠

ـ ايه ده يقصدونا احنا ٠٠٠

الجريدة دى مدسوسة وحقيره جدا ٠٠٠

ـ أنا بقول نقاطعهـا ٠٠٠

ـ وليه نقاطعها ٠٠ مش عايز تقراها بلاش انت لواحدك ٠٠ لكن حنفضل حاطين حواجز على فكرنا لحد امتى ٠٠٠

ـ الكلام ده كلام أعداء ٠٠ افهم ٠٠ ومطبوعة مخصوص علشان أهالى المناطق المحتلة ٠٠ عايز تقرأ ٠٠ اقرأ الجيروزليم بوست ٠٠ يمكن محترمة شـــويه ٠٠٠

ـ اتفلسفوا علينا اكمنها بالانجليزى ٠٠ لا حقرأ جريدة « اليوم » واللى عايز تعمله اعمله ٠٠٠٠

ـ قالك ايه المستجوب ٠٠٠

ـ قال انهم مش عايزينا فى مصر ٠٠ وان المشكلة ٣ جواسيس مصر مش عايزه تسـلمهم مقـابل الاسرى ٠٠٠

ـ والله م أنا مصدق ٠٠٠ بقى ده كـلام عاقل نصدقه ٠٠٠

ـ بكره لما نروح مصر حتعرف ان ثلاثة جواسيس أهم منك ومن الـفـ مثـلك ٠٠

ـ وقال ايه كمان ٠٠ فيه طرود ٠٠ فيه جوابات ٠٠٠

ـ بيقول مندوب الصليب الاحمر ٠٠ رجع ومعه ٤ جوابات فقط وطردين٠

ـ وأين هـم ٠٠٠

ـ اتسلمت للواءات ٠٠٠ كلها لهم ٠٠٠

ـ شوف البلد ٠٠ حتى هنا كمان ٠٠ لواءات ايه احنا يعنى زبالة ٠٠

ـ ده طبع ٠٠ مفيش فايدة سعد زغلول قال كده ٠٠ والله والله بيسرقوا فى مصر طرودنا ميتورعوش عن سرقة سجاير أسير ٠٠٠

ـ بالمناسبة الطرود فى المرة اللى فاتت جابوا اللواء ياقوت فتـــح الصندوق بنفســه ٠٠٠

ـ فض الشمع الاحمر ·· وسابها فى الأوده بتاعة الاذاعة ومع ذلك وصلت ناقصة ··
ـ أنا شفت بعينى العساكر المصريين اللى بينضفوا دخلوا الاوده وبصوا يمين وشمال وحطوا علبتين سجاير من الطرود فى جيبهم ··
ـ النهارده ذيه سينما ·· قاللى ·· وسألنى ايه الافلام اللى بتحبوها ··
ـ شفت البنت أم صدر كبير ···
ـ لا ·· لكن شفت شويه رجلين ونخاد ·· يابوى ·· مش معقولين ·· ولا سلاسل الذهب ·· الشعور ·· الشعور ·· متفكرنيش .
ـ كل الناس تقف انتباه ·· تحية للكنت رويال ···
ـ اتلعب صح ·· قال بارول عليه ·· البيه قال علبة سجاير والبيه التانى رفعوم لخمسى علب ·· راح ضارب عشر علب ·· افتكروا بيبلف ·· دخلوا معاه .. واحد .
ـ كان معاهم ايه ···
ـ فول رواه ·· وثلاثة آرس ···
ـ الغدا يا حضرات النهارده بولوبيف ···
ـ دى لحمة خنزير ·· والله اوعوا يا حضرات تكلوها ··
ـ هاتوا لى أنا لحمة الخنزير ·· اوعوا يا حضرات تكلوها ·· هاتوها لى أنا ··
ـ يا ناس والله دى لحمة بقرى ··
ـ الشيخ محمد أكل منها ···
الشيخ محمد ياكل الدردى ·· انت مش فاكره لما شرب دوله وقعد يصوت ويقول ويسكى ·· ويسكى ···
ـ أنا رحت بنفسى المطبخ وسألت قالوا اللحمة بقرى مش خنزير ·· واليهود على كل حال مبيكلوش خنزير ···
ـ انت عارف ان فيه ترفيه جه من تونس ···
ـ مش معقول ايه ·· ؟؟
ـ مربى ·· وبسكويت ·· وأمواس حلاقة ···
ـ بيشمتوا فينا ··
ـ والله بورقيبه راجل ·· هو أول واحد قال نلمها شويه ··
ـ يا اخى بدل ما تشتم أشكر ·· انت أيه ·· ؟؟
ـ انت امبارح ·· وانت نايم كنت بتحلم بايه ··· ؟؟

ـ ليه ؟؟

ـ كنت بتصوت وتقول ابنى ٠٠ ابنى ٠٠

ـ حلمت انه بيسقط من البلكونة ٠٠٠

ـ انا حوديك لواحد فى المعسكر هنا يرقيك ٠٠ بتضحك والله حقيقى ٠٠ يقرأ لك شوية قرآن قبل النوم ٠٠

ـ لا أبدا أنا رحت للدكتور وسألته ٠٠ ادانى « برت رانكيل » أخذتهم قبل النوم ولا ورد ٠٠ ولا عفاريت ٠٠ يا راجل اتمدنوا بقى ٠٠

ـ ايه رأيك انا مش عاجبنى الطريقه اللى بنعيش بيها ٠٠ عايزين نجـدد ٠٠

ـ وأيه تصورك للتجديد ٠٠

ايه رأيك نعمل محاضرات تثقيفية بدل البوكر والخيبة اللى أحنا عايشين فيها ٠٠٠

ـ موافق ٠٠ لكن أيه المواضيع الممكن الكلام فيها ٠٠

ـ الرسم ـ المسرح ـ السينما ـ علم النفس ـ التطور ـ القضية العربية ٠٠

ـ شوف لنا كام واحد كده ونقعد أنا شخصيا موافق ٠٠

ـ أيه رأيك ٠٠٠

ـ انا شخصيا لى رأى فى القضية العربية بلاش الكلام فيها لحسن كل حاجة بتوصل ٠٠

ـ يا أخى فى مواجهة الحرب النفسية دى لازم تعمل حرب مضادة ٠٠

ـ ربنا يفوت الايام دى على خير ٠٠ وعندما نصل بيتنا سينتهى كل شىء ٠٠ عموما مليش دعوه بأى حاجة ٠٠ لكن الرسم والمسرح ٠٠ الجنس موافق ٠٠٠ بالمناسبة شفت مجلة البلاى بوى ٠٠

ـ لا ٠٠ تلاقيها حلوه ٠

ـ تجنن ٠٠ يا أخى بيجيبوا النسوان دى منين مش الغفر اللى فى مصر ٠

ـ أحنا حتى مش لاقيين لاقين الغفر دول ٠٠٠

ـ لا انا عندى ماتتش غسيل ٠٠ حغسل البيجاما والكام غيار والاوفرول

ـ عندك شوية أومو ٠٠٠

ـ آه بعتوا لى من مصر رابسو ٠٠ وتايد ٠٠٠

ـ بيوفر كثير فى الغسيل ...

ـ أنا بنقع الهدوم فى الميه والرابسو يوم .. ثم اضع الصفيحة تحت الدش ساعة اثنين .. وانشر الهدوم على السلك لغاية م تنشف

ـ لا مينفعش لازم تدعكها ..

ـ ياعم عنها مندعكت المهم تكون ريحتها كويسة وخلاص احنا حنتجوز

ـ النهارده سينما .. وقفل الابواب متأخر بعد السينما . احجز لنا ببطانيتك ..

ـ أيه الفيلم .. بيقولوا كيلوباترا ...

ميت مره كيلوباترا ويجيبوا أفلام اخرى .. اشاعات ..

ونحضر الفيلم .. فيلم فرنسى جنسى جدا .. عن سيرك انثى تغرى رجلا لمزاولة الجنس ثم تهرب مع رجل اخر ويضطرون لقضاء ليلتهم فى كشك بالجبل يشغلون الدفاية .. ويزاولون الحب مرات عديدة بتفاصيل كثيرة .. .. وينتهى الفيلم ..

ـ أيه رأيك .. أما حتة فيلم ..

ـ يابوى على النسوان .. والقبلات والحب ...

ـ والموسيقى والرقص ...

ـ الناس دى أكيد عايزه تجننا .. الفيلم مستحيل يتعرض عندنا بالشكل ده واحنا مطلوقين .. يقوموا يعرضوه والواحد آخر ذل .

ـ حتى الواحد مش لاقى مكان يدارى فيه حاجة تكسف .

ـ ياواد ياشقى .. كل واحد يا ساده يحاسب على نفسه متى ...

ـ مساء الخير .. أحاد .. اثنين .. ثالوث .. تصبحوا على خير .

ـ عندنا اليوم الصبان سيغنى يا حضرات بدلا من محمود لان فى الاوده ٨ برتيتة بوكر سيحضرها ...

ـ معزمتش ليه أيمن بيطبل كويس ...

ـ انت صاحبه معزمتوهش ليه ...

ـ الصلاة يا حضرات .. حى على الصلاة .. حى على الفلاح .. الله أكبر .. الله أكبر ..

ـ انت م بتصليش ليه ..

ـ نفسى والله .. لكن حاسس انى بضحك على ربنا ...

العدد اللى بيصلى كبر .. لم يبق الا انا وأنت والرائد توفيق ..

ـ علشـان مسيحى ..؟

ـ عارف .. لكن بيصلى يوم الاحد .. القسيس بيجى لهم ويصلوا ..

ـ مشتاق يا أحباب مشتاق .. وتعبت من الاشـواق .. صمت شديد وشـــرود

« ياما زقزق الامرى على ورق الليمون .. نصفيق على الواحدة..

ـ حبيب قلبى واعدنى ...

ـ فى الحجره ٢٠ عملوا مسرح عرايس عايزين نعزمهم يوم يعملوه لنا..

ـ مين اللى أخد بولة الطاولة ...

ـ فاضـل دور بين محمود ومجدى ...

ـ معاك سيجارة نضيفة ...

ـ انت قريت الجواب ده ميت مرة ...

ـ يا جماعة الساعة بقت ثلاثة عايزين ننام ...

ـ م تنام حـد مسـكك ..

ـ النور ...

ـ كل واحد حر .. يعني لو كان اليهود اللى بيقولوا تنام والنـور مفتوح تنـام ..

ـ لازم كل واحد يحترم الاخرين ..

ـ قوللى من فضلك مين بيستحق الاحترام فيكم ...

ـ حكسر اللمبة ...

ـ اكسرها وأنا أكسر رقبتك ..

ـ أنت أخلاقك حقيرة ...

ـ انت فاكر نفسك بنى آدم .. الدلورد منك بقرش ...

ـ وانت اذا م سكتتش حقوم أضربك ...

ـ يا جماعة صلوا على النبى ...

ـ لا .. دى عيشة تزهق أنا حعزل من الاوده دي بكره .. مليش قعاد معاكم .. كل يوم سهر للساعة ثلاثة .. واربعة .. لا ياحضرات .. واذا الواحد اتكلم بيتشتم .. لا يا حضرات .. دى مش عيشة .. الواحد بيقاسى من المصريين اكثر من اليهود ... لا يا حضرات .. دى مش عيشة .. لهم حق يغلبونا ...

ـ اتكتم واسكت ..

ـ حاضر حتكتم انتم ايه مش مصريين .. فراعنة ...

ان الاسرائيليين لا يملون الدعاية •• وحربهم النفسية مستمرة •• قبل الحرب •• وأثناء الحرب •• وأثناء الاسر •• وبعد الاسر ستستمر أيضا دعايتهم وحربهم وتأثيرهم وهم لهذا يبذلون جهدا كبيرا •• وتخطيطا علميا حقيقيا للوصول الى أهدافهم •• وهى ترسيخ بعض المفاهيم فى عقولنا عن ضعفنا وتفككنا •• وقوتهم وسيطرتهم وعظمتهم •• وبالتالى عدم قدرتنا على مناطحتهم والصمود أمامهم وما تبقى أن نستسلم تماما لما يريدون .

فقبل الحرب لم تمل اذاعتهم أبدا عن الدعاية •• بل استغلوا أن حالتنا تستوجب البعد عن أهالينا دائما •• فاغرقوا اذاعتهم بأغانى التشويق للاحباء البعداء •• وكان لهذا تأثير بالتأكيد بطىء ولكنه فى النهاية مثمر •• وأثناء الحرب استغلوا التدهور والتفكك الذى حدث للجيش المصرى أحسن استغلال •• وقد كنت أعجب للنداءات التى كانوا يذيعونها وأعجب لسعة خيالهم كما رأينا قبلا ولكننى فهمت ما معنى ذلك عندما رأيتهم يجمعوننا من الصحراء كسمان وقع فى أقرب شبكة منصوبة له على شاطىء البحر بعد رحلة طويلة مرهقة •• وفى بداية الاسر كانت دعايتهم مركزة على اسقاطنا من الداخل •• على كسر انسانيتنا جماعيا •• على تكثيف الاحساس بأننا نعيش فى غابة •• وكيف تزيد التنازع والضغائن بيننا •• بل وبالعكس كيف كنا نشعر بانسانيتنا أثناء الاستجواب •• ومع العدو فقط وكيف توصلنا الى نتيجة خطيرة جدا وهى أننى كمصرى بين المصريين محتقر وذليل وكانسان فرد أمام مستجوب شخص يستحق الاحترام حتى من عدوه •• وكيف توصلنا أيضا الى نتيجة خطيرة أن سبب ذلى هو مصريتى وهو انضمامى لجيش مصر •• وأسرى مصر •• وكيف توصلنا فى النهاية للتبرأ من مصريتنا •• وعضويتنا بجيشها وانضمامنا لجماعاته •• ثم وبعد ذلك محاولتهم لبث فكرة انهم لا يحملون لنا أى ضغينة وهم المظلومون المدافعون عن أنفسهم ضد طغيان حكامنا العرب الذين تدفعهم تطلعاتهم الشخصية •• ورغبتهم فى مجد شخصى للتضحية بنا •• وكانت وسائلهم لذلك متعددة •• حبس الاخبار عنا وتركنا عميانا فى بلد من المبصرين •• ثم السماح لنا بالاخبار المسيطر عليها بطرق مختلفة •• وكيف كانوا يقلبون أوجاعنا كلما هدانا ببيان أو فيلم أو محاضرة أو اشاعة أو استجواب أو كتاب أو أغنية أو قطعة موسيقى ••

ثم كيف استغلوا الحرمان وربط السيجارة النظيفة والقهوة والشاى والمرطبات بالاستجواب •• وتحويله الى قضاء وقت سعيد بدلا من الضرب

منه .. كذلك استغلوا الجنس الاذرع العارية .. الأرجل العارية .. الصدور العارية .. الجالسة فى الطريق للاستجواب .. الذاهبة للمطعم والمتكلمة فى الميكرفون .. ثم كيف زادوا انفعالنا الجنسى عن طريق المجلة .. والفيلم .. والزيارة .. وهكذا استعمل اليهود كل شيء .. الخطابات .. الاكل .. النوم .. المرحاض .. الترفيه للوصول بنا الى هذا الشكل ..

كنا كفئران التجارب فى معمل ابحاث .. يضعهم الباحثون فى الظروف والاماكن ويعالجونهم بالشكل المطلوب لابحاثهم ليطوروا عليهم تجاربهم ثم يعيدوهم بعد أخذ النتائج ...

ولقد أجرى علينا الاسرائيليون تجارب عديدة نفسية وجثمانية وعلمية واجتماعية .... ودونوا نتائجهم وطبقوها ثانية علينا .. من هذا المفهوم .. نستطيع أن نقول أن معظم تصرفاتنا ... وحياتنا فى معسكر عتليت كانت انعكاسا للتجارب التى يجربها باحثو اسرائيل .

تجمعنا فى يوم أمام السور الامامى للمعسكر فى انتظار نشرة الاخبار وكان الاسرائيليون فى حالة ارتباك شديد .. وفى الموعد لم تذع النشرة .

ـ لماذا ...؟؟

ـ النور مقطوع عن المعسكر ..

ـ لا بد وأن شيئا ما قد حدث ...

لا أعرف ...

ثم انتشر الخبر بعد ذلك .. انتشر من معسكرات الجنود .. لقد غرقت مدمرة اسرائيلية دمرتها لهم البحرية المصرية ...

ـ كيف عرف الجنود ...

ـ وهل يخفى عليهم شيء ....

ـ حتى هنا ...

ـ مش معقول .. لقد انتهت الحرب ..

ـ وما الذى يمنع ....

ـ حقا .. كيف عرف الجنود ....

ـ لا أعرف الا أنهم أرسلوا لنا ورقة بالخبر ...

وفى اليوم التالى تجمعنا ثانية للاستماع لنشرة الاخبار .. حرائق فى مستودعات البترول بالزيتية ...

الحرائق تشاهد على بعد ٢٠ كيلو متر ..
الدخان الاسود يغطى مدينة السويس ..
مستحيل السيطرة على الحرائق ..
ضجة فى العالم نتيجة لغرق المدمرة الاسرائيلية ايلات ..
هيه .. هيه .. (صيحات فرح للمصريين) ...
الجنود الاسرائيليون يصوبون رشاشاتهم لنا ..
اسكت خلينا نسمع الباقى ...
ضرب مستودعات البترول فى الزيتية رد عملى على اصابة المدمرة ايلات .

المدنيون يهاجرون من مدن القناه ... الاقتصاد المصرى ينهار ..
ودارت المناقشات حول هذا الموضوع ...

- ضربة معلم ...
- والله خبر جميل جدا .. لكن كيف عرف الجنود ...
- هيه المدمرة يبقى فيها كام ...
- حوالى ألف ...
- بلاش هباله ... الف ايه لا يزيد عن ميتين ...
- طظ فى الزيتية ...
- لكن هم مجانين يسيبوا بترول فى مستودعات على مرمى بنادق العدو مش مدفعيته ..
- كله بثمنه .. يعنى ميضربوش ايلات لغايه م يفضوا المستودعات .
- الواحد اترد له ثقته بنفسه ..
- عقبال سينا ...

كان هذا الخبر ايذانا بمرحلة جديدة فى حياتنا .. فلاول مره نشعر أن العالم خارجنا تحدث فيه احداث مخالفة لما نسمعه عن أن الكباريهات فى القاهرة مفتوحة وأن المواطنين يتنزهون على الكورنيش وأن الاقتصاد المصرى فى انهيار وأن هناك انقلابات وانتحارات وأنهم لا يريدوننا كى لا نثير البلبلة ... الخ ...

وصاحب هذا انفجارات متتالية فى معسكرات الجنود .. واضراب عن الطعام وانتقلت الاضرابات الى معسكرات الضباط .. وقامت أكثر من معركة بين الجنود المسلحين بالطوب وقطع القماش المبلل بالسولار

والمحترقة ٠٠ وبين الاسرائيليين المسلحين بالرشاشات وهاجم الجنود برج حراسة واستولوا على رشاش ٠٠ واستدعى احتياطيات جديدة للسيطرة على المعسكر ثم اعادوا دراسة نظام الحراسة بالمعسكر واحضروا اللواء الجولانى ليشاركنا فى معسكرنا ٠٠ وسارت طوابيره ليلا ونهارا تستعرض خطوتها وتغنى أغانى بالعبرية على الحان موسيقى غربية وزادت ورديات الحراسة الراكبة عربات جيب المصطحبة للكلاب وشاهدنا محاولتين للهرب ساذجتين ٠٠ احداهما كان ضابطان صغيران وقعا عند أول منعطف خارج المعسكر عندما تحدث معهم احد الجنود الاسرائيليين فلم يستطيعا الاجابة الا بكلمة « شالوم » وهى الكلمة الوحيدة العبرية التى يعرفانها ٠٠

واضطر اليهود لاصطحاب اللواء ياقوت والرائد صفوت للسيطرة على الجنود فلقد منع الجنود المصريون الاسرائيلين من أخذ التمام ٠٠ ولقد عاد لنا الرائد صفوت بصورة لما يحدث فى معسكرات الجنود ٠٠ فهناك نظام الحكم مختلف لقد أستقر بشكل قبلى ٠٠ فأفراد المحافظات المختلفة تجمعوا فى وحدات صغيرة ٠٠ والمحافظة التى لها رجال أكثر تحكمت وفرضت سلطتها على الاخرين ٠٠ وهكذا وفى ظل الحكم القبلى أوقف الجندى ذو العصبية الكبيرة الصف ضباط فى الصف بغض النظر عن رتبتهما وساعد على ذلك أن عددا كبيرا منهم كان من الجنود الاحتياط أو المستدعين قبل الحرب مباشرة ٠٠ ثم برزت بعد ذلك القيادات الحقيقية التى استطاعت تنظيم الحياة فى المعسكر وقيادة الاضرابات وقيادة المعارك المختلفة ٠٠ ووصفهم بأنهم رجال فى منتهى الصلابة والجدة ٠٠٠

كنا نجلس صامتين ٠٠ نستمع الى اعلان حلول شهر رمضان من الميكروفون المعلق بالمعسكر ٠٠ ثم صوت المذيع وهو يهنئنا بهذه المناسبة الدينية ثم القرآن المذاع بعد ذلك وانفجر الرائد عادل فى البكاء والتشنج ٠٠ متذكرا زوجته وأولاده ٠٠ وحسرتهم وهم يحتفلون برمضان دون عائلهم ٠٠ وتمتم أخر ٠٠ أول مرة أغيب عنهم فى مثل هذا الشهر ٠ واندفع أخران لنجدة الرائد عادل المغشى عليه ٠٠ ثم انفجرا فى البكاء مع الكلمات الحزينة التى يقولها خلال بكائه ٠٠ وتنبهنا على صوت أحدهم يقول « وحدوه ٠٠ بكره نرجع ونعوض اللى فات » ٠٠٠ جلست ساهما أفكر ترى كيف ستحتفل بلدنا برمضان ٠٠ بعد هذه الهزيمة النكراء ٠٠ ترى ٠٠ هل ستضاء الانوار ٠٠ وهل ستباع الكنافة والمكسرات ٠٠ وهل ستستمر السهرات للفجر فى الحسين ٠٠٠ !! ــ وهل سيقول بعضهم لبعض كل سنة

وأنت طيب ٠٠ ؟؟ ترى كيف تعيشين يا بلدنا ٠ جفف البكاؤن دموعهم ٠٠ وجلسنا نحكى ذكرياتنا ٠٠ ايام طفولتنا ٠٠ وأيام صبانا ٠٠٠ وأيام شبابنا ٠٠ المكسرات ٠٠ قمر الدين ٠٠ الفوانيس الملونة ٠٠ الاغانى القديمة ٠٠ جو ورائحة ليالى الف ليلة وليلة ٠٠ حضر الحراس وفتحوا لنا الابواب مهنئين برمضان ٠ فالنظام الجديد للمعسكر أن تغلق الابواب فى الساعة الثامنة ٠٠ وتفتح فى الثانية عشر لقد تقلصت ساعات الحبس الى أربع ساعات يوميا ٠٠ وسمح بأذاعة الاغانى والقرآن ليلا ٠٠ وساد المعسكر شكل جديد من اجل رمضان ٠٠٠

فى الصباح انتشر خبر قدوم اللواء الكاهن الاسرائيلى ٠٠ ليقابل ٠ مندوبى الاسرى ويرتب معهم الترتيبات المعيشية خلال شهر الصيام ٠٠٠

وبعد الظهر عرفنا أنهم قرروا أن يحسنوا ويزيدوا كمية طعامنا ويعدلوا مواعيده بما يناسب الشهر الجديد وأنهم قرروا أن يصرفوا لنا (لبن زبادى) ٠٠٠ ومكسرات وفراخ على الافطار ٠٠ وقابلنا فى البداية موضوع صرف الفراخ باستغراب ثم ابتدأت بعد مدة مناقشة الموضوع تارة باستهزاء ٠٠ واخرى بشهوة وامتدت المناقشة بين هل صحيح ان اليهود سيطعموننا فراخا وزبادى ومكسرات أم لا ٠٠٠

واذا كان فما مقدار الفراخ ياترى التى سياكلها كل منا ٠٠ وكم مرة فى هذا الشهر ٠٠

وكان من قبل قد حضر لزيارتنا اللواء اسحق رابين رئيس أركان الجيش الاسرائيلى مر علينا فى حجراتنا وشاهد أماكن نومنا ٠٠ وعندما وجد عندنا كتابا لمؤلف هندى عن (عبد الناصر مصر) سالنا ترى لو كان أسرانا عندكم هل كنتم ستعطونهم كتبا عن ليفى أشكول أو بن جوريون ٠٠ ويومها قلنا له سنجعلهم ينامون فوق أسرة بدلا من النوم على الارض ٠٠ ووعد بأن يامر باحضار أسرة لنا ٠٠ وأعطونا كمية من البرقوق كهدية لزيارته ٠٠٠

وفعلا أحضروا لنا أسرة قرب بداية رمضان ٠٠

أصبح الجو أكثر برودة ٠٠ المطر الغزير يهطل ٠٠ أحضروا لكل منا ٤ بطانيات بدلا من البطاطين السابقة ٠٠ وأكثر نظافة وجدة ٠٠ وأحضروا لنا بعض الملابس الصوفية القديمة ٠٠ بدل كاكى صوفية من النوع الذى نسميه « باتل درس » ٠٠ وسمحوا لنا بطرود جديدة من مصر ٠٠ تحمل ملابس

صوفية وبيجامات صوفية وكستور .. وادخل للحمامات نظام المياه الساخنة والباردة .. ثم احضروا لنا بعض الحلوى وقالوا هدية من نجمة داوود (مثل الهلال والصليب الاحمر) وبعض اللب والسودانى والحمص وقالوا هدية من الشعب الاسرائيلى ..

ثم تلت زيارة اسحق رابين .. زيارة للقادة الاسرائيليين .. الجنرال اهرون مدير المخابرات العسكرية الاسرائيلية .. والجنرال مزدخاى هود قائد الطيران ومدير الاذاعة الاسرائيلية الناطقة باللغة العربية .. واعضاء من الكنيست الاسرائيلى ومن الحزب الحاكم .. وزادت حفلات السينما .. وتحسنت نوعيتها .. بعضها عن السيرك .. واخرى عن حياة مغنى الاوبرا كروزو وكان فيلما جيدا وبعضها افلام هندية ولكن ما يستحق الاهتمام منها حقا فيلمان او ثلاثة اسرائيلية ناطقة باللغة العبرية .. وكان الجنود الاسرائيليون يترجمون لنا الحوار وان لم يكن فى حاجة للترجمة الفيلم الاول تدور احداثه فى المانيا اثناء حكم النازى .. وخلال مطاردة الجستابو لليهود اختمت عائلتان فى حجرة سرية هربا من الاعتقالات وفى انتظار تهريبهما للخارج .. فى العائلتين شاب وشابة .. فى سن الحب .. فى سن التفتح .. كان لابد أن تنشأ بينهما علاقة عاطفية .. ولكن فى مثل هذه الظروف .. وتحت انظار الاباء والامهات والعمات والجدود تتحول هذه العلاقة الى عذاب .. الانظار تحيطهما .. وتفهم سرهما .. ولا يستطيعون مساعدتهما الشابان يحاولان ان يختليا ببعضهما فى ركن ولكنهما يخجلان من اهلهم وهم لا يشعرون بانهم يفهمونهما ويعطفان عليهما ... الاعصاب تتوتر مع كل طارق .. الاعصاب تتوتر من الحبس .. والرعب من الموت .. عمة عانس تنفعل .. يا للقسوة .. حق الحياة الطبيعية محرومان منه .. فى نهاية الفيلم ومع اصوات ابواق عربات الجستابو القادمة للقبض عليهم تندفع الفتاة الى حضن فتاها ويغيبان فى قبلة طويلة .. ثم يصلحان ملابسهما ويسيران مع باقى عائلتيهما الى قدرهم ..

وهو فيلم جيد كقصة وتصويرا واخراجا وتمثيلا .. يستطيع فعلا وفى الظروف الطبيعية أن يسرق منك الحب والعطف على اليهود .. والصهيونية .. ثم يصل بك للنقطة الحاسمة وهو حقهم فى أن يكون لهم وطن يمرحون فيه ويحبون ويزاولون حياتهم من خلال حوار غير واضح وغير ظاهر فى الفيلم ولكن تاثيره علينا كان تعليقا ظريفا من أحد الزملاء اذ قال « الله يخرب بيته هتلر »

لمـــــاذا ؟؟

لانه لم يقض على اليهود ويريحنا منهم ·· فيلم أخر ·· أم يهودية ·· ضمن عائلة كلاسيكية تعيش فى فرنسا ·· الاب يقرأ والام تشتغل التريكو والطفلة تعزف على البيانو والطفل يستذكر دروسه ·· الاضــاءة خافتة نظرا لقيود الاضاءة أثناء الحرب العالمية الثانية ·· ثم صوت صــفارات الانذار ·· وتحدث غارة ·· ويسقط المنزل وتموت تحت الانقاض الابنة ·· ثم يدخل النازى المدينة ويقبضون على الاب ·· وتهرب الام ·· ويشــاهد الطفل اعدام النازى لمجموعة من رجال المدينة ومنهم أبوه ·· الابن يهرب عن النازى وهم يطاردون جميع أهل المدينه يأكل من صندوق الزبالة مثــل القطط والكلاب الضالة ·· الام تنضم الى ملجأ لتربية أطفال اليهود فى جانب من الارض غير المحتلة أطفال كثيرون ·· الام تبحث عن ابنهــا ·· والابن مشرد ثم تتوالى أحداث الفيلم حتى دخول الامريكيين فرنسا ·· ويتعلق أحد جنودهم بالطفل ·· ويعلمه الانجليزية ويحاول تبنيه ·· والام تجد سلوتها فى حب الاطفال بدلا من ابنها ·· والاطفال يبادلونها حبا بحب ·· وزميلاتها فى الملجأ يعطفن عليها ويحاولن البحث لهــا عن ابنها ·· الجندى الامريكى يقرر أمرا بعد ما جاءته الاوامر بالتحرك سيرســل الطفــل الى الملجأ ·· وفى نفس الوقت تقرر الام أمرا ستبحث عن طفلها ·· الام تتجه الى محطة السكة الحديدية بعد حفلة وداع صغيرة يقيمها لهــا الاطفال ·· فى المحطة تجد فوجا من الاطفال ذاهبا الى الملجأ ·· تبكى من اجلهم تحن لهــم تقرر الا تسافر وتهب حياتها للاطفال من أجل ابنها ·· ترجع معهم تداعبهم وهم يغنون تضع يدها على رأس احدهم ينظر لها تنظر له ·· انه ابنهــا ضمن هذا الفوج ·· وبين القبلات والدموع يكتسب اليهود عطف العـــالم وتكتسب اسرائيل ملايين من الدولارات التى تحولها الى أســلحة تشرد بهــا أطفال العرب ···

هذه امثلة لافلام شاهدناها فى هذه الفترة محاولة لكسب عطف أسرى حرب لا حول لهم ولا قوة على القضــية اليهودية ·· ومحاولة لترســيخ مفهوم أن اليهود مظلومون وأنه من العدالة قيام وطن لهم ناسين أن لنا أطفالا نبحث عنهم ·· بين اللاجئين والمشردين فى فلســـطين وســـوريا والاردن ومصــــر ····

وفى الليالى التى خلت من الافلام كانت هناك المحاضرات ·· محاضرة عن الديمقراطية فى اسرائيــل ابتدأ المحاضر حديثه بأن اسرائيــل هى البلد

الديمقراطى الاول فى العالم .. فتعدد الاحزاب وتنوعها من أقصى اليمين الدينى الرجعى التوسعى .. الى اقصى اليسار الشيوعيي الصيني أو السوفيتي .. وما بين هذين الطرفين أحزاب تتفاوت درجة يمينيتها أو يسـاريتها .. جعلها قمة الديمقراطية .. وهو الشىء غير المتوفر فى دول العـالم أجمع حتي انجلترا أو أمريكا .. الفرد فى اسرائيل يستطيع أن يقول أى شىء فى أى مكان وبأى صورة ومسموح بذلك عدا العنف فى فرض الرأى ...

هامش (ان هذه الاحزاب فريدة فى نوعها اذ هى قد نشأت قبل قيـام اسرائيل وفى ظل مجتمعات غريبة فى أوروبا الشرقية وبولونيا وروسـيا القيصرية على وجه التحديد .

أغلب هذه الاحزاب بدأت أحزابا طائفية متعصبة ولقد شجعتها حركة الصهيونية العالمية أنها ليست احزابا على الطريقة الاوروبية رغم انهـا أوروبية النشأة فى الغالب فهى تقوم بنشـاطات متعددة فى حقـول مختلفة من الاقتصاد الى الخدمة الاجتماعية والضمان الصحى والثقافى والانبـاء والمصارف والمسارح والجرائد والنوادى وليس بمستغرب ان تشكل « دولة داخل دولة » رغم تعددها وشدة صراعها العقائدى وحدة التنافس والتناحر الا انها بمثابة تنوعات مختلفة على الموضوع الاساسى الواحد : الصهيونية ومخططها العدوانى فى جمع شمل يهود العالم تحت ظل دولة اسرائيل » .. هذه الاحزاب تعكس المذاهب السـائدة فى القرن التاسـع عشر . العلمـانية والاشـتراكية والليبرالية والقومية المتطرفه وتنافسـها ليس عقـائديا او ايديولوجيا بقدر ما هو من قبيل السعى وراء المصالح الخاصة والمنافع الاقتصادية أو الحصول على أكبر جزء من الميزانية .

بعضها تحول الى تروستات اقتصادية هذه الاحزاب تقوم على مركزية القيادة حيث تنحصر السلطات الحزبية بأيدى فئة قليلة من الزعماء أما باقى الاعضاء فينضمون للحزب لكى يستطيعوا أن يجدوا عمـلا او خـدمات أو تسهيلات .. والتى بدون ذلك لن يجدوها ..)

(نظرة فى أحزاب اسرائيل « أسعد مرزوق »)

لم يعارض مغامرة ٥ يونيو سوى عضوين شيوعيين فى الكنيست وباقى الاحـزاب أيدت الاعتداء على العـرب .. أسـاس الدعاية الاسرائيلية فى اسرائيل مركزة على اعتبـار العرب مجموعة من المتوحشـين الذين يريدون الفتـك بالاسرائيليين ولذلك يجب مقـابلة القـوة بالقـوة والارهـاب بالارهاب ...

المحاضره الاخرى عن نشأة اسرائيل ٠٠ ومن خلال المحاضره نفهم أن أكثر من ٨٠٪ من مواطنى اسرائيل ليسوا متدينين وأن نسبة ٣٠٪ من هؤلاء غير مؤمنين أســـاسا بل هم ملحــــدون أما الهدف من التجمع الصهيونى فهو تحقيق تقــــابل للروح اليهودية ٠٠ وهو نهاية العجــــز الايديولوجى الذى تقوم على أساسه دولة اسرائيل ٠٠ الروح اليهودية فى مفهومهم هى أن اليهود خلال تاريخهم الطويل لاقوا من الاضطهاد والتشريد والقسوة ما لم يلاقه غيرهم ٠٠ فهم من البداية مطرودون من مصر مستعبدون فى العراق مضطهدون فى الجزيرة العربية فى صدر الاسلام ومع بداية الدعوة من النبى محمد بالذات ٠٠ ثم وفى العصر الحديث واقعون تحت اضـــطهاد القياصرة الروس والنازية وأعداء السامية فى أوروبا وحاليا منبوذون من ١٠٠ مليون عربى يحوطونهم بالكراهية ولقد نجوا من اعداءهم العديدين ثلاث مرات خلال عشرين عاما ٠٠ والسبب فى هذا (هو الروح اليهودية والتضامن اليهودى النابع من التوراة ٠٠ التى ما هى الا تاريخ الا جداد ووصاياهم) والروح اليهودية تصل الى أقصى حالتها فى المساعدات التى يقدمها لنــــا اخواننا يهود العالم جزءا من حقنا فى أموالهم ٠٠ ويسكب المحاضر الاعمى يستجدون حتى أسراهم ٠٠ اننا فى ايديهم يفعلون بنا ما يشاءون فلا يجدون طريقة لاقتناعنا الا بواسطة محاضر أعمى يبكى لنا ؟

ولكن النقطة الهامة فى هذه المحـــاضرة هى كيف أســـتطاع اليهود المتفرقون القادمون من جميع أنحاء العالم أن يكونوا وحدة متجانسة تشكل شعب اسرائيل ٠٠

ويعترف المحاضر ٠٠ أنه لولا عداء الدول العربية لهم لما أســـتطاعوا أن يحققوا هذه الوحدة فاليهود العرب الشرقيون (مراكشى ٠٠ جزائرى ٠٠ عراقى ٠٠ مصرى ٠٠ يمنى) واليهود الغربيون واليهود الروس واليهود الامريكان ٠٠ بتباينهم واختلاف فكرهم ولغاتهم وأشكالهم وطرق حياتهم لم يوحد بينهم الا عداء العرب لهم ٠٠ وبالتالى الدفاع عن النفس ٠٠ وكانت كلما ظهرت التناقضات قتلوها بأسم العدو الرابض على الحدود ٠٠ معنى هذا أنه لولا خوف اليهود المشترك من العرب لا نفجرت أسرائيل من داخلها ٠٠ ولكن هل مجرد الخوف هو الذى أذاب الفوارق وحافظ على الكيان الاسرائيلى يقول المحـــاضر أنهم قد كونوا معسكرات تستقبل اليهود الجدد المهـــاجرين ٠٠ تعلمهم اللغة العبرية وتدرس لهم الايديولوجية الاسرائيلية ٠٠ ثم تحكى

لهم كيف يعانون فى سبيل التقدم والمدنية ::: وتطلب منهم المحافظة على المكاسب واكمال النضال من أجل الدماء المهدرة على مر التاريخ • ومن خلال هذه التربية تستطيع اسرائيل تجنيد ١٠٪ من سكانها (وهى نسبة عالية جدا اذا عرفنا أننا نجند ١٪ من سكاننا) •• ومن خلال هذه التربية تدفعهم للعمل فى مستعمراتها الجماعية العسكرية على الحدود وفى الاماكن الصعبة ••• ويستطرد المحاضر •••

ان اغانيكم ودعايتكم كانت تحمسنا أكثر منكم •• فيكفى أن نستمع لمن يقول سنرميكم فى البحر •• اضرب •• اقتل •• اقتل •• اذبح •• بالنسبة لك كلام اما بالنسبة لى خوف ورعب وحرب وانتصار وموت وتعذيب ثم حماس •• وهناك نقطة أخرى طرحها المحاضر وتستحق الاهتمام وهى كيف استطاع اليهود بناء إقتصادهم ••• ويركز المحاضر صراحة بأن أغلبية يهود العالم تجار •• وأن الانتاج يحتاج للزارع والصانع وهى مهام لا يتقنها اليهودى ولحل هذه العقبة اشترت الوكالة الصهيونية اراضى فى فلسطين وحولتها الى مستعمرات زراعية يعمل بها اليهود فى زراعة جماعية •• ثم حولت جميع المعونات التى تتلقاها من دول العالم الى مصانع ومعامل ومشروعات اقتصادية وبذلك استطاعت تحويل ما تتسحته الى انتاج وفى هذا المعنى قال المحاضر •• وبعد عشرين سنة من العمل والانشاء وبعد ما ابتدأنا نأخذ ناتج هذا العمل •• تريدون أن تحرمونا منه •••

حقا •• بعد هذا المجهود هل نريد أن نحرمهم منه •• وبالتالى هل سيستسلمون بسهولة ••• !! سؤال لابد سيضغط على عقولنا بعد هذه المحاضرة •••

والنظرة الأولى ونتيجة لظروفنا يمكن ان تجعلنا نقول •• لا •• لا حرام •• لابد من الصلح والاتفاق ولكن النظرة التالية ستجعلنا نفكر فى هذه الدول التى تقدم لنا قمحا وعربات وأجهزة تكييف هواء ولبن وجبن وأدوات زينة وكلها مواد استهلاكية •• تنتهى باستعمالها مقابل بترولنا وقطننا •• وتقدم لاسرائيل المصانع والمعامل والخبرة وادوات الانتاج وكلها أدوات تنتج وترفع مستوى المعيشة حضاريا مقابل •• لا شىء •• هذا هو الفارق •• لماذا تقدم لنا أمريكا القمح والجبن وتقدم لاسرائيل المفاعل الذرى لتحويل المياه المالحة الى مياه صالحة للشرب ؟؟ هذا السؤال لابد من تفهمه جيدا واستيعابه ونحن نجيب على سؤالنا الاول هل بعد هذا المجهود نريد أن نخرجهم من ارضهم •• هكذا نصل الى منطلق آخر للقضية •• المفروض أن تصبح بلدنا مصدرا للمواد الخام وسوقا للمنتجات المصنعة •• وأن تصبح

اسرائيل قاعدة صناعية متقدمة أى نظل نحن متخلفين لما لا نهاية ٠٠ وتزداد سرعة تقدمهم وفرصتها الى ما لا نهاية وفى ضوء الحياة والموت تصبح الاجابة على السؤال ٠٠ يجب اخراجهم ٠٠ أو تحويلهم الى شكل مخالف لهذا الشكل القاتل لنا !!!

فلنعد لمحاضرنا !!!

لنجده يلقى ببذوره لتنمو ٠٠ أو يؤكد نمو بذور أخرى ٠٠ ومن اهمها ان اليهود أصبحوا شعبا له مقومات الشعب من لغة وأرض وحضارة ودين ٠٠ وأن الدولة اليهودية فى اسرائيل ذات تاريخ حضارى عريق وحاضر حضارى متقدم وأن اقتصادهم أصبح اقتصادا يعتمد على مجهوداتهم الصناعية والزراعية وميزانهم التجارى تخدمه الزراعة والصناعة المصدرة وليست المعونات ٠٠ فالمعونات تحولت الى مراكز الانتاج ٠٠ وأنهم لكى يحققوا ذلك بذلوا مجهودا كبيرا ٠٠ ودما وعرقا واعصابا ٠٠ لا أول لها ولا آخر وأنه بحرمانهم من نتاج عرقهم ومجهودهم بربرية ولا أنسانية ٠٠ وبذلك تتحول حربنا الى تعصب وتدمير لدولة حضارية متقدمة تستحق كل احترام وتقدير لمجهوداتها الجبارة فى سبيل الحياة ٠٠ تسلسل منطقى معقول جدا ولكن هل يقنعك ٠٠ !!

المحاضرة التالية كانت عن الكيبوتزيم ٠٠ وفى هذه المحاضرة يحاول بلورة وانماء البذور التى طرحتها الزيارات والاستجوابات ٠٠ من جهة ومن الجهة الاخرى التشكيك فى اشتراكيتنا العربية بمقارنتها باشتراكية الكيبوتز ٠٠ و الكيبوتز هو مستعمرة زراعية صناعية لها حجم معين فقد تكون كبيرة أو متوسطة أو صغيرة بين ٣٠ و ١٥٠٠ نسمة ولقد أنشئت لحماية اليهود من العرب المغيرين عليهم فى بداية الهجرة الثانية هكذا يقول ولقد اشترت الوكالة الصهيونية بعض الاراضى ٠٠ واستولت على أراضى أخرى بعد أن تركها أصحابها العرب ورحلوا فأخذناها نحن وحولناها الى زراعة متقدمة ٠٠ والحياة فى المستعمرة اختيارية ولكن يشترط فى بعض الاحيان أن يقضى بعض المستوطنين الجدد مددا متفاوتة "وفى هذا يقول بن جوريون « لابد وان يعانى المستوطن الجديد ما عاناه المواطن القديم فى الانشاء » وهذا بالطبع ان لم يكن هذا المستوطن من الاغنياء أو حاملى الشهادات والخبرة التكنيكية ٠٠ أو منضما لحزب من الاحزاب الكبيرة أو الهستدروت ٠٠ فالحياة هناك شيوعية كل الناس تعمل ٠٠ كل الناس تستفيد استفادة متساوية ٠٠ وان اختلفت الاستفادة من كيبوتز لاخر حسب درجة غنى هذا الكيبوتز ٠٠ وعموما لا جديد فى هذه المحاضرة عما عرفناه من قبل ٠٠٠

في صباح أحد أيام الشهر انتشرت اشاعة بأن الفراخ في طريقها الى المطبخ واندفع الضباط الى الاسوار لنجد أكياس الفراخ الدنمركي وهي تنزل من العربة الى المطبخ ... ثم اندفع اخرون الى الرائد فريد .. المكلف بالاشراف على التعيين يستحثونه لمعرفة الاخبار من المطبخ .... وقف الرائد فريد بكرشه الخارج من بنطلون البيجاما ووجهة التركي الاحمر وعينية المتعبتين لصحوه فجأة من النوم يطلب مقابلة الشاويش أمزراحي حكمدار المطبخ وحوله الضباط يتغامزون ...

- أيوه ياعم الفراخ جت ....
- يومك ... ده ...
- أوعوا يحرقبوها ...
- أنا عايز نصيبي مسلوق ....
- وحياتك خليهم يحمروها قوى ...
- أنا عايز فرختي كامله زي م . هي ...
- يا ترى حيعملوا على الشوربة أيه ...
- لو كان عندهم ملوخية ؟؟

واخيرا سمح للرائد فريد بمقابلة الشاويش أمزراحي .. وبعد حوالى ربع ساعة رجع منكس الرأس .. وتوالت التعليقات .. لازم مش لنا الفراخ ....

- يا ترى زعلان ليه .. !!!
- لازم أتخانق .... !! وعندما دخل من بوابة المعسكر التف حوله الضباط ثم انتشرت اشاعة في المعسكر بأن الفرخة ستقسم على عشرة أفراد .. ومع انتشار الاشاعة توافد الضباط الى حجرة الرائد فريد .. غير مصدقين وللتأكد منه شخصيا .. واجتمع كبار الضباط فورا لمناقشة هذه المشكلة الهامه : -

قال أحدهم - ياحضرات هذه اهانة لا تغتفر هل نحن شحاتون .. الفرخة على عشرة .. أنا رأيي أن نرفض أكل الفراخ ... وصفق له الحاضرون وهتفوا .. فلتسقط الفراخ الاسرائيلية .. قام اخر خلال الهتاف .. حاول أن يرفع صوته قائلا ...

اسمعوا من فضلكم .. لو رفضنا الفراخ بماذا سنفطر ... واحنا ناس صايمين ... أنا من رأيي أن نطلب زيادة الكمية ...

رد الاخرون ... - مستحيل سيرفضون ....
- نعمل مظاهرة .. ونضرب عن الطعام ..

ـ لسه قاتلين اثنين من كام يوم ·· واحنا قربنا نروح بلدنا ··
ـ بلاش مشاكل ···
ـ ناكل الذى مع الفراخ ·· ونتركها لتعفن فى حللها ···

وأخيرا تقرر أن يشكل وفد يطلب مقابلة قائد المعسكر للتشاور معه ليحفظ لنا كرامتنا ·· وخرج الوفد ·· ومن حوله الضباط يؤيدونهم ·· ويرجون لهم التوفيق ·· ووقف الضباط قريبين من الاسوار والبوابة منتظرين ما سيحدث ·· وبعد نصف ساعة عادوا يسيرون بسرعة ونشاط ·· وهتف الضباط عندما رفع أحد أعضاء الوفد كفه بعلامه V أى انتصرنا ··· وعندما فتحت البوابة حمل الضباط اعضاء الوفد على أكتافهم وذهبوا الى حجرة الرئاسة ليقف أقدم الضباط خطيبا ···

أولا : يا حضرات الفرخة مش على عشرة الفرخة على ثمانية ···

ثانيا : واضح ميقدروش يزودوا العدد أو يغيروه باللحمة لانه انتصرف وهم عندهم روتين زى عندنا بالضبط ···

ثالثا : هذا هو التعيين الذى يصرف للجندى الاسرائيلي العادى حسب قوائم التعيين وبالمناسبة الفراخ كبيرة شوية ···

رابعا : وهو الاتفاق ·· اتفقنا ·· وسكت قليلا ·· وتعلقت الاعين به لتعرف الحل رغم كل هذه الاعتراضات ثم أكمل ·· ان نصف الناس تأكل اليوم ·· والنصف الاخر يأكل فى وجبة الصرف القادمة ·· وبهذا الشكل تصبح الفرخه على أربعة ···

كان لشهر رمضان طعم آخر فى الاسر ·· فلقد كنا قد قاربنا الوصول الى الشكل المطلوب أن نكونه أى تم بنجاح الانتقال بنا من مرحلة كسر الانسانية لمرحلة التشكيك فى أنفسنا ومجتمعنا ثم انتقلنا الى مرحلة استقبال افكار جديدة وأراء جديدة ·· ولم يبق الا مرحلة الصداقة أو الذكرى الحسنة ·· لذلك فلقد تحول المعسكر فعلا فى النهاية الى معسكر جوالة أو أصطياف · أسرة ننام عليها والحبس لا يزيد عن ساعات معدودة ·· كنا نحشر فيها فى غرف بعينها عشرون أو ثلاثون اسيرا ·· حول أحدهم يغنى أو مسرحا للعرائس ·· أو مسرحية أو بارتيته بوكسر أو ندوة ·· أو حلقة ذكر ·· وتشتعل لفافات الدخان ·· وتحمر الاعين من السهر ··· وترتفع الضحكات ·· وفى بعض الاحيان ـ التشنجات والنهنهات ثم يوزع السحور كميات كبيرة وجيدة من الجبن والزبادى والمربى والعدس ·· ونسهر حتى الفجر نتجول فى المعسكر نتكلم ·· أو نجرى تحت رذاذ المطر الخفيف نلعب كالاطفال ··· وتقام صلاة الفجر باحتفال يضم أغلب مسلمى

المعسكر وفى هذه الايام أحضروا لنا منضدة للبنج بونج ٠٠ وشبكة فولى بول وكرات فنتقام مباريات البنج بونج لليوم التالى ٠٠ لننام ساعات قليلة نقوم منها لنلعب البريدج والبوكر والفولى بول ونغسل ملابسنا ٠٠ ونقرأ بعض القصص التى جاءتنا من مصر ٠٠ سواء فى طرود خاصة أو عامة ٠٠ ويقوم بعضنا للاستجواب الذى لم يعد يشد اهتمامنا كثيرا ٠٠ ثم نستمع لمحاضرة أو فيلم سينما أو نحضر ندوة من الندوات ويتكرر اليوم ٠٠ الان اتخيل أنك تسألنى وماذا كنتم تقولون فى ندواتكم ؟؟ ساقص عليك منها ٠٠ فى احد هذه الندوات كان موضوع الحديث التطور ٠٠٠

ــ هناك نظريتان يحكمان تفسير الحياة على الارض ٠٠ النظرية الاولى تقول أن الحياة خلقت كما هى الجبال كما هى والبحار كما هى ٠٠ والمخلوقات كما هى ٠٠ لم يحدث عليها تغيير ٠٠ والنظرية الثانية تقول بل الحياة متحركة متفاعلة متطورة ولا وجود للثبات الجبال لم تكن بهذا الشكل منذ مليون سنة ولن تصبح بهذا الشكل بعد مليون سنة أخرى والبحار واليابسة والموجودات الحية على الارض لم تكن بهذا الشكل ولن تكون فهى فى حالة تطور وحركة مستمرة على مر الزمن ٠٠

ــ بالطبع النظرية الاولى هى السليمة ٠٠ فهذا يتفق مع الكتب السماوية ٠٠٠

ــ ولكن النظرية الثانية تتفق مع العلم ٠٠ وما دمنا نتكلم كلاما علميا فلنترك جانبا الى حد ما الديانات ونتكلم حسب النظريات العلمية ٠٠

ــ لا ٠٠ احنا مسلمين أو مسيحيين ولنا دين ٠٠٠

ــ يا أخى انت ضابط مدفعية عندما تدرس رياضة أو نظريات الميكانيكا أتسأل الاول هل هذا يتفق مع الدين أم لا ؟؟

ــ الكلام ده تخريبى ٠٠ انت مخرب هل معنى ذلك أنك تكفر بالاديان ٠٠

ــ لم أقل هذا وانما قلت عندما تكون الكلمة للعلم فلنتفق على أن يكون محور حديثنا ومراجعنا هو النظريات العلمية ٠٠ وتتعالى الاصوات تسكته ٠٠٠

ــ لكن من أين جاءت الارض ٠٠٠ وما عليها ٠٠٠

ــ يعنى انت عايز توصل ان الانسان كان قردا ٠٠٠

كان هناك سديم ٠٠ انفجر ٠٠٠

ــ وقبل هذا السديم ماذا كان ٠٠٠

ــ وقبل وجود الله ماذا كان ٠٠ ؟؟ سنصل الى مجهولين ٠٠ وبالتالي فعلينا أن نؤمن بالموجــود ٠٠٠

ــ طيب ٠٠ طيب انقل ٠٠ الارض موجودة حتى ظهر الانسان ٠٠٠

ــ أنا أسف يا جماعة بهذه الطريقة لا اســتطيع أن أكمل ٠٠ فلنتكلم فى موضوع آخر ٠٠٠

ــ هل تريد أن تحجر علينا تقول ما تريد ونحن نستمع لك فقط ٠٠ تعــلم اليدمقراطية ٠٠

ــ الديمقراطية هى أن تتركنى اقول وجهة نظرى حتى النهاية ٠٠ ثم تقول أنت وجهة نظرك أيضا حتى النهاية ٠٠٠ وعلى كل منا الا يتعصب لرايه ويحاول أن يقتنع ٠٠

ــ اكمل ٠٠٠ اكمل ٠٠٠ نحن نريد أن نسمع متى ظهر الانسان على الارض ٠٠٠٠

ــ ظهر الانسان فى نهاية تطور طويل وصلّ الى ملايين السنين ٠٠ فمنذ كانت الحياة نبضة صغيرة حتى أصبحت نبضات فى الماء تنمو لتصبح خلايا فاميبا ٠٠ وتطور الاميبا لتصـــبح جـــد المملكة الحيوانية وتثبت أخريات على الشاطىء مكونة المملكة النباتية ٠٠ ثم تتطور الاميبا الحيوانية الى أسماك كثيرة فحيوانات برمائية ٠٠ فزواحف فطيور فثدييات وتتفرع من الثدييات عائلات كثيرة ٠٠ كثيرة ٠٠ حتى نجد القرد الانسانى الاورانج أوتان ٠٠ والغوربلا ٠٠ والجيبون ٠٠ والشمبانزى ومنه عائلتان احداهما تخط فتصبح قردة ٠٠ وعائلة أخرى تســتعمل أصــبعها الخامس فتمســك بالادوات وتنتصب لتسير على رجلين فتكبر رأسها ٠٠ ويكبر عقلها فتزداد التجاويف فى مخها ويزداد بذلك عدد الخلايا المفكرة ٠٠ ويصبح بذلك القرد الانسانى ٠٠ انسانا ٠٠٠ بالعمل وبالانتصاب واقفا وذلك خلال حلقـــات طويلة قد تستغرق كل حلقة آلاف السنين ٠٠

ــ أولا ٠٠٠ قصة أنه كلما كبر المخ زاد الذكاء هذه غير حقيقية ٠٠ فلا علاقة بين كثرة التجاويف والذكاء ٠٠٠

ــ مستحيل بل هناك علاقة سببية حقيقية لو رأينـــا مخ قرد ومخ انسان سنجد أن مخ الانسان انحناءاته أكثر وتجاويفه اكثر ٠٠

ــ أنا أتحداك ٠٠ لا علاقة بين الخلايا وبين مقدار الذكاء ٠٠٠

ــ احنا بنتكلم بالعلم الآن ملكش حجة ٠٠

ــ هل تنكر سلسلة التطور هذه ٠٠٠

ــ بالطبع ٠٠ الان أصبحت كلها مغلوطة وبهـا سلبيات وفراغات كثيرة ٠٠ وهى نظرية لا علمية ٠٠

ـ الم تدرسها فى كليتكم ...

ـ لا .. لا ندرس هذه المغالطات ...

ولولا أن الحراس أنقذوه بفتح الابواب لتطورت الندوة الى معركة ولكن سلم الامر ...

همس فى أذنى ....

ـ اليوم عندنا ....

ـ لمـــاذا ... ؟؟

ـ عندنا العقيد فلان سيغنى

ـ عقيد يغنى ...

ـ صوته رائع .. أغانى عبد الوهاب القديمة ...

ـ عقيد ... عقيد ...

ـ عقيد احتياط كان فى معهد الموسيقى العربية .. وعنـــد اللواءات ضاغطين عليه لدرجة انه فعلا بيقول عايز أقعد معاكم ...

فى المساء كنا حوالى الثلاثين .. نجلس فى دوائر ضيقة جدا حول منضدة أمامها عقيد كبير السن أبيض الشعر ابوى الملامح .. وبعد ما اخرجنا ما عندنا من سجائر محترمة .. وتبادلنا بعض النكات .. وقفل علينـــا الحراس البــاب .. ابتدأ فى الغناء .. صــوت هادىء ممتلىء بالشـــجن والتطريب الشرقى ..

ياوابور قولى رايح على فين ... ياوابور قولى وسافرت منين ...

واشعر اننى انتقلت لعالم آخر .. بهت الثــلاثون رجـــلا تماما من حولى .. وبهتت صورة العقيد ولم تبق الا ذبذبات حلوة متتالية متلاحقة تستقبلها أذنى فتنفجر بداخل عقلى براكين وانفعالات وأضواء مشـــعة حلوة .. يعقبها .. أحزان دفينة عمرها آلاف السنين ورثتها عن أجدادى عندما كانوا يلتفون حول ناى أو مزمار حزين فى ليلة من الليالى القمرية يبثون شوقهم وحزنهم وقهرهم ...

الورد جميل .. جميل الورد .. الورد جميل وله أغصان عليها يميل من .. واسرح واضغط على شفتى الســـفلى .. وأخــرج علبه الســـجاير السيلتون واشعل سيجارة يلتصق بطرف لسانى جزء من الدخان فابصقه محاولا الا يلتصق بقفا زميل جالس أمامى .. يا جارة الوادى طربت وعادنى ما يشبه الاحزان من ذكراك .. ما هذا الحزن .. عيناه تمتلئان بالدموع صوته يهتز .. رائع .. صــوت رائع .. ينثر حوله موجات من الشجن

فيفجر طاقات حزن على وجوه سمراء ٠.٠ وصفراء ٠٠ امضها الارهاق والجوع والحزن ٠٠ والذكرى ٠٠ وتنتهى ليلة من أحلى ليالى حياتى ٠٠ ممتعة ٠٠ ممتعة ٠٠ كما لو لم أكن أسيرا ٠٠٠

قال أحدهم ـ عندما يقفل علينا الباب اعود ثانيا للقاهرة بين مجموعةمن الاصدقاء ٠.٠.٠

ـ متى نعود ٠٠٠ متى نعود ٠٠٠

ـ طالت المدة كثيرا ٠.٠.

ـ هل سندفن هنا ٠٠ يا دنيا ٠٠ ياحياة ٠٠ ياهواء ٠٠

ـ اريد أن أتنفس ٠.٠.٠ آه ٠.٠.٠

لقد تعودنا على هذا النمط من الحياة ٠٠ بل لقد حدث ما هو أعجب من ذلك ٠ لقد كسر الضباط أبواب وحوائط دورات المياه والمنشئات الاخرى وعملوا دواليب وترابيزات ٠.٠ وكراسى ٠.٠ وقطعوا البطـاطين وعمـلوا منها جاكتات وبلاطى ٠.٠ وشنط (هاند باج) ويمر شهر رمضان سريعا ٠.٠ تأقلمنا ٠.٠ تبلدنا ٠٠ لم تعد تؤثر فينا اشـاعات العودة التى كانت تتكرر كثيرا ٠٠ وصلنا لاتفاق ألغى الاتفاق ٠.٠ وصلنا لاتفاق ٠.٠ ارسلنا ٥٠ اسيرا لمصر هدية بمناسبة العيد ٠٠ لكى نظهر حسن نوايانا ٠٠ هل معقول هـذا الكلام ٥٠ أسير هدية ٠٠ لـماذا ٠.٠ ؟ من الابله الذى يسـتطيع أن يصـدق هـذا الكلام ؟ ٠٠ انها محاولة لاثبات أن المفاوضات المباشرة خير وسيلة للوصول الى حلول ٠٠ لقد ارسلنا العميد فريد مع الاسرى عندما سيصل الى القاهرة محملا برائينا سيتفاهم مع المسئولين وسنصل لاتفاق برجوعكم ٠٠٠

ليلة العيد ٥٠ أسيرا فعـلا يحملون مهماتهم ويتحركون فى طوابير متجهين الى القاهرة ٠٠ نرقص نضحك نغنى ٠٠ لأول مرة تصدق الاشـاعة ٠٠ يحتضن بعضنا بعضا ولكن ٠ قد يتفقون ٠.٠ وقد لا يتفقون ٠٠ يصرفون لنا علبة جبنة بيضاء وعلب فول وعلب مربى كانت قادمة من مصر والمفروض أننا كنا سنستهلكها خلال شـهر رمضـان ٠٠ كميات هائلة من الاكل أصبحت لدينا ٠٠ الصليب الاحمر يحمل لنا هدايا ٠٠ بطانية صوف وحلوى ٠٠ وسجائر سـويسرية ٠ لم تبق الا أيام ٠٠ من يعرف ٠٠ ؟ ٠٠

الله أكبر ٠٠ الله أكبر ٠٠ لا اله الا الله ٠٠ الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا ٠٠ وسبحان الله بكرة وأصيلا ٠٠ لا اله الا الله ٠٠ صـدق وعده ٠٠ ووفى عهده وهزم الاحزاب وحده ٠٠ أصوات قوية ٠٠ قوية ٠٠ تتصاعد ويمتلىء المعسكر بترنيمات العيد ٠ يتوافد الضباط ٠٠ يجلسون فى صفوف ٠٠ الاصوات تعلو لا اله الا الله ٠٠ اللهم صل على محمـد ٠٠ وعلى آل محمد ٠٠

اليهود يتجمعون حول الاسوار ينظرون لنا يصورون الصلاة بالكاميرات وبالسينما أصوات قوية تملأ عتليت •• اليوم عيد •• الاغانى طول اليوم •• على بلد المحبوب وديني زاد وجدى والبعد كاويني نخرج بطاطينا ونجلس نتشمس •• اليوم سينتهى شهر الاعياد •• يوزعون علينا دفعة من الخطابات والطرود القادمة من القاهرة •• وتبدأ فترة جديدة •• مرحلة جديدة من حياتنا فى الاسر •• بعض جرائدنا نستطيع تهريبها مع الطرود •• قصة ايلات •• ضرب مدينة القنطرة •• مقال لمحمد عودة يدعو فيه الى الصمود واستمرار النضال ••

محاضرات الصنفرة النهائية •• تركز على ثلاث نقاط تريدنا أن نحملها الى القاهرة • السلام •• المفاوضات المباشرة •• التقليل من قيمة العمل الفدائى والحرب •• من خلال كمية هائلة من الدموع يذرفها المحاضر السجان الاقوى مسترحما المسجون الاضعف • أقرب الطرق للوصول الى عواطفنا بدون المرور على العقل •• نحن رجال سلام •• السلام أمنية حياتنا •• فهو سيتيح لنا الفرصة لان نعمل •• لان ننتج •• لان نعيش • نريد أن تخرج أطفالنا من الخنادق• ثم تهديد سنحارب حتى نحقق السلام ••

وطريقهم للسلام المفاوضات المباشرة •• (الجلوس على مائدة واحدة) على حد تعبيرهم •• وخلال هذا الكلام على أن انسى أن اسرائيل انشاتها بريطانيا ••• عندما كانت اعتى دول الاستعمار العالمى • وحافظت عليها امريكا عندما انتقلت لها زعامة المعسكر •• وكان مندوبوها يتفاوضون مع النازى فيما لو انتصر النازى •• وسيتفاوضون مع الشيطان لو أصبح حاكما لاقوى دول الاستعمار فى العالم •• وكان عادة ما تربط احاديث السلام •• بعبارة صغيرة « احنا اغنى منطقة فى العالم •• عندنا البترول والقناة والقطن والرجال والموقع •• نحن بخبرتنا ورءوس أموال أقاربنا يهود العالم الاغنياء •• وانتم بموادكم الخام وايديكم العاملة •• نعيش فى سلام واكتفاء ذاتى » •• أما العمل الفدائى •• والحرب •

العمل الفدائى عمل طفولى •• غير مجد •• والحرب مستحيل انشاء جيش فى اقل من ثلاث سنوات هذا ليس رأينا •• انه رأى أكبر المعلقين العسكريين فى العالم الجيش ليس دبابة فقط •• الانسان الذى يحرك الدبابة يحتاج الى ثلاث سنوات تدريب وخبرة •• الطيار والطيارة •• وعموما انهم يمتلكون قوة لا تقهر واسلحة سرية لم تستعمل فى حرب يونيو لان الاسلحة التقليدية أدت دورها •• هكذا يقولون •• لقد ادار النصر السريع رءوسهم وهم مستعدون لتحدى الاله اذا حكم ضدهم رغم كميات البكاء الهائله •• •• وابتدأت الاستجوابات تأخذ شكلها النهائى •• فاكمالا للشكل السياسى

- أجروا لنا أختبارات قياس الذكاء .. وتجارب على جهاز كشف الكذب .. وتصنيفات للمجتمع .. أعمال المهندسين .. الزراعيين .. التجاريين .. الفلاحين العمال .. طرق المعيشة فى مصر .. الترفيه .. الكباريهات .. السينمات .. .. أماكن التجمع .. المناهج الدراسية فى المعاهد المختلفة والكليات ..

- متى تستطيع أن تصمم منزلا ...

- ... .

- هل تعمل مساعدا لمهندس لفترة ...؟

- ... .

- كم أجرك فى بداية تخرجك ...

- ... .

- كيف تزيد مرتباتكم ...

ثم كيف تكتب خطابا مسجلا .. كيف توصل الطرود ...

ما رتبتك .. ؟؟ عبد الناصر ماذا كانت رتبته عندما قام بثورة ٥٢ بعد حرب ٤٨ .. ؟؟ ثم سمحوا بأن تتم زيارات بين معسكر القادة .. ومعسكرنا .. كل قائد سلاح أو ضابط كبير حضر .. ليرى رجاله وثارت من جديد أخبار الحرب .. تصوروا .. لقد وجدوا كتيبة دبابات سنتالين فى خنادقها كاملة بعد شهرين من انتهاء الحرب .. وكانوا يعجبون لماذا تركوا هذه الدبابات .. لقد انهى الاتحاد السوفيتى الحرب العالمية بها .. ونحن تركناها فى خنادقها ..

وفى الاذاعة .. كاسترو يشيد بشجاعة الجندى الاسرائيلى فى الحرب .. !! .. توسع حجم التبادل التجارى بين اسرائيل ورومانيا .. ! ..

وهكذا وفى نهاية المدة صدق المثال الذى يقول .. كل من يزرع يحصد .. وكل من يخطط بدقة يصل الى ما يريد .. وهكذا نصل الى شكل كان فى يوم ما بعيدا كل البعد عن التصور .. ولكنه كان نتاجا لما خطط له بدقة شديدة .. لقد استعمل الاسرائيليون ما يسمى بالحرب النفسية لعمل غسيل مخ أو فرض ارادة .. ولقد نجح يهود اسرائيل فى النهاية للوصول الى ما يريدون .. لم يعودوا اعداءنا .. اعتدنا عليهم .. وعرفنا مزاج كل منهم .. قائد المعسكر .. أمزراجى المسئول عن التعيين .. أهرون كبير المستجوبين .. الحراس ... أصوات المذيعات فى الاذاعة الداخلية .. بل والجمل العبرية التى ينطقونها .. السجائر التى يدخنونها .. والفوارق بينها .. طريقتهم فى التهدئة والتهديد .. الاخبار السارة والاخبار السيئة

على وجوههم .. الاغراب بينهم زوارهم الاجانب .. ومن الناحية الاخرى تاكدوا من أننـــا أصــــبحنا مسالمين مســـتسلمين لقدرنا وحيـــاتنا ولم نعد نفكر في الهـروب أو الاعمـال العنيفة .. أو حتى ابداء الامتعاض أو الكره .. فخفت الحراسة .. وأصبحت صورية .. وزيدت مدة الخروج خارج الحجرات .. وتبادل الحراس والاسرى بعض النكات .. ولم يمتعض احد لهـذه النكات فهم آدميون .. بل أطلقت النكات عن تصورنا الســابق لليهودي ذي الانف المعقوف والشعر المنكوش .. وأصبح بعضهم لا يخجـل من أن يقول صديقي المستوجب قال .. وتبودلت الهدايا الرمزية .. وأصبحت المسألة مسألة وقت واجراءات تعطلهـا الحكومة المصرية ثم ترحلون لاهاليكم

ولم نسمع الاصيحات ليلية تقول يا أمزراحي حضر السندوتشات .. ايذاناً بالرحيل .. لقد نضجت الطبخة .. ولم يبق الا أن يتذوقها الشـعب المصرى الكريم الذى لا يحمل له الشعب اليهودى أى ضغينة أو حقد .. سيرسـل اليهود خمسة آلاف وخمسمائة سفير لهم محملين بأفكارهم وتصـوراتهم ينشرونها في أعماق مصر ومدنها .. وأصبح رجال المخابرات الاسرائيلية في منتهى السعادة .. لقد استطاعوا أن يقدموا عملا طيبا .. لقد غسـلوا مخ خمسة الاف وخمسمائة حاقد متوتر بكرههم وحولوهم الى خمسة الاف وخمسمائة سفير لهم يستطيعون الاعتماد عليهم الاعتماد الكامل .. ولم يبق الا الوجه الاخير .. التلميع النهائي .. قبلما يدخلون الامتحان .. وبعدها ..ستنفجر هذه الالغام .. حاملة أفكارهم داخل الشعب المصرى..وعاصرت هذه الايام نشاطا ملحوظا .. انتهى بأن جاء موشى ديان ليرى بنفسه ما فعله رجاله .. وأعضاء من الكنيست ومدير الاذاعة الاسرائيلية للقسم العربى (وهو مدير المخابرات السابق) ورجال الاحزاب المختلفة .. كل بكلمة .. وكل بمحاضرة .. وكل بسلامات .. وكل بقبلات واختفت الرشاشـات .. وأصوات الطلقات .. أعتقد أنكم في شوق لتعرفوا ماذا قال موشى ديان سأقص .. كان يوما من أيام شتاء يناير .. الامطار تضرب أسـطح المبانى بشدة ... البرد شديد .. المعسكر تحول الى بحيرة .. جلسنا في حجراتنا في حبس اختيارى نلعب البريدج والبوكرونحدخن السجائر ونحلم بالعودة .. استدعونا .. مجموعة من القيادات وبعض الرواد وقليل جدا من الضباط الصغار جلسنا في قاعة واسعة .. الميكروفونات الكثيرة في صدر القاعة .. عدد كبير من الضباط يروحون ويجيئون ... قائد المخابرات يعلن علينا بأن السيد الوزير سيزورنا اليوم .. رجل طويل أبيض ذو عصابة سوداء على عينه يرتدى ملابس مدنية بسيطة بنطلون فانلة رمادى فاتح وجاكت شمواه اخضر زيتونى .. وقميص أبيض بدون كرافت .. حركاته خليط من الاعتداد

بالنفس ومحاولة التبسط ... ليس مرعبا أو مخيفا يتكلم الانجليزية بلهجة أوكسفورد .. ابتدأ يتكلم بلغة عربية ركيكة .. « انا لا أعرف العربى كويس حتكلم انجليزى هل تحتاجون لمترجم » .. قال المترجم سيادة الوزير بيقول انه لا يعرف العربية ... فضحكنا خجل المترجم وسكت .. قال كلاما كثيرا يدور حول الثلاث نقاط السابقة ... السلام والمفاوضات المباشرة .. وعدم جدوى الحرب ... ولكنه فى النهاية أطلق قنبلة دعائية .. فقال .. أنا أعرف أنكم رجال عسكريون ... والرجل العسكرى ينفذ الاوامر وستعودون لبلادكم .. وسيأمرونكم بالحرب ضدنا ثانيا . لن الومكم على هذا .. بل أتمنى لكم حظا أحسن فى المرة القادمة وأن تؤدوا واجبتكم بطريقة افضل ... وسكت قليلا بين علامات الدهشة ثم استطرد .. ولكن اذا حاربتمونا .. فسنحاربكم وأذا أعتديتم علينا سنقاوم ولاخر رجل .. وأعتقد أنكم لا تستطيعون أن تحرمونا حقنا فى الدفاع عن انفسنا !! .. بالمنطق المقلوب ... أصبحنا نحن المعتدين .. نحن الاسرى الذين حاربناهم ولذلك حضرنا الى هنا ... نحن الذين يتسببون فى الحرب . وهم مجرد مدافعين .. عن انفسهم ... ولنكن رياضيين مثله ولا نمنعه من الدفاع المشروع عن النفس ... هكذا .. وهكذا هو المنطق الاسرائيلى .. وهذه هى دعايتهم .. وهذه هى طريقتهم فى التأثير على الاخرين .. كلمات معسولة منطقية منمقة رائعة ولكن عند تطبيقها تتحول الى رصاص ونوم على الارض وجوع وتشرد وقنابل ونابلم ... وتهديد بأسلحة أكبر واقوى واكثر تقدما ...

بشرنا لقد نجح العميد فى أن نصل الى اتفاق عن طريق المفاوضات ثم أعلنا رسميا باننا سنعود الى مصرنا .. وقسمنا ثلاث دفعات .. وابتدأت بشائر العودة تظهر .. ولنأخذ يوما من هذه الايام ...

عثليت الساعه ٧ صباحا ... أحد أيام شهر يناير ...

– المطر ينهمر بشدة ...
– ثلاثة أيام بهذا الشكل ...
– المفروض الدفعة الاولى تمشى بكره ...
– بيقولوا الهواء قفل الطريق بالرمل فى سيناء ولذلك ستتأجل ..
– حتى ربنا بيحاربنا .. حتى الطبيعة ...
– عندما يوافق المصريون .. يرفض اليهود .. عندما يوافق اليهود يرفض المصريون .. عندما يتفقان .. ترفض الطبيعة ...
– يارب بس احنا عملنا ايه ....
– لا تتعجلوا كله بأمر الله ... من تحمل مائتى يوم .. يستطيع أن

أن يتحمل يومين زيادة .
ـ لا مش مئتان .. مئتان وثلاثة وثلاثون .. انا كاتبهم خلفى فى الخريطة .. كل يوم اشطب عليه ...
ـ شفت الحريقة دى ...
ـ ايه الحكاية ... !!!
ـ جمعوا السجاير اليهودى اللى صرفناها من أسبوع ووضعوها فى كوم ثم حرقوها ...
ـ لا يصح هذا .. سيغضب الناس .. ماذا يقولون عنا .. ؟؟
ـ يا أخى قول لهم يبطلوا لعب العيال بتاعهم ...
ـ نسيت عندما كدت أن تموت من أجل واحده منها ...
ـ خلاص حنرجع للكيلوباترا والبلمونت ...
ـ شفت موشى ديان قال أيه ...
ـ آه .. فى منتهى الذكاء .. رجل معقول جدا .. مش زى حنغرقهم ... حنضربهم .. وحنرميهم فى البحر ...
ـ شفت كان لابس أيه ... !!
ـ شيك جدا .. مش زى الصور اللى بتترسم له ...
ـ احنا يا سيد كنا مغمضين .. انت تعرف أيه عن العالم الخارجى .. كل معلوماتك عن طريق الجرائد والمجلات والاذاعة .. وكلها هدفها عمل غسيل مخ لك ...
ـ أنا مش فاهم ليه احنا بالذات بلدنا مقفلة كده .. شوف هنا مليون رأى ومليون واحد يتكلم وكله بيقول .. هل يعطلهم هذا .. بالعكس جعلهم أكثر تقدما ؟
ـ عملت لى الشنطة بتاعتى ...
ـ هات البطانية وأنا أعملها لك ...
ـ أما شفت حتة شنطة فى الاوده .. رائعة .. من الفوط والبطاطين ومنجدة بالخشب والقش ...
ـ يا جماعه حرام عليكم تقطعوا البطاطين بتاعة الخلق .. خللى عندكم أخلاق ..
ـ أنا شخصيا عملت من البطانية صديرى يدفينى مش شنطة ...
ـ انت عندك ٤ شنط أعطينى واحدة ..
ـ العميد عبد العزيز طلب واحدة حبعتها له والباقى على قد مهماتى ..
ـ صمم لى بادج أحطه على الشنطة .. بس الوانه من الخيط اللى فى الفوطة دى ..

ـ أصوات من الخـارج تعلو •• فى غنـاء •••
والنبى يامه •• قولى لابويه •• يدينى ريـال •• او نصف ريـال
•• اشـــترى •••
ـ أيه ده •• !!!
ـ شوف عاملين ازاى رابطين الفوط حول رءوسهم وشـايلين الرائد
بهـاء وعمالين يزفوه •••
ـ أصله من الدفعة الاولى يا بخته •••
ـ تهريج •• فرحانين قوى •• والله اليهود بيضحكوا علينا •• بقى
ده رائد بالذمه لو واحد من اللى بيهللوا حواليه خدم معاه بعد كـده
حيعمـــل ايه •••
ـ ياعم خلاص •• انت فاكر فيه واحد من دول ينفع يخدم فى الجيش
بعد كده مستحيل تفضـلوا فى القوات المسلحة •••
ـ تحصل والله •• انت عارفهم بيفكروا أزاى •• أذا كان سبونا هنا
شـوف قد أيه علشـان ثلاثة جواسـيس ولا أربعة •• الإردنيون
مشيوا •• وأحنا كرامتنا لا تسمح بمبادلة خمسة الاف وخمسمائة
مصرى ••• بثلاثة جواسـيس ••
ـ الفطار يا سـادة ••
ـ افتح لنا علبتين فول ياهلال •• وعليه المربى خلصت أفتح واحدة
ثانيـة ••
ـ السخان خسر •• سخنهم فى الاوده ٤ سخانهم كويس •••
ـ اشتريت البطانية دى بكام •••
ـ بقاروصة حيلوبترا ••
ـ ايه رأيك بطانية كويسـة •••
ـ أنت عارف انها اسرائيلى •• اشتراها الصليب الاحمر من هنا •••
ـ فضل عندك كام علبه سجاير سويسرى •••
ـ ثلاثة •• ومجمـع الباقى •• الحقيقـة سـجاير ممتازة بدلتهـا
بسجاير كيلوبترا •••
ـ الشـــمس طلعت •• آه الحمد لله •• خللى الطـــريق ينضـف
ونسافر •••
ـ انت عارف انى خايف أرجع •••
ـ أنا كمان عندى الاحساس ده •• بس مش عارف ليه ؟؟ •••
ـ مش عارف اذا كنت حقدر أعيش هناك •• أم •• لا ... !! كيف
سيستقبلوننا فى مصر •• هل سـيعاملوننا على اننا مصـــدر
خطر •• على اننا جواسيس •••

ـ انا خايف من نفسى ·· لقد اصبحت دش ·· يخيل لى أننى
ـ سأكل حتى أموت من التخمة ·· ولا السجاير ·· ولا النسوان ···
ـ نرجع بس ·· وبعد ذلك نموت نعيا فى وسط اهالينا ···

وسرحت ·· ترى ماذا يحدث فى بلدنا حقا ·· هل انضجتنا التجربة ؟؟ هل تخلصنا من عيوبنا ؟ ·· هل هزتنا الهزيمة من جذورنا ·· لابد وأن بذور التغيير قد نضجت ·· بالتأكيد ·· ما علينا الا المشاركة الان ·· لابد وأن بذور التغيير قد نضجت ·· لم يبق الا المشاركة ··

ـ آخر الاخبار يا حضرات ·· ابتدأوا فى اصلاح الطريق ·· والدفعة الاولى بعد يومين ·· ثم الثانية والثالثة مباشرة ···
ـ من قال لك ···
ـ سمعت فى الاستجواب ·· الاسماء قد جهزت ·· وأنا فى الدفعة الثانية ···
ـ وأنا والنبى ···
ـ معرفش ·· لم يقل لى غير ما قلته ··· !!
ـ أول م حوصل ·· سأجرى الى منزلنا ···
ـ لا ياعم هناك معسكر فى المعادى ينتظرك ·· للاستقبال ···
ـ المعسكر فى الهاكستب ·· قالوا لنا ···
ـ وما الذى ادراهم ···
ـ لا يخفى شىء عنهم ·· تصور بيقولوا انهم بيعملوا مناجر طيران فى الماظه وفى المقطم وعلى طريق القاهرة الاسكندرية الصحراوى ···
ـ تفتكر متى سينتهون من اصلاح الطريق ···
ـ يومين ثلاثة ···
ـ انتم تصلحونه فى يومين ثلاثة ·· اما هم فيصلحونه فى ساعتين ثلاثة ·· فاكر مواسير المياه فى بئر سبع ···
ـ طيب يا سيدى يارب ···
ـ عايزين نلعب بارتيته بوكر ···
ـ فى مصر بقى بالفلوس ·· والله م حد حيشوفكم ···
ـ نبقى خاينين العيش والملح ·· معقول الواحد ينسى الايام دى ·· أو ينساكم ··
ـ نشرة الاخبار ···
ـ هو يارنج اللى حيحلها ·· بس على الله م نجمدش مخنا ···!

- المفروض أن تحل ٠٠ يكفى هذه السنين ٠٠ فهم لا يريدون سيناء ٠٠

- بيقولوا حيعملوا دولة فلسطين من غزه والضفة الغربية ٠٠ ويتركوا لها ممرا فى وسط اسرائيل ٠٠ على شرط أن تكون منزوعة السلاح ٠٠ وممكن تدخل فى اتحاد فيدرالي مع اسرائيل ٠٠٠

- لا اللى سمعته انهم عايزين يعملوا من الاردن واسرائيل ولبنان أتحاد فيدرالى ودولة واحدة ٠٠٠

- وهل يرضى بهذا ٠٠ هل تستطيع أن ترفع رأسك ٠٠

- بطلوا الانشا دى اللى طلعت عنينا ٠٠ لا ترفع رأسك ولا تنزلها ٠٠ السياسة مخ يا سيد ٠٠ م ودناش فى داهية الا الشعارات الجوفاء بتاعتكم دى ٠٠٠

- سامع الضحك ٠٠٠

- فى مسرح العرايس ٠٠٠ تعال نتفرج ٠٠٠

- سامع الاغانى ٠٠٠

- يا امزراحى أعمل السندوتشات بقى ٠٠ ها ٠٠ ها ٠٠ ها ٠٠

- الليلة فيه حتة سهرة فى الاوده (١) ٠٠

وهكذا كانت تمر الايام الاخيرة وللملاحظة اختلطت المواعيد ٠٠ فأصبح السهر طول الليل والنوم نهارا وقد يمر يوم أو يومان ولا ننام سوى ساعات قليلة ٠٠ الارق ٠٠ الدخان أحلام اليقظة الخوف من قوى مجهولة ٠

وكنا قد استوعبنا الدرس ٠٠٠ لقد كانت الحرب التي خضناها ضد اسرائيل ضوءا أحمر يضىء لنا ليشعرنا أننا نعيش فى مجتمع متخلف حضاريا وان الطرف الاخر استعمل أقصى الاشكال العلمية تطورا للقتال وأهمها كان التطبيق العلمى للحرب النفسية وهو السلاح الفاصل الذى انتصروا به فى حرب ١٩٦٧ ولقد طبقوه علينا نحن الاسرى أحسن تطبيق ٠

وكان علينا أن نواجه العذاب ٠٠٠ لقد صبغونا بصورتهم وتركونا بين اهالينا ٠٠ نشعر بأننا خوفة منفصلين مصبوغين نردد دعاية العدو ٠٠ وبين ما تعلمناه طول حياتنا قبل الحرب وما أملى علينا كنا فى صراع وتمزق وهو الشكل الذى عدنا به الى وطننا ٠

الفصل الخامس

رحلة العـــودة

نقلت لكم الفصل السابق من مذكرات صديقنا كما هى تماما .. واعتقد انكم ستلاحظون الفرق بين طريقته فى كتابة ذلك الفصـــل وحواره معنا فى الفصول السابقة ..

لقد ظل على هذه النغمة العنيفة والحادة المتلئة بالكلمات المتضخمة عن الامبريالية والحرب الشعبية وما أخذ بالقوة لا يسـترد الا بالقوة .. وخيانة البرجوازية والصراعات الدموية .. والبيروقراطية والكومبرادورية .. كلمات لا أعرف من اين استعارها .. والشىء الغريب أنه كتب هذا فى تقرير عن التميز الطبقى فى القوات المسلحة وأثره فى الهزيمة العسكرية والتف حوله عديد من الافراد يقرأون ويتكلمون ويلعنون .. وأصبح صديقا لعديد من الشبان المنتشرين فى الجامعات يكتبون مجلات الحائط ويتجمعون فى المدرجات ويصدرون المنشورات وينظمون المظاهرات ويسـتفزون كل من حولهم .. بل كان يمكنك مشاهدته فى مثل هذه الاجتماعات يرقب .. ويتكلم .. وفى بعض الاحيان ينفعل ويسخط .. كان يرى أنه لابد وأن تقوم حرب شعبية تعبء الجماهير .. وتحركها .. وكان ينتقد بكل شدة أى تهـــاون أو تراخ يراه حوله .. حتى الطبيعى .. ويثور .. ويسب فى بعض الاحيان لاســباب قد تكون تافهة .. واحبه كثيرون وتحاشـــاه كثيرون .. حتى اكتوبر ٧٣ .. زرته فى منزله يوم السادس من اكتوبر .. وجدته قابعـــا أمام التليفزيون يراقب الاحداث بصـــمت .. ســالته عن رأيه .. كان متحفظا .. لا يستطيع أن يتحمس .. ولا يستطيع أن يرفض ولكن بعـد يومين كان ثائرا للغاية .. لـماذا .. ! لماذا لم نندفع حتى الممرات انهـا الحد الادنى للدفاع .. بغير الوصـــول اليها .. لا يمكن الدفاع عن شريط رفيع من الارض .. لقد فقدنا بذلك العمق الاســتراتيجى .. وبعد ذلك بأيام .. رأيته هادئا .. قال .. لم نكن نستطيع فعلا أن نفعل أكثر مما كان .. لقد كانت الدبابات الامريكية تنزل من الطـــائرات مزودة بالوقود ومعمرة بالذخيرة ومستعدة للاشـتباك .... ولو وسعت المســافة بين

الجيشين كان من الممكن استخدام الاسلحة النووية .. ثم لانت لهجته .. وابتعد أو تباعد عن أصدقائه .. وغرق في تفكير عميق لعدة أيام .. ثم قال .. معركتنا الان أن نعمل .. أن نتقدم .. أن نتعلم .. أن نداوى الجراح وننطلق .. وشعرت أنه كان بحاجة لانتصار حتى يتوازن نفسيا .. وعندما توازن ابتدأ يفكر بشكل متحضر .. لا يحبذ سفك الدماء والتدمير .. وانما يتطلع لمستقبل يبنى فيه الوطن بجهد حقيقى لابنائه لامتلاك لغة العصر وأدواته الحضارية ...

اليوم سيرحلون .. أكيد .. لا شيء أكيد فالشهور التسعة الماضية شككتهم في كل شيء .. ورغم أن كل الظواهر كانت تبشرهم بالعودة الا أن شكهم كان أقوى ... ردت الامانات .. والسندوتشات أعدها امزراحى وتفاصيل اعدادها عندهم اولا بأول لقد كان يقطع الخبز الى شرائح وبالفرشاة المغموسة في المربى أو الجبن يطلى وجها من وجهيها .. ومن خلال راديو رد مع الامانات استمعوا الى اذاعة القاهرة .. كان جسده يرتعش مع سماع الكلمات « هنا القاهرة » رغم البلوفر الجديد الذى ارسلته له أمه والفانلة الصوف التى أرسلتها حكومته ..

وانحبست الدموع في عينيه كلما تذكر أنه بعد أيام سيكون طليقا في شوارع مدينته وبين أهله .. يستمتع بدفء الشمس .. وسحر النيل .. ويزاول حياته فيستطيع أن يذهب الى السينما او المسرح أو الكازينوهات واستكثر على نفسه كل هذه السعادة . حمام دافىء .. وأكل نظيف ..وسرير منظم له وحده .. ترى هل سيرجعون ... مستحيل لماذا كل هذا العذاب .. ولماذا تركتموهم كل هذا الزمن .. الوجوه حوله متوتره .. ابتسامات .. ضحكات يشوبها القلق والترقب .. الخوف من المجهول اصبح طابعا لجميع تصرفاتهم .. لو حدث أى عامل جديد يغير الموقف .. كأن يسد الطريق أو تندلع الحرب .. او يختلفوا فلن يتحملوا الموقف .. يجمعون بطاطينهم ... وأوانيهم لتسليمها .. يعدون شنطهم .. لقد اصبح لديهم حصيلة من الممتلكات سواء ما وصلهم عن طريق الصليب الاحمر أو ما اعتبروه ملكا لهم .. الاسرائيليون يبتسمون يردون عليهم الابتسامة بمثلها .. قامت بينهم عشرة طويلة الرائد صفوت يسلمه لفافة بها بيانات مفصلة عما حدث .. عدد مرات الاستجواب .. المحاضرات التى القيت سلوكيات الافراد ..خاف أن يحملها فيفتشوه ويحصلوا عليها ..

يضيعون الوقت بالحركة .. يدخنون بشراهة .. لا يأكلون .. الجو جميل أشعة الشمس رائعة تحتفل بهم .. اغانى ام كلثوم .. على بلد المحبوب وديني .. يحاولون أن يلعبوا كوتشينه .. لا يستطيعون .

ـ احدهم يسأل ... مستعد تحاربهم تانى ..

ـ معرفش .. جليز .. لأ .. معرفش ..

يجل الظلام .. انه أطول يوم فى عمرهم .. يبتسم عندما يتصور أن يوما من عمره القصـــير المحدود يرجوه أن يتحـــرك وينتهى ويتفلسف متسائلا .. ترى كم يوما من عمره قضاه فى الانتظار وتمنى أن ينتهى !! ترى هل سيعيش بعد ذلك أياما يرجوها أن تبطىء فى سيرها وهل سيستطيع تعويض هذا اليوم الذى مل انتظار نهايته .. وتشرد افكاره .. فلم يعد يستطيع أن يقودها .. هل هناك يوم حلو .. ويوم مر .. وما المقياس .. وما هى السعادة .. أين هى .. متى .. وكيف .. !! هل رجوعه لوطنه هو السـعادة .. أم هروبه بعيدا عن رعب الموت ورعب الـذل والسـجن والقرف وقسوة الحياة .. ترى كيف سيستقبلونه ؟؟ هل القـاهرة والاهل والمنازل والاطفال والحدائق والشوارع والحياة بنفس الشكل الذى تركها عليه ؟؟ مستحيل بعد حرب انهزم فيها الجيش الذى لا يقهر واهتز الزعيم الذى لم يهتز أبدا أن تبقى الاشياء كما هى ... هل واجه الشعب نفسه ؟ هل تغيرت المقاييس أو على الاقل بذرت بذرة التغيير ؟؟ كيف تلقوا نبـأ الهزيمة ؟؟ ما الذى دفعهـم للخروج يوم ٩ ، ١٠ يونيو ؟؟ هـل غيرتهم التجربة ؟؟ هل لا يزال الفـلاحون يبـذرون الحب ولا يكترثون بما يدور حولهم ؟ ماذا يقال لهم ؟ وما تفسيراتهم ؟ أى الافلام فى دور السينما ؟ هل استعاد مجلس الامة سلطاته التى قدمها هدية ؟؟ الجيش !! أين هو الان ؟ هل استعوض سلاحه ؟ وهل يتم تدريبه ؟ هل مازالوا يطلقون البروجى للواء عند دخوله المعسكر وترفرف الاعلام فى مقدمة عربته ؟؟ هل تغيرت الوجوه ؟ هل سيقابلونهم بالترحاب أم بالحذر والخوف ؟ كان يتجول فى حجرات المعسكر بدون هدف .. بعضهم كتب شعارات الثار على الحوائط .. عائدون لفلسطين .. لن ننسى شهداءنا ..

الظـلام يحـل .. لم يعد انذارا بدخول العشش .. أصبح ايذانا بالرحيل ... جبل الكرمل فى قمة جمالة .. الاشعة الحمراء والبرتقالية والصفراء الناتجة عن الغروب تلقى ظلالا طويلة عليه .. والمصابيح الصغيرة المتناثرة تتلألا فى وسـط خضرة زيتونية رائعة .. نسمة هـواء باردة منعشة ...

ينادون عليهم يتجمعون فى صفوف كل منهم يتسـلم بطاقة يتجه الطابور عبر الطرقات الضيقة يمرون على معسكرات مهجـورة كانت مكان الجنود تصدر منها روائح كريهة ناتجة من طفح المجارى وتكوم الزبالة . الضباط يتدافعون لتكون لهم أولوية الدخول للاتوبيس المتدافعون يدخلونهم

لاخر الاتوبيس يركب صديقنا اخر الضباط يجلس فى أول كرسى ... نفس المكان الذى حضر فيه الى بئر سبع . شعور مكبوت لا يستطيع تحديده .. السنائر تسدل .. ولكن من فتحة صغيرة يستطيع أن يشاهد عربة جيب فوقها لمبة تنبيه زرقاء تجرى بجوارهم وحذائهم .. ثم تسرع لتسبقهم وتبطىء ليسبقوها قول الاتوبيسات يتحرك .. ها هم فى طريقهم الى وطنهم الحارس فقد توتره .. يشرب خمرا من زجاجة صغيرة ويقضم سندوتشا .. يتكلم كلاما غير مفهوم رغم أنه باللغة العربية عن معاملة اليهود ورأيهم فى الحرب ومتى سيعيشون فى سلام .. وانه يريد أن يترك السلاح ويرقص .. أصبحوا فى غزة .. الشوارع خالية .. يقوم بالحراسة فى نقط المرور فتاة حلوة ... ترتدى زيها بأناقة وتحمل السلاح .. آثار الهدم واضحة على المنازل .خان يونس .. رفح .. مبنى أشرف على اقامته يشد انتباهه وحدة صحية سابقا .. أصبحت ثكنة عسكرية مرفوع عليها العلم الاسرائيلى .. نوافذه مكسرة .. يشعر كما لو كان قد ترك فى الاسر ابنا له .. الاتوبيس يمر سريعا .. طالما عبروا هذا الطريق محملين ببضائع غزة .. الشيخ زويد لديه ابن آخر هنا يبحث عنه حتى يجده وحدة صحية اخرى لم يتممها .. وها هى مكتملة .. ولكنها محبوسة .. العريش .. عاش فيها لمدد طويلة فى حداثة تخرجه .. كان مهندسا للاسكان والمرافق بها .. وله ابناء كثيرون وتوقفوا أمام واحد منهم مدرسة الصناعات .. نزلوا من العربات لقضاء حاجتهم أخر ذكرى يتركها فى سيناء .. وكلمته الارض .. وكلمه المبنى .. كانوا يبكون .. أستنجدوا به .. ودار بينه وبينهم حديث طويل .. حديث عن ومن الارض المحبوسة .. ورد لو بقى .. وود لو عاد مهندسا يبنى ويخطط ويعمر .. ولكن صوت الحارس كان أعلى من صوت الارض .. كان عليه أن يغادرها .. على أمل .. وظهر الفجر وهم يسيرون على طريق العريش ــ القاهرة اطلت الشمس من بين النخيل .. طالما اطلت عليه فى عربته العسكرية أثناء المناورات .. أو عربة الاسكان وهو يخطط لبناء جديد .. كان يجب أن يراها دائما من هذا المكان .. وكان يود دائما أن يرقد لاخر عمره على الرمال البيضاء الشديدة البياض بشاطىء العريش .. تحت نخلة .. ترعى حوله الماعز فى سلام ... انتهى آخر ليل يقضيه فى الاسر .. وشعر بانقباض ترى هل هم متجهون فعلا للقاهرة أم سينقلونهم لمعسكر اخر .. وهمه هذا الخاطر حتى انه لم يودع ابنا آخر له فى بئر العبد حيث كان يشترى السمك البورى المشوى والسمان .. الاعراب يلوحون لهم ... وهو لا يستطيع أن يقف ليفاصلهم فى ثمن البورى والبيض والسمان .. الاعراب

يشيرون الى أفواههم .. جيــــاع ... ترى من أين يأكـــلون .. وكيف يتكسبون من قوات الاحتلال ... المثلث .. من هنا الطريق للقنطرة يعـرفه جيدا ... هنا كشك المرور... ولكن لا وجود له الان .. التحصـــينات العسكرية تملأ المنطقة ... ها هم قد وصلوا القنطرة ... هذا الطريق يوصل الى الجمرك ... أو ما كان جمركا ... هنا كانوا يضعون أيديهم على قلوبهم خوفا من المغالاة فى الجمارك .. والان تدق قلوبهم فيلدهم على بعد خطوات العـربات تقـف فى قول واحـدة خـلف الاخـرى .. والحراس يلتقطـون الصور التذكارية . هنا القاهرة .. « الناس والشتاء » ويستمعون بشـغف للبرنامج رجل عجوز من أهل القنطرة يركب حمارا ويضع على ساعدة علامة رجال الامن .. عجوز يريد أن يأكل .... العربات تتحرك وتعود بالاسرى اليهود .. واحدا فى كل عربة .. شـعرة طويل .. ذقنة كثيفة ..

وتذكر عندما سأل سكرتير حزب المباى عن عدد الاسرى اليهود. فقـال ستروتهم عندما يتم التبادل وتعرفون أنهم لم يتجاوزوا العشرين . العربة تقترب من المعدية .. مبنى الجمرك تحول الى مركز قيادة مرفوع عليه العلم الاسرائيلى ويتحرك منه واليه عدد من الجنود والمجندات الاسرائيليات ... ثم تستدير العربة لتقف .. لا يصدق نفسه الشاطىء الاخر ها هو واضح .. لا يصدق .. جمهور من مصورى التليفزيون والمصورين الصحفين يلتقطون لهم الصور .. يزم شفتيه يتماسك من أجل المصورين .. لنش من هيئة القناة يقوده مصريون . يخطو داخل اللنش .. لا يستطيع أن ينظر خلفه .. صيحات التهليل والسلامات من اليهود ... مع السلامة ... مع السلامة ... شالوم . يجلس على دكة فى مواجهة شاطئنا حلما كان قريبا من شاطىء مصر كلما كان افضل .. مازال متماسكا ... زاما شفتيه ... الارض المصرية تحت قدميه . . جنود بملابس الشرطة. العسكرية المصرية ... لواء مصرى سمين يقف لتحيتهم .. الحمد لله على السـلامة .. كيس به سندوتشات .. علبه سجائر زجاجة كوكاكولا .. أهلا ... ما اسمك ... يبكى بشدة لا يستطيع أن يمنع دموعه .. انهار التماسك التمثيلى .. يبكى على حضـن أمه .. هنا يستطيع البكاء .. ولاول مـرة . أحدهم يربت على كتفه .. معلهش ... يبكى ..

أحدهم يسأله ... ـ ماذا تريد ..... ؟

ـ اريد نظارتى ...

ـ أيـن هـى ...

ـ أخذها اليهود منى يوم قبض على .... آ!

وحتى الان مازال صديقنا يبكى كلما قص علينا هذا الموقف لقد أهدته عائلته عشرات النظارات واشترى عشرات اخرى على احدث طـراز •• ولكنه كلما تذكر نظارته يبكى ••• لقد كان دائما يعتبرها الشىء الشخصى الذى سرق منه ولم يستطع أن يدافع عنه ••• حتى ولو بكلمة احتجاج •• كان يردد دائما ان اقسى درجات المهانة أن يغتصب شخص ما اشياءك أمامك ولا تستطيع الاحتجاج سواء كان هذا الشخص عدوك •• أو من بنى وطنك •• أو غريبا وحتى الان مازال يستفزه جدا لو مد أى شخص يده الى شىء يخصه واخذه دون اذنه حتى ولو كانت سيجارة من علبته ••••

ركبوا أتوبيسا آخر فى طريقهم الى القاهرة •• كان يرافقهم رائد بحرى •• وأمطره زملاؤه بأسئلتهم •• أما هو فقد كان يبكى ••

•••• ـ كيف حـال الجيش ••

ـ عال عظيم

ـ •• •• •• دمـوع •• دمـوع

ـ ما قصـة الباخرة أيلات

ـ •• •• •• دمـوع •• دمـوع •• القاهرة ٦٠ كيلو متر

ـ ردت لنا ثقتنا زوارق الطوربيد ••

ـ •• •• •• دمـوع •• دمـوع •• القاهره ٥٠ كيلو متر •

ـ كيف كنا سننتصر •• هل هذا معقول

دموع ••• دموع ••• القـاهرة ٢٠ كيلو متر

وتظهر مشارف القاهرة •• المصانع •• المطار •• الطريق للكلية الحربية

ـ الى أيـن •

ـ الى الكلية الحربية ستقضون بعض الوقت هناك •

ـ كثيـرا •

ـ لا من أجـل الحجر الصحى فقط •••

وهكذا وصلوا الكلية الحربية •• وقذفت المخابرات الاسرائيلية الكرة الى المخـابرات المصرية مجمـوعة من الرجـال المـزقين اجـريت عليهـم تجارب الحرب النفسية الحديثة ••• القت فيها المخابرات الاسرائيليه بكل ثقلها فى معالجتهم ووثقت مما فعلت ••

وابتدأ الجانب الاخر يتعامل بحذر مع طرد المتفجرات القادمة له من الشـط البعيـد •••

الكلية الحربية من الباب الخلفى .. ضباط من دفعات الاسرى السابقين يجلسون يستمتعون بالشمس ...

فرقه موسيقى الجيش تقف فى الفناء فى مواجهة المبنى تعزف

« يا حبايب بالسلامة .. رحتم ورجعتم لنا بالسلامة ... »

« الله اكبر .. الله اكبر .. الله اكبر فوق كيد المعتدى »

« بلادى .. بلادى .. بلادى .. لك حبى وفؤادى »

الدموع لازالت تملأ عينيه .. جسده يهتز بشدة .. يشعر بالقشعريرة..

... تفضلوا يا حضرات .. فوق من فضلكم .. الحمد لله على السلامة .

... تفضلوا يا حضرات فوق

... تفضلوا يا حضرات

... تفضلوا .....

عندما حضر صديقنا للعلاج بالمستشفى لاول مرة .. تعاملنا معه كحالة خاصة جدا .. كان هادئا منطويا على نفسه .. يرفض الخروج من المستشفى حتى ولو لنزهة قصيرة .. كان يتكلم عن الوحوش بالخارج فى الاتوبيس والشارع والمنزل والعمل .. وكان لا يقبل العلاج .. فلقد اكتشفنا بعد مدة انه لا يتناول الاقراص المهدئة الا قليلا .. عندما ناقشته فى ذلك .. كان رده انه ليس مريضا بل نحن المرضى لاننا لا نستطيع أن نرى ما يراه الاعمى بوضوح .. القيادة لم تتغير حتى القيادة التكتيكية .. ولازالت تتخبط بنفس الدرجة .. والتعليمات المهزوزة والمترددة لازالت .. ونحن نتحرك نحو كارثة لا يستطيع أن يشارك فيها على الاطلاق .. وفى نفس الوقت لا يستطيع أن يقاومها لذلك فهو يفضل أن يبقى بين المجانين فى مستشفى عن أن يعاشر هؤلاء الخطرين المطلق سراحهم أعداء أنفسهم وأعداء البشر ...

وكان لا يفعل شيئا الا الاسترخاء والقراءة والاستماع للموسيقى وفى بعض الاحيان الحديث مع المرضى باهتمام شديد ...

ولقد قمنا بعلاجه بطريقة حديثة كانت تطبق لاول مرة بالقوات المسلحة .. وهى طريقة المجموعة .. أى تجميع عدد من المرضى ثم ادارة حوارات منظمة بينهم وتصحيح الاتجاهات الفكرية وتنمية رغبتهم فى الحياة بزرع الامل والحب والاهتمام بالاخرين ليحصدوا حبا واهتماما .. وتحسن وعاد الى عمله فى وحدة جديدة من الوحدات التى انشئت بالقوات المسلحة من المتعلمين وخريجى الجامعات .. كان سعيدا بوحدته الجديدة .. وكان يقول لاول مرة اقف امام طابور لا يوجد به أمى واحد . وكان قائد وحدته الجديدة حكيما .. عندما تقابلا لاول مرة فاجأة صديقنا بانه لن يعمل ...

ولن يشارك فى جرائم قتل الابرياء عن طريق قيادة ممزقة .. فطلب منه الاخر أن يبقى فى حجرته ويكتفى بمساعدته فى ارشاد هؤلاء الصغار قليلى الخبرة حتى يصلب عودهم .. فقط الارشــاد .. اســتخدمه كاستشارى .. وبمرور الوقت اندمج فى الحياة الجديدة ووجد صدى لجهده .. كان يحاول أن يصبت فى رجاله كل خبرته الســابقة وأعطى لوحدته كل وقته وجهده .. والتف حوله الشباب .. كانوا يحبونه ويحترمونه الى درجة كبيرة .. وتكونت واحــة وارفة الظلال داخل صحراء حياته ... خاف عليها ودافع عنهــا بكل قوته .. حتى كان يوم .. صدرت الاوامر فيها للجيش بالانتشار وسط المدنيين وفى الشوارع والحقول وانتكست حالة صديقنا .. اصيب بالرعب كان يقول أن القيادة لا تدرى ماذا تفعل وسيغرقون جزيرتى فى بحــرهم الفاســد .. وعاد الينا فى المستشفى أكثر ثورة وتوترا كان يقول هل فقدت مصر كل رجالها الاكفاء .. ألا يوجد الا هذا ليصبح وزيرا للحربية وقائدا للقوات المسلحة كان يحمل بغضا متزايدا لقيادته وعدم ثقة فى مقدرتهم .. وبالتالى لم يكن أمامنا الا عرضه على القومسيون الطبى .. فى ذلك اليوم دخل علينا متوترا للغاية كانت كفاه تنضحان عرقا غزيرا .. وكان قلبه يدق بسرعة .. وعيناه غير مستقرتين تماما .. وكان لا يزال يتكلم عن الوحوش والغابة بكلمات غير مترابطة وكان يقص علينا أحلاما كابوسية عن الطوفان والزلازل والبراكين .. وقرر الاطباء عدم صلاحيته للخدمة العسكرية لاصابته بعصاب حرب مزمن .. ثم احيل الى المعاش بعد ذلك بأيام ....

تدافعوا الى العنبر الطويل المرصوص به أسرة ذات دورين .. على كل سرير بيجاما واوفرول .. وغيار داخلى .. وزجاجة كولونيا .. وعدة حــلاقة .. وعلبه سجائر صغيرة .

وطلب منهم خلع ملابسهم وارتداء المــلابس الجديدة وبسرعة تمهيدا لحضور مؤتمر مع السيد اللواء صادق مدير المخابرات الحربية ..

وكان أحد الضباط يتحرك بينهم يسالهم هل مع احدكم نقود كثيرة .. وبالطبع أجاب بأن معه مائتا جنيه تخص كانتين الوحدة استطاع الاحتفاظ بها فطلب منه الاحتفاظ بها حتى يمر عليه بمكتبه لتسليمها ..

ذهبــوا الى مكان المؤتمر خيمة كبيرة بهــا مناضــد وكراسى ودكك . وفى نهايتها مكتبة وبيك آب واسطوانات وسماعات . القاعة مضــاءة اضاءة قوية ويقف فى صدرها امام الميكرفون لواء طويل اصلع يتكلم ...

ــ أتفضلوا .. الحمد لله على ســلامتكم .

ــ مساء الخير يا حضرات .. الحمد لله على سلامتكم .. كنا فى شوق اليكم وكنا نتمنى أن تكونوا بيننا من مدة طويلة .. الاوراق التى امام سيادتكم

نحن آسنون بطلب كتابتها بسرعة ٠٠ ولكن عندما تقرأونها ستعرفون مدى أهميتها وستقدرون سبب سرعة طلبها ٠٠ أرجو أن تملأوها بعناية شديدة ودقة ٠٠ بكل ما لديكم من وطنية ٠٠ بكل ما لديكم من حب لبلدكم نرجو

أن تكتب بصراحة مطلقة لكى يمكن الاستفادة منها ٠٠ أكتب كل شىء ٠٠ لا تترك شيئا ٠٠ لن نحاسبكم على أى تصرف مادمتم تكتبونه فى هذه الورقات خلص نفسك ٠٠ وامسح جميع اخطائك ٠٠ بالكتابة بصراحة ٠٠

أوامر السيد رئيس الجمهورية والسيد وزير الحربيه بألا يحاسب احدكم على ما فعل مهما كان مادام قد أدلى بمعلوماته فى استمارة البيانات ٠٠ أرجوكم لا تتركوا شيئا ٠٠٠ سوف نملأ الاستمارة الان لكى تكون الوقائع لازالت ماثلة فى أذهانكم ٠٠ كلما انتهينا سريعا كلما كان فى مقدورنا أن نسمح لكم بالخروج والعودة لمنازلكم ان شاء الله ٠٠ نقرأ البيانات مع بعض ٠٠٠

الاســم : بالطبع اسم سيادتك تكتبه فى الخانة الفارغة أمامه

الســن : الرتبة : العنوان ٠٠ بالطبع عنوانك هنـا فى مصر او فى البلد اللى حتقضى فيها أجازتك ٠٠ المهنه أذا كنت سيادتك احتيـاط أو لك شـغل آخـر ٠٠٠

باقى البيانات ٠٠٠ وحدتك ٠٠ بالطبع قبل الاسر ٠٠ انا بتكلم وانتم بتكتبوا ٠٠ معـانا ٠٠

بيانات عن الاسر : متى ٠٠ ؟ أين ٠٠ ؟ كيف ٠٠ ؟

بيانات عن التصرفات : من حاول الهروب ٠٠ من تعاون مع العدو ٠٠ هى مش فتنة يا سادة أو عمل لا أخلاقى أن تقول ولكن المصلحة الوطنية فوق كل اعتبار تأكدوا يا حضرات اننا لن نحاسب ايا منكم على ما حدث هنـاك ٠٠ كل منكم يتكلم بصراحة ٠٠ نحن نعلم انكم كنتم بين أيدى العدو ٠٠ وكان من الممكن أن تفعلوا اى شىء ولذلك نرجوكم الكلام بصراحة ٠٠

آى ملاحظات لك أثناء رحلة العودة : اكتب فى الخانه القادمة أى معلومات تحب أن تكتبها يوجدورق اضافى فارغ لتكتب فيه أذا لم يكن الورق كافيا نرجو الا تهمل اى شىء مهما كان صغيرا ٠٠ كل شىء سنستفيد به خلاص ٠٠ كل واحد من فضلكم يحضر لنا الورقة هنا ٠٠ لا تخرجوا يا حضرات سندردش قليلا ٠٠ عشر دقائق ٠٠ احضرنا لكم فيلما ظريفا ستشاهدونه فى الصـالة السفلية ٠٠ أما العشاء وتناول الطعام فسيكون فى هذه الصالة ٠٠ احنا هنا رجالة بلدكم ٠٠ وبنعمل لمصلحتكم ولحمايتكم وكما قلت من قبل لن يحاسب اى فرد على أى عمل بدر منه فى الاسر الورق هنا يا حضرات ٠٠ اتفضلوا ٠٠ خـلاص كل الورق موجود هنـا ٠ نتكلم فى موضـوعنا الان ٠٠ ثانيا :ـ

الحمد لله على السلامة .. البلد كلها مصر .. الجيش .. السيد الرئيس والسيد الفريق يهنئونكم بسلامة الوصول وان شاء الله بعد ما تستريحون قليلا سيحضر سيادة الفريق فوزى للقائكم نحن نعلم جميعا أننا قد خرجنا من نكسة وهزيمة عسكرية لكن الحمد لله الشعب فى الداخل والجيش على الحدود أخذا موقفا صلبا ومنعا الهزيمة من أن تصل الى أهدافها .. العدوان كان موجها للحكم أساسا وبالتالى فى عدم سقوطه عدم تحقيق لهدف العدوان .. أعرف أنكم لديكم أسئلة كثيرة وأنهم قالوا لكم معلومات كثيرة عن الفوضى بالداخل والانهيار الاقتصادى والحمد لله انتم شفتم خلال حضوركم أن الجيش صامد يحتل مكانه والحقيقة أن هناك رخاء أقتصاديا بعد الدعم العربى لمؤتمر الخرطوم .

كيلو اللحمة النهاردة بستين قرشا . وجايز بخمسة وخمسين ومتوفر فى السوق ... حقيقى بعد النكسة مباشرة زادت الاسعار قليلا .. ولكنها عادت لما قبل يونيو ٦٧ ... والحمد لله حققنا الصمود العسكرى واظنكم تعرفون قصة المدمرة أيلات .. بعد العدوان مباشرة كما قال سيادة الرئيس كان الطريق مفتوحا للقاهرة ... لا يوجد جندى واحد قادر على الحرب .. اليوم الحمد لله الجيش صامد .. وكل ما نرجوه أن تتعاونوا معنا . الجهاز تغير .. الجيش تغير .. القيادات أصبحت أصلب سيادة الفريق فوزى سيادة الفريق عبد المنعم رياض وقيادته التى تكلم عنها العدو قبل الصديق فى الاردن .. الغلطات القديمة تم اصلاحها وحدثت تغيرات كثيرة ان شاء الله سوف ترونها عندما تعودون الى وحداتكم ... لا أريد أن أثقل عليكم .. ويمكنكم أن تسألوا أى اسئلة ... لا تخافوا .. ها اتفضلوا .. أيه مفيش أسئله ؟؟ ..

- ... .
- المشير انتحر .. أخذ مواد سامة .. والنائب العام قرر أنه لا يوجد فعل جنائى
- ... .
- كانت هناك مؤامرة فعلا بعض الضباط رجعوا من سيناء خائفوا من المحاكمة وهم أمام محكمة عسكرية عادلة ...
- ... ...
- الاسرى فعلا اليهود اقل من عشرين .. لا .. لا .. لم نأسر لواءا كاملا كانوا من الضفادع البشرية وبعض الطيارين .
- ... .

ـ أيوه ضربوا الزيتيه .. والان هناك تهجير لاهالى مدن القنال .

ـ ... .

ـ الجماهير خرجت تنادى ببقاء الرئيس يوم ٩ و ١٠ يونيو .. ايام خالدة .

ـ ... .

ـ لن يحدث لكم أى شيء .. لن يفصل أى أسير .. وستعودون بعد اجراءات بسيطة .. كلما تعاونتم معنا كان ذلك أسرع .

بالمناسبة وفد منكم سيزور مقابر الشهداء .. باكر .. استريحوا .. نحن فى خدمتكم لا مقابلات مع المدنيين وأرجو ألا تحرجونا ...

كل واحد له عشرة جنيهات من التأمينات هدية من السيد حسين الشافعى نحن اخوانكم حاولوا مساعدتنا .

ـ ... .

ـ توجد ترتيبات للمحافظة على الطيران ولن يتكرر ما حدث ثانية .

ـ ... .

ـ القيادة كانت مهزوزة وحدث ارتباك لها .

ـ ... .

ـ اليوم أحسن بالطبع .. لا .. لا .. لا تخافوا .. زملاء لكم يقومون بواجبهم على الحدود بمجهود فوق طاقة البشر .

ـ ... .

ـ نعم كل ساعة طيارة محملة بالسلاح فعلا .. لقد كان موقف الاتحاد السوفيتى مشرفا ..

ـ ... .

ـ لم تضربنا الطائرات الامريكية ولكنهم كانوا مستعدين لدخول الحرب لو انتصرنا تصبحوا على خير ... أيوه البترول زى ما هو سنأخذ ثمنه لنشترى به سلاحا ...

ـ كل الدول العربية موقفها مشرف .. تصبحوا على خير .. الحمد لله على السلامة عارفين انكم تعبتم .. وصلتنا أخباركم .. اعمال عظيمة حقا .. كلنا فخورون بموقفكم هناك .. حاضر .. حاضر .. تصبحوا على خير .. العشاء بعد نصف ساعة ... تقدروا سيادتكم تتفضلوا ..

كان صديقنا يراقب باندهاش .. لم يكن قد استوعب بعد أنه لم يعد فى عتليت .. ولم يفهم لماذا العجلة الشديدة لهذا المؤتمر .. كان يشعر بأن هناك شيئا غامضا فى البطء الشديد الذى تكلم به اللواء فى بدايه الحديث

ثم السرعة الغريبة التى كان يرد بها فى نهاية الحديث هل تعرف احساسك عندما تقف أمام حاوى يخرج الارانب والحمام من أماكن فارغة أو لا يمكن تصديقها ·· ولكنك أمام الحمام الذى يطير لا تستطيع تكذيبه وفى نفس الوقت تشعر انه قد ضحك عليك كان هذا شعوره ·· ولم يهدأ الا بعد أن عرف السبب عندما عاد الى العنبر الذى ترك فيه أشياءه البسيطة فوجد انهم قد فتشوا كل شنطهم وأخذوا ما بها ·· بداية غريبة لعدم الثقة ··تركت لديه شعورا بالمرارة والرغبة فى عدم التعاون مع هذه الاجهزة البوليسية التى لازالت لا تحترم أبسط حقوق الانسان وآدميته ·· وثاروا جميعا ·· شعروا بالمهانة لقد استولوا على خطاباتهم وسجائرهم ·· أدوات الحلاقة ·· الملابس ·· الاحذية ·· حتى السجاير السويسرى التى أهداها لهم الصليب الاحمر وسجاير الكليوباترا ·· بعد أن دبروا الهاءهم فى هذا المؤتمر واستسلموا أهكذا المخابرات فى أى مكان ؟؟؟

وانتشروا فى المعسكر يكتشفونه ·· بعضهم عرف أن الفيلم الذى سيعرضونه هو السمان والخريف ·· وآخرون اكتشفوا انهم قد أعدوا لهم تليفونا للاتصال بأهلهم وأحدهم جاء يحمل قصة غريبة ·· لقد وقف الدكتور قدرى يصلى جماعة ·· وفجأة بدلا من أن يركع وقف يخاطب ربنا ·· ليه كده يا ظالم !! ·· هو ده عدلك ؟ وأخذ يهذى بكلام غريب حتى نقلوه للمستشفى ·· وخاف كل منهم على نفسه أن يفقد عقله وابتدأوا ينصحون بعضهم بعضا لا تغضب الدنيا لا تستحق ·· لقد انهينا أصعب مرحلة ·· الحمد لله ·· كان من الممكن أن تموت فى أى مرحلة من المراحل السابقة ··

وقف أحدهم يتكلم مع أسرته من خلال التليفون ·· كان منفعلا الى درجة كبيرة وهو يخاطب الطرف الاخر ·

ـ انا ياستى جوزك ورجعت

ـ ··· ··· ··

ـ أيه نسيتينى ولا أيه !!

ـ ··· ··· ··

ـ مش متجوزة يعنى أيه !! أمال أنا أيه ·· !

ـ ··· ··· ··

ياستى انا رجعت مصر ··· انا بكلمك من مصر ···

ثم التفت باستسلام للاخرين وقال ·· تصوروا قفلت التليفون فى وشى وضج الجميع بالضحك ووقف خجلا يرجوهم أن يسمحوا له بمحاولة أخرى ·· لعلها تتصور أنه يعاكسها ···

ـ الو ٠٠ انت قفلت ليه ٠٠ انا جوزك ورجعت ٠

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ رجعت من الاسر ٠٠ انا فى الكلية الحربية ٠٠

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ نمرة كام ٠٠ ؟؟

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ ياستى دى نمرة بيتى ٠٠ هم غيروها ولا أيه !!

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠

ـ أزاى نمرة بيتكم من خمس سنين ٠٠

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ طيب متأسف ٠٠٠

وقف بجوار الحائط يفكر ٠٠ ثم صاح ٠٠ آه ٠٠ لها حق ٠٠ تصوروا نسيت نمرة بيتى ٠

قرب نهاية فترة الاسر تبادل الاصدقاء أرقام تليفوناتهم ٠٠ وخاف هذا الصديق لحرصه على نفسه وأسرته أن تقع هذه الارقام فى أيدى الاسرائيليين ٠٠ فتغلب عقله الباطن على عقله الواعى بأن غشه وأعطاه رقما خاطئا ٠٠ حتى اذا وقع هذا الرقم فى ايدى عدوه نجا هو ٠٠ وظل محتفظا بهذا الرقم فى ذاكراته متخيلا أنه الرقم الضحيح حتى انكرته زوجته ٠٠ وقد يكون خوفه من مقابلة عائلته بشخصيته الممزقة الجديدة هى السبب فى أنه اخطأ رقم تليفون منزله ٠٠

ذهب صديقنا لمشاهدة « السمان والخريف » منذ مدة لم يشاهد فيلما ناطقا باللغه العربية حتى قبل الحرب ٠٠ قصة الفيلم تشد انتباهه لها ٠٠ فالتمزق الذى يعيشه بطل الفيلم هو نفسه تمزقه ٠٠ ووحل ما قبل الثورة هو نفسه الوحل الذى عاد منه ٠٠٠ يبكى ٠٠ الحرب التى فى نهاية الفيلم تترك شعورا بعدم الراحة لديهم ٠٠ بعضهم لا يفهم الرمز فى الفيلم بعودة بطله الى تمثال سعد زغلول ٠٠ ينفعل يفسر لهم تمثال سعد رمزا لنقاء الوفد وثوريته ٠٠ وهو يعود له دائما عندما يشعر بالتمزق او التناقض ليستمد منة العزاء ٠٠

ـ آه زى الرمز اللى خرج من أجله شعب ٩ و ١٠ يونيو رافضا الهزيمه ٠

ـ تمام ٠٠٠

ـ مش مقتنع ٠٠٠

وضع الاكل على بوفيه العشاء بكميات كبيره جدا ٠: لحوم ٠٠ فراخ ٠٠ كشك ٠٠ أرز بالكبد والكلاوى ٠٠ ومطبوخ بشكل جيد ٠٠ كانوا جوعى منذ تسعة أشهر ٠٠ آكلوا بشراهة مرعبة ٠٠ كان كل منهم يود لو كان لديه أكثر من فم وأكثر من معدة ٠٠ علق احدهم فى النهاية ٠٠ أجمل ما فى هذا العشاء ٠٠ أننى لن أغسل الاوعيه بعد ذلك ٠

هكذا انتهى يوم رحلة العودة ٠٠ رأوا فجره فى مخرج أو مدخل العريش تظهر شمسه من بين النخيل الكثيف تشهد الى متى يظل الانسان دائبا على ظلم أخيه الانسان يقتله ويسجنه ويعذبه وينفيه ويدمره ؟؟ ٠٠ وأنهوا ليله فى معسكرات الكلية الحربية يأكلون بشراهة منقطعة النظير أكلا معدا بصورة جيدة وبكميات كبيرة ومتنوعه ٠٠ والاهم أنهم لن يغسلوا الاوانى بعد الطعام ولن يتمم عليهم الجنود الاسرائيليون ويقفلوا عليهم الابواب بالاقفال ولن يستيقظوا باكر على صوت المذيعة الاسرائيلية الساعة شيش بمعنى الساعة السادسة ٠

الفصل السادس

مصـــــر

لقد كانت فترة الحضانة التى قضاها أصدقاؤنا فى الكلية الحربيـة فترة لازمة وضرورية لعمل نقلة موضوعية لهم ٠٠ والا خرجوا للعالم كالوحوش

ورغم ذلك فلقد اكتسب صديقنا بعض العادات التى مازالت تصاحبه حتى الان ٠٠ فهو لا يتحرك أبدا الا ومعه أكثر من علبة سـجائر ولا يعتبر نفسه قد تناول طعاما ان لم يحتو على كميات غير طبيعية من اللحوم ٠٠ ولا يستطيع أن يقاوم زجاجة مياه مثلجة ومغبشة من فعـل الرطوبة خاصة لو كانت برتقالا أو ليمونا ٠٠٠ وهكذا حياتنا جميعا أغلب عاداتنا اكتسبناها فى ظروف ومناسبات قد لا نذكرها ٠ وأثرت هذه العادات على شكله وسلوكه وعلاقته بالعالم فصديقنا الذى كان رياضيا لا يزيد وزنه عن الستين أبدا ٠٠ أصبح نتيجة لشرهه انسانا سمينا ذا كرش مترهل ووزنه يزيد على الثمانين ٠٠

اكثر غرابة علاقاته بالجنس الاخر ٠٠ عـلاقة حسية شرهة لا تمـل التغيير والتبديل أبدا ٠٠٠ كذلك لم يعد يستقر فى عمل فهو دائما قلق متوتر متعجـل ٠٠ ترى عينـاه العيـوب بسرعة شديدة فيهتـاج ويقاوم بضراوة لا تتنـاسـب مع الموقـف ٠

لقد أصبح صديقنا خطرا فلديه الامكانات والذكاء والامانة والتحمس والانسانية والخلق الذى يجعله جذابا لعديد من البشر وفى نفس الوقت كان حادا مدمرا بشكل غير انسـانى لمـن يخالف وجهة نظـره ورأيه وقيمه ٠٠ والعالم لا يحتمل الابيض والاسـود الان وانما هو مجموعة من الرماديات المختلفة ٠٠ لذلك فلقد كان مثارا لدهشه المتعاملين معه أحداهن أطلقت عليه لقب مصاص الدماء ٠٠ وآخرون كانوا يقولون أنه مرعب ٠٠ شديد الجاذبية ٠٠ شـديد الخطـــر ٠٠

يا صباح مصر ٠٠ يا صباح مصر ٠٠ الحمد لله على السـلامة ياسادة ٠٠ لديكم اليوم أعمال كثيرة ٠٠ التطعيم ٠٠ وعمل بطاقات شخصية ٠٠ والتقاط بعض الصور ٠٠ وتعديل الافرولات لدى الترزى ٠٠ والحـلاقة ٠٠ ومجالس تحقيق الاسر ٠٠ مقابلة المستجوبين ٠٠

هنا أيضا مستجوبون .. وضحكوا جميعا ..

وتحركوا جميعا فى نشاط كل منهم يؤدى عملا من الاعمال التى يجب أن ينهيها قبل الخروج الى العالم . وعند الحلاق وجد صديقنا أحدهم يحلق .. لم يكن قد قابله من قبل .. سأله .. هل كنت معنا .. أجاب بالايجاب . ولكنى لم أرك من قبل .. ابتسم بمزاره وقال .. لقد اعتبرونى جاسـوسا .. وليس أسيرا .. ثم استطرد .

بعد حرب يونيو .. كان هناك تشوين ذخيرة ومفرقعات قرب رمانة .. طلب منه ومن زميل آخر نسف هذه التشوينات .. وقاما بنسفها لدرجة ان الاخرين على الشاطىء البعيد تصوروا أن الصاعقة فجرت قنبلة ذرية . بعد ذلك ذهب فى دورية تصوير مطار حربى .. كان بالملابس المدنية ومعه الات تصوير .. سلمه العربان للاسرائيليين فاعتبروه جاسـوسا .. سجنوه سجنا انفراديا وزاولوا معه كل أنواع التعذيب .. ثم حكموا عليه بالاعدام .. حتى انه كان متخيلا وهو عائد لمصر أنه ذاهب لتنفيذ حكم الاعدام ..

وهذا هو السبب فى تأخر تسليم الاسرى . فاليهود اعتبروه جاسوسا ورفضوا تسليمه والمصريون أصروا على استلامه ضمن الاسرى .. كان شـابا رقيقـا وسيما يحب الموسيقى ويعزف على الجيتار ويرقص ويرسم ومن أسرة معظمها فنانون.. رياضى متحمس بتهور .. ورغم كل ما عاناه كان معتزا بنفسه لدرجة كبيرة فلقد كان يجد سببا مقبولا لديه لتحمله العذاب وبالتالى لا تناقض .. لا تمزق .. ولا يعادى نفسه لقد كان وجها آخر تماما لمـا يمكن ان يكون عليه شباب مصر عندما يعتنى بتربيتهم وعندما يجدون الهدف الواضح ...

ثم عمـل مجالس تحقيق أسر لاصدقائنا .. تحقيق صورى واجراءات روتينية .. أين سلاحك ؟ ! .. كيف وقعت فى الاسر !! .. لمـاذا ؟؟ .. مـع السـلامة ..

ثم استجوابه : شاب صغير السن ذو تقاطع حلوة .. يلبس نظارة ريبان ويسـوى شاربه الاصفر بعناية ويتكلم بكسل شـديد وملل ..

أسمك .. عنوانك .. سنك .. رتبتك .. ملأت الشيت ؟؟ عندك حاجة عايز تقولهـا !!

- .. ..
- آه عـارف
- .. ..
- عارفين احنا الكلام ده .. غيره

ـ آه ٠٠ آه ٠٠ احنا كنا متتبعينه

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ أشكرك جدا ٠٠ تبقى فكرة معقولة ٠٠ اكتبها وهاتهالى وارسم خريطه للكيبوتزات انت مهندس ٠٠ وعليها التحصينات العسكرية٠

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ مش كتبت الحكاية دى خلاص ٠

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ تفتكر يعنى نعمل ايه نشنقهما ٠

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ مش قلتلك كتبتها خلاص ٠٠ هل ممكن تتصور اننا نسيب اليهود على الجبهة ونجرى نشوف مين اللى ترك كتيبته ومين اللى هرب ٠٠

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ الجيش كله ترك معداته وسلاحه يعنى على معدات كتيبة مهندسين٠

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ المهم حاولوا يجندوك ٠٠ ولا لأ ٠٠٠

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ والفلوس فين طيب سلمها فى قيادة المعسكر ٠٠

ـ اتغيرنا خالص ٠٠ الجهاز كله اتغير ٠٠٠

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ هذا إجراء يجب أن نتبعه أنت كويس ٠٠ غيرك ممكن يكون جاسوس وتأكد مفيش حاجة حتفوت مننا ٠٠ متشكرين ٠٠ تقدر تتفضل ٠٠

ـ ٠٠٠ ٠٠٠ ٠٠

ـ آه ٠٠ آه م أنا عارف ٠٠ عارفين أحنا كل حاجة ٠٠ متشكر ٠٠ مع السلامة ٠٠

فى نهاية اليوم وجد صديقنا من يبحث عنه ٠٠ فهناك من يقف فى الشارع ينتظره ٠٠٠ جرى فى اتجاه سطح الكلية الحربية المطل على شارع جانبى ليجد أهله ٠٠ أبوه ٠٠ أمه ٠ أخته ٠٠ خالته ٠٠ وانزعج أن يكون أول لقاء بينهم بهذه الصورة ٠٠ كان يود أن يدفن راسه فى صدر أمه ٠٠ ويشعر بتربيت كف والده على ظهره ويقبلهم جميعا يلمسهم بيديه يشم رائحتهم ٠٠ يبكى أمامهم فيمسحوا دموعه وتعبه وآلامه ٠٠ جرى كالمجنون يبحث عن وسيلة ليقابلهم وجها لوجه ٠٠ ليتحدث معهم عن قرب

.. تناقش مع الضباط والصف ضباط حتى سمحوا بمقابلتهم على البوابة ..

ـ ازيك يا أبنى ..

ـ ... .

ـ عامل أيه واحشنى .. صحتك وحشه كده ليه .

ـ ... .

ـ عذبـوك ...

ـ ... .

ـ كانت بتوصلك جواباتى ..

ـ ... .

ـ آه

ـ هل كان معه حقيقى ثلاثمائة جنيه ...

ـ ... .

ـ أخـذوها منك ..

ـ لا أحضرتهـم ..

ـ والله كويس .. تعال سلم على أمك وخالتك ..

وطلب منهم صديقنا العودة على أمل لقاء اخر .. وأفهمهم أن ذلك مخالف لتعليمات المعسـكر .

كان عائدا مفعما بالعواطف .. لقد أجهضوا اللقاء .. ولكنها أمه يعرفها جيدا لابد وأنها بكت وقالت ابنى على بعد خطوات واحرم منه .. أم مصريه..

ذهب ليشكر قائد المعسكر .. ويسلمه النقود التى معه .. أخذها الاخر وشكره .. عندما خرج تذكر أنه لم يأخذ ايصـالا فعاد ليجد أحدهم يقص عليه ما حدث على البوابة ويشككه فى أن المبلغ الذى سلمه صديقنا غـير صـحيح ...

وكالقشة التى قصمت ظهر البعير انفجر صديقنا .. هذه اهانة .. هذه ليست معاملة . تستولون على أشيائنا بدون علمنا .. ثم ترسـلون الجواسيس خلفنا .. وتشككون أيضا فى ذمتنا ..

ـ كان الاخر يحاول أن يسكته .. طيب يا أبنى متزعلش .. خـلاص متزعلش نفسـك ...

ـ استطرد الاخر .. لو كان اليهود أخذوها مش كان أفضـل ...

حاول أكثر من طرف تهدئته ... كان يتحرك فى المعسكر مستفزا هل هذا جزاؤه .. المثل هذا الموقف حافظ على النقود ..

وهكـذا أصـبح صـديقنا بعـد ذلك يسـتفز لاتفه الاشـياء متخيلا أن العالم يجب أن يسـير كما يتخيـل هو فى دقة .. وانتظام .. ولا يسمح لاى خطأ الا الاخطاء التى يرتكبها هو .. وعادة ما تكون مبررة له .

زاروا بعد ذلك مقابر الشهداء ·· وقف يستمع لنوبة صحيان ·· ثم تحرك حول المقابر يقرأ أسماء شهداء ٤٨ وشهداء ٥٦ وشهداء اليمن كان من الممكن أن تكون هنا رفاته تحت عنوان شهداء ٦٧ ·· يجد أم أحد الشهداء بملابس الحداد تبكى ابنا لها من شهداء ٥٦ ·· أحد عشر عاما ولم تنسى ... من أجله ·· دمعت عيناه ··· وقف بجوارها وربت على رأسها ·· نظرت له بحب شديد ·· وكأنها ترى ابنها يخرج من القبر ···

وأخيرا زارهم الفريق محمد فوزى وزير الحربية والقائد العام جلسوا فى قاعة واسعة فى نفس القاعة تقابلا يوم تخرجه وكان قائدا للكلية الحربية ·· كان لا يحبه ولا يرتاح لطريقة كلامه ·· يوم تخرجه قال لهم احترموا البدلة التى ترتدونها ·· لا تشتر فجلا وطعمية وتتحرك بها ·· ولا تحمل طفلك وأنت تلبسها ·· واستنضفوا لما تتجوزوا مش تتجوزوا واحدة بملاية لف وتمشى معاها بالبدلة ·· شعر يومها بالقرف كان يقول عنه أن جنون العظمة يقتله ·· لذلك فلقد اندهش عندما عرف أنه أصبح وزير حربية ما بعد النكسة ·· علق أحد الزملاء سيدير الجيش كما لو كان الكلية الحربيه !! ·· قال لهم ستشكلون وحدة قتالية من الاسرى ·· وشعر بمغص فى معدته من القرف ما هذا التفكير الرومانسى السخيف ·· لقد قالوا لكم انكم لن تخدموا فى القوات المسلحة وأنا أقول لا بل ستعودون لمواقعكم ثانية ·· قارن بينه وبين ما قاله موشى ديان ·· وشعر بالمرارة والحزن · لقد قررنا أن نمنحكم اجازة شهرا ثم تعودون لعملكم ·

الجو صحو ·· وشوارع القاهره كما هى ·· بل اكثر جمالا ·· والشمس الدافئة القوية تضىء المنازل والشوارع والاشجار · ارتفعت الفساتين والجونلات فوق الركبة كثيرا شاب يربى شعره يتبع فتاة مرسلة شعرها وتلبس الميكروجيب وتقفز فى شوارع مصر الجديدة · أعلانات السينما ·· ود لو قبل كل شىء ·· كل من حوله ·· العربة تدخل مدينة نصر وتقف أمام منزلهم ·· رصفوا الشارع الذى أمامهم أهلة يقفون فى البلكونه يلوحون ينزلون لاستقباله ·· أخته أبنة خالته الوجوه كلها سعيدة وتبللها الدموع ··· الجيران يفتحون الشبابيك اصوات الزغاريد تطلقها خالته ·· عائد من الموت ·· أمه تقف على باب الشقة تحضنه ·· صوت صباح « والله واتجمعنا تانى يا قمر ·· » والله واتجمعنا واحلو السهر « ·· الزغاريد تعاود ثانية ·· يدخل الحمام ·· امه تدخل خلفه تريد أن تساعده ·· لقد نسى هذا من مدة طويلة ولكن ابنها ولد من جديد بيجاما جديدة ·· بلوفر جديد ·· قميص جديد ·· والده يعود من عمله ·· يحتضنه ويلتفون حوله ···

كنتم بتاكلوا أيه ·· ضربوكم ·· عذبوك يا بنى ·· كنت بتنام ازاى ·· وحشتنا · · وتنهال عليه القبلات ·· أمه تجلس بجوارة تطعمه ·· تعرف ما يحب وتضعه فى فمه ·· كل يا بنى ده أنت محروم ·· الله يجازيهم أبوه يقول وهو يبكى ·· يا بنى تموت مش مهم ·· أنا وأنت وكل شباب ورجال ونساء مصر فداها ·· ولكن فى سبيل موقف مش لعب العيال ده ·· لو مت فى هذه المهزله لبكيتك طول عمرى ·

كانت لحرب ٦٧ والاسر الاثر الاكبر فى شخصية ونفسية صديقنا بعد ذلك اذ ورغم أن هذا شىء لا يمكن ملاحظته لاول وهله كان يحكم شخصيته عاملان هما افتقاد الشعور بالامن والشىء الغريب الذى قد تدهشون له ·· الشعور بالنقص ·· وكان افتقاده للشعور بالامن يجعله حذرا دائما يضع البدائل بأستمرار لا يثق فى أى مخلوق أو أى تصرف على الاطلاق ودائم التغيير لا عواطف له ·· جاءنى فى يوم يشكو من أن احدى صديقاته أشارت الى حائط مقابلهم وقالت لو كان هذا الحائط يشعر فستشعر أنت · وأصبح لا يستطيع أن يبقى فى مكان واحد لمدة طويلة ·· وكان شعوره بالنقص يدفعه لتغطيته بطبقات سمكية من التصرفات والمظاهر ·· فيلبس أفضل الملابس ··· ويدقق فى اختيار الالوان ويتحرك كالطاووس يسب كل شىء وينتقد كل شىء ·· ينفق ببذخ وفى بعض الاحيان بأسراف شديد ·· وكان يثقف نفسه كثيرا ويقتنى اللوح والمجلات والتماثيل والاسطوانات الكلاسيكية ويستعرض معلوماته وبشكل مستمر ويتعامل مع الناس بتعال وقرف شديد ·· ولكنك ورغم كل هذا لا تملك الا أن تحبه ··

فى المساء كانوا يحتفلون بعودته ·· تجمع الاهل والاقارب والاصدقاء والمعارف والجيران ·· كل منهم يسلم عليه ·· يحضنه ·· يسأله ·· كانوا يصدرون ضجة شديدة أصواتا عالية ·· ضحكات ·· وصوت الاسطوانة المشروخه من كثرة الاستعمال يعلو ولا احد يستمع إليها ·· الطشت قاللى ·· الطشت قاللى ·· قام بتكاسل ·· دخل الى حجرة جانبية ·· أمسك كوبا من الويسكى ثم جلس على كرسى مريح مادا ساقيه الى كرسى مقابل ·· واخذ ينظر لقطرات الويسكى وهى تتخلل مكعبات الثلج من خلال فاصل ضبابى كونته قطرات الندى المتجمعة على جدران الكوب وضع الكوب بجواره ·· ادار الريكوردر وابتدأ يستمع الى النغمات الأولى من كونشرتو التروبيت لارتنيان ·· خفت الضجة حوله بعد أن اغلق الباب ليحل محلها الاصوات القوية للالات الموسيقية والتى أسلمته للحن خفيف مريح أشاع الخدر فى جسدة ·· ظل يتابعة لمدة ·· ثم شرد مركزا عينيه على صورة له مرتديا فيها الزى العسكرى ··

فتح الباب بهدوء وجلس بجواره • ثم ربت على فخذه وقال •••
ــ يا راجل روق •• ولا تحمل هم •• ده يومك النهارده ••
ــ لا ••• ••• ولا حاجة ••
ــ هم عذبوك كثير ••
ــ لا •• مش قوى ••
ــ كانوا بيأكلو كم ــ أظن مش قوى ــ طنط بتقول كانوا بيدوكوا على العشاء بصلاية أو خيارايه أو طماطماية ••
ــ آه فى الاول ••
ــ علشان كده خاسس •• أظن حتاكل لغاية متعوض اللى فات ••
ــ اسمع •• اسمع اللحن ده •• ثم ردد مدخله مع الموسيقى ليلفت نظره ••
ــ آه كويس •• انت بتحب الموسيقى ••
ــ أحبها جدا ••
ــ وياترى كانوا بيسمعوها لكم هناك ••
ــ أحيانا ••
ــ وشفت اسرائيل طنط بتقول انك زرتها •
ــ آه ••
ــ حلوة أظن حتى من أوروبا •• متقدمة •• روت أيه !! تل أبيب ••
ــ لا •• خذ سيجارة محاولا أن يشغله علّه يتركه فى حاله أو لينسى• أخذ السيجارة وظل يديرها بين أصابعه ثم امســكها بطريقة توحى أنه لا يدخن وانما يعفر أحيانا على حد تعبيره ••
ــ ونسوانهم حلوة ••
ــ آه ••
ــ اشــعل السيجارة ثم نفخ دخانها فى الهواء ••
ــ وكانوا بيدوكوا سجاير طنط بتقول كانت مقرفة ••
ــ فعلا ســيئة ••
ــ زى البلمونت كده ••
ــ لا زى السجاير العربى وأسوأ ••
ــ يا سلام وكنتم بتعملوا أيه ••
ــ ولا حاجة لم نمت ••
ــ لكن كان مسموح بهدايا من هنــا • مش كده •• كانوا بيدوكوا السجاير ولا سرقوها • وارتفع صوت الكونشرتو فى أفضل وأحب جــزء

الى نفسه ‥ فاعتدل فى جلسته ليستوعبه ‥ ثم قال هـــذا العمـــل لموسيقار معاصر ‥ ومع ذلك من اجمل الالحان التى سمعتها فى حياتى ...

ـ رد عليه ـ يا اخى اقفل الدوشه دى ‥ خلينا نعرف نتكلم ‥

طقطق بشفتيه ‥ أى اسكت ‥

ـ انت أيه اتجننت ‥ جرى لك أيه ‥ هو مفيش حد اتأسر غيرك ‥

فى الحرب العالمية الثانية ناس أتأسرت بالثلاث والاربع سنين وفى كل حرب الناس بتتأسر ده حتى حظك كويس انك ممتش وهنا قفز من فوق الكرسى ‥ ضغط على أصبع الايقاف للريكود وواجهه قائلا ‥ يا سيدى العزيز أنت لن تفهمنى أبدا ‥ فأنت لم تصل الى شفا الموت ‥ الى شفا الجنون ‥ ولن تفهم ما معنى الموت وما معنى الجنون ‥ أو حتي ما معنى الحياة ‥ ارجوك أتركنى فى حالى ‥

كان صديقنا يشعر بالغربة لقد تخيل لليالى طويلة ماذا سيفعل بالقاهرة ولكنه وبمجرد وصوله الى منزله ‥ وجد نفسه يسقط فى بئر الفراغ . أمامه اختيارات كثيرة وليست لديه القدرة على أن يفعـل شـــيئا غير أن يبقى فى حجرته يستمع الى الموسـيقى ويحـــاول أن يرم نفسه ‥ لم يكن ليتكلم الا مع والده فلقد كانت هناك رابطة غريبة بينهما كل منهما يشـــعر أنه امتداد حقيقى للآخر ‥ قال له : خرجنا فى الشارع زى المجانين مصر ‥ مصر ‥ كانت المنازل تقذف سكانها الى الحوارى فالشوارع ‥ وامتلأت الشوارع بالناس بالبيجامات والجلاليب والشباشب رجال ‥ اطفال ‥ نساء ‥ شباب ‥ خرجت انا وخالتك وأختك نهتف ناصر ‥ ناصر ‥ مصر ‥ مصر ‥ احسـسنا بالهزيمة فى هذه اللحظة فقط ‥ لم يكن من اجله ‥ صدقنى ‥ كان من أجل بلدنا ‥ من الذى سيقود فى هذه الازمة غيره ‥ يتخلى عنا فى لحظة الضيق ‥ وأطلقت صفارات الانذار لم نهتم ‥ أطفئت الانوار لم نهتم ‥ أطلقوا المدفعية رقدنا على الارض ثم قمنا ثانيـة ننادى ناصر ‥ ناصر ‥ ناصر ...

قالت له وهى تشد الجونلة الاكثر من قصيرة فى محاولة لتغطية جزء من فخذيها بعد أن لاحظت نظراته الشرهة لها ‥ « البلاك كونتس يتقـــدم شويجذن » وقف فى وســـط الحلقه يراقبها امتدت يدها الى الامام بعنف ثم بسرعة الى أعلى والى اسفل واهتزت رأسها الى اليمين واليسار بشدة مطلقة فى الاتجاه المضاد خيوط شعرها الاسود الطويل الحائر من اهتزازات صاحبته المتتالية وترفع جسدها الفارع للأمام والخلف ثم صاحت مع الجموع التى تصيح « شامب » كان ينظر الى عينيها المغمضتين وأطرافها المتشنجة

الصفراء من شدة الانفعال ويحاول أن يجاوبها ولكن يا للذكرى اللعينة لا تريد ان تبارح خياله ...

دقات الموسيقى العالية تذكره بالقنابل وطلقات الصواريخ ..

أزيز الاورج يـذكره بالطـائرات المنخفضـة السـاقطة تقـذف لهيبها .... وحتى هذا السمين الذى يأكل البفتيك يذكره بالكـلاب التى كانت تنهش الجثث المضروبة بالنابلم ...

كم تغيرت القاهرة فى هذه الشهور القليلة .. فتحت عينيها لتجـده مرتبكا وسط الحلقة ابتسمت شجعته .مدت اليه يديها بدلال لتمسك بيده ويسـتمر .

زادت دقات الموسيقى وحشية .. ووصل الانفعال الى قمته .. الاجساد تهتز هزات غير متسقة .. كل منهم فى عالمه .. وعلى وجهه احسـاساته الخاصة . رائحة العطور المستوردة المختلطة برائحة العرق تثيره وابتسم .. تذكر زميله الذى لكزه .. وقال له من فضلك قل للزميل الذى أمامنا أن يلبس حذاءه ووضع أصابعه على أنفه . من منهم لم تكن رائحته أقذر من رائحة عفن الموتى المتناثرين فى الصحراء . زادت الاضاءة وغلب عليهـا الالوان الحمراء والصفراء والبرتقاليه .. وارتفعت درجة الحرارة بالصالة وتصبب عرقا .. زميلته تقفز ..الجميع يجلسون يقفون ..يصيحون ..كان يجلس معهم ويضع يديه فوق رأسه تقلده .. يقلدونها يقفون ثم يجلسون مقرفصين واضعين أيديهم فوق رءوسهم يحاول أن يوقف تيار الذكريات . الموسيقى تتوقف فجأة الكل ينظر فى اتجاه الفرقة . عازف الجيتار اسماعيل الحكيم يتمتم بالفرنسية ثم الانجليزية ثم العربية هنا القاهرة الراقصون يرددون صيحته بصيحة جماعية ...

كان ينظر حوله فيجد أن كل شىء قد تغير الملابس ألوانها .. العطور .. تسريحات الشعر .. كلها مستوردة .. حتى الثورة والانفعال مستوردان .. له حق ابن الحكيم أن يذكرهم أنهم ما يزالون فى القاهرة .. القاهرة المهزومة.

تخفت الموسيقى وتهدأ .. ويأخذ زميلته فى حضنه .. يرقصـان .. خده يلامس خدها ..وصدرها يخترق صدره ..وساعداها متشبثتان برقبته. وكفاه يعبثان بظهرها .. ويهدأ فى داخل الحضن الانثوى المكتمل .. يهدأ .. يهدأ .. يتحرك ببطء .. وينتهى الله .. يتخدر .. ويدمن المخـدر .. ثم يزيد الجرعة .. مرة تلو الاخرى .. ويغرق .. يغرق .. يغرق ..

منذ ذلك اليوم اعتاد صديقنا أن تكون له أكثر من صديقة ليضـمن مخـدره دائما وكانت تغلب عليه لغة الجيش فيقول خط أول وخـط ثانى

واحتياطى تكتيكى واحتياطى تعبوى واحتياطى استراتيجى واحتياطى عام ٠٠ وكان كل مرة يحدث حركة تنقلات لتأخذ كل واحدة مكان الاخرى ٠٠ كان فى البداية مرتبكا ثم أصبح محترفا ٠٠ سىء السمعة ومع ذلك لم يكف أبدا رغم الالام والعذابات التى سببها للاطراف الاخرى ٠٠٠ كان مثل ضوء مبهر ٠٠ وكانت الفراشات دائما تقترب منه ليحترقن ٠٠ كم تغير صديقنا كما تغيرت قاهرته ٠٠٠

وضع اسطوانة السيمفونية التاسعة لبيتهوفن فوق البيكب ثم أدار الجهاز ٠٠ وتهادت اليه أصوات الشيلوهات وهى تعزف اللحن الرئيسى كان جالسا على كرسيه مادا ساقيه للامام فى لامبالاه ٠٠ ناظرا الى بخار الماء المتصاعد من كوب الشاى الساخن ٠٠ وانتهت الحركة الاولى والثانية والثالثة ٠٠ وابتدات الحركة الرابعة ٠٠ اللحن الاساسى بدأ يتكون ويتكثف أكثر ٠٠ الالات جميعها تنطلق مرددة للحن وأصوات الكورال تأتى متصاعدة ٠٠ عندما فتح والده الباب مبتهجا وكأنه عاد اليه شبابه ٠٠ قال بصوت عال جعله يوقف الاسطوانة ٠٠

ـ معرفتش ايه اللى حصل ٠٠ ثم أكمل دون انتظار لاجابة ٠٠ أضرابات فى الشارع الشباب ٠٠ الشباب يا سلام بلدنا لسه فيها الخير ٠٠ أنا مشيت فى الاضراب بنفسى رغم شيبتى دى ٠٠ وشجعتهم فى الحقيقة وعى مش معقول ٠٠ كانوا عاملين لجان للمحافظة على النظام حاول بعض الاولاد ضرب عربية المطافى منعوهم ٠٠ اضراب فى مصر فين من خمس عشرة سنة لم يحدث هذا ٠٠ الشباب مازال فيهم الامل ٠٠ أكمل استماعه الى التسجيل ٠٠ فلقد خاف عليهم منه ومنهم عليه ٠٠ ظلت هذه الرغبة تؤرق صديقنا طويلا ٠٠ حتى شارك بعد ذلك فى عديد من المظاهرات والندوات وكانت أكثرها أثرا فى نفسه عندما اعتصم الشباب فى نهاية ٧٢ وبدايات ٧٣ فى صالة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة ٠٠ وذهب لمقابلتهم ٠ كان يقول أن جو الحرية فى هذا المكان فى هذا الوقت كان يمكنه أن يحرك القلب المريض المنهار ٠٠ مئات من أفضل شبابنا يجلسون معا فى حوار اختيارى يناقشون كل مشاكل الامة ٠٠ ويكتبون مجلات تضرج بالحرية والشجاعة يقولون فيها كل ما يخطر على البال وأى شىء حتى ولو كان خطأ ٠٠ ثم يناقشونه وبتحمس ٠٠ وايجابية ٠٠ ويتفقون ويختلفون ٠٠ كانت لهم قيادة منهم احتلت المنصة ورغم صغر سنهم الا أنهم أداروا حوارا راقيا بديموقراطية متقدمة للغاية ٠٠ فى ذلك اليوم ذهب وفد منهم الى مجلس الشعب ليناقش ٠٠ واتفقوا معهم على أن يذيعوا بيانا لهم فى نشرة الاخبار وجاءوا ممسكين بعضهم بيد بعض فى طابور طويل على جانبى ممرات القاعة من الباب

الخارجى حتى المنصة ٠٠ منشدين بـلادى ٠٠ بـلادى ٠٠ بـلادى ٠٠ لك حبى وفؤادى ٠٠ كان يجلس بينهم مستمتعا بجو الحرية ٠٠ والحماس ٠٠ وتجمعوا حول المذياع ٠٠ ولكن خلف مجلس الشعب وعده ٠٠ وجلسوا فى حسرة واضعين أيديهم تحت خدودهم ٠٠ بعد فترة كان الامن المركزى يتجمع فى الخارج ٠٠ ثم هاجم القاعة أمسـكهم جميعا ٠٠ شبانا وشـابات فى عمر الزهور ممتلئين حماسا وطاقة ووطنية ٠٠ يريدون أن يفهموا فقط ٠٠ وخرجوا ينشدون اصحى يا مصر ٠٠ اصحى يا مصر ٠٠ احنا ولادكم احنا أخواتكم احنا ٠٠ بنعمـل كده علشـانكم ٠٠

يوم آخر اعتصم فيه الشباب فى ميدان التحرير ٠٠ حول النصب التذكارى الذى أعد فى يوم ما ليحمل الخديوى اسماعيل٠٠وتوقفت الحركة فى الميدان احتلوه ٠٠ كانت لهم بعض الاسئلة والمطالب ٠٠ كانوا يبحثون عن الحرية ويحاولون أن يتنفسوا بعد أن طال الاحتلال ٠٠ ثم هاجمهم الخيالة فى الفجر وقبضوا عليهم

لم يكن صديقنا يتصور بالطبع أن اجتماعات هؤلاء الشباب أو منشوراتهم أو مظاهراتهم سوف تغير الاوضاع أو تحرر سيناء ولكنه كان يأمل أن يوجه هذا الحماس وهذه الايجابية فى اتجاهها الصـحيح فلقد أصـبح يؤمن بأن الديمقراطية والحرية وتعدد الاراء وصراعهـا هو الامن والامان للمسـتقبل وأن علينا أن نشجعهما حتى ولو حدثت أخطاء ٠٠٠

دعى صديقنا الى قرية صغيرة من قرى الوجه البحرى ليلقى محاضرة وندوة والتف حوله مجموعة من مثقفى الريف وبعض الفلاحين ومن خلال دخان الفرن الذى اشـعل لعمـل الفطير فملأ حجرات المنزل المتواضع دار حوار ٠٠٠

- لكن يا عم محمد لمـاذا لا تحلون هذه المشكلة بشكل ذاتى ٠٠ يعنى بدلا ما يقطع كل منكم الخمسة كيلو مترات لاحضار المياه ٠٠ تذهب مجموعة كل يوم بالدور محملة بعدد من الفناطيس تملأ ميـاه ٠٠ وتفرغها فى فنطـاس أو اثنين فى وسـط القرية تستخدمونه جميعا ٠٠٠

- يا أستاذ لازم الحكومة تدخل ٠٠ أيه يعنى لمـا يمدوا لنا خطا لغاية عنـدنا ٠

- انت عارف ان الموضوع بالدور وبتحكمه ميزانية محدودة ٠٠ ولو ذهبنا لرئيس المدينة وقلنا له عزبة ابو غفار ٠٠ حيقول وباقى العزب ٠٠

- وايه يعنى يا أستاذ حتتكلف الميه لكل العزب كام ألف ٠٠ ألفين بدل الجناين واعمده النور والزواق نمد ميه الاول نشرب وبعدين نزوق ٠

- ولغايه ميمدوا خطوط حتشربوا منين٠٠م تحلوا الموضوع بشكل جماعى

ـ يا بيه انت متعرفش احنا عايشين ازاى انت فكرك الفلاحين بيحبوا بعض وطيبين ومتعاونين بيقولوا كده فى المدرسة والجرنال ·· والنعمة دى ولام أوعى أكلها · كنا حنقتل بعض على شوية تبن ·· العزبة دى ما أنت عارف ملك الدكتور حشاد بتاع الرمد اللى فى البندر ومأجر لكل واحد فدان ولا اثنين ·· وفى وسط العزبة الشونة اللى قدام سعادتك دى ·· قلت أوضبها وأدخل التبن جواها وازرع الشبرين دول بينفعوا برضه ·· الغيرة أكلت قلبهم راحوا يشتكونى لصاحب الملك ·· تقوم تقولى نملا سوا ··· لا يابيه الحكومة تمد لنا الميه ··

ـ يا عم محمد احنا فى حالة حرب والبلد كلها مشغولة ··

ـ يعنى يا بيه حالة الحرب على الغلبان اللى زى حلاتى ·· ربنا ينصره عبد الناصر وملعون ابوهم اليهود ·· قصدى الصهاينة لتقولوا علينا متعصبين لكن برضه نفضل من غير ميه ···

فكرة غريبة سيطرت على عم محمد ان كل من لبس بنطلون وقميص وقدم من البندر أصبح من السلطة ·· وعليه أن يحل له مشكلته الشخصية ·

عندما يحل الليل يشعر صديقنا بالانقباض فالحبس فى حجرة مغلقة ذات أربعة جدران أصبحت تسبب له ضيقا ·لذلك فلقد طرق أبواب جميع دور العرض فى القاهرة ولفت نظره ظاهرة غريبة ·· أن جميع الافلام المعروضة تقريبا أفلام جنسية ·· فلنراجعها ان لم تخنى الذاكرة ·· سينما مترو فيلم «انفجار» فيلم عن الضياع وأغراقه فى اللذة الجنسية سينما رمسيس « الحياة للحياة » فيلم يدعو للانطلاق والحب وتحويل المشاكل العامة والحروب الى تسلية مع الغرق فى اللذة الجنسية ·· سينما أوبرا « الحب أقدم مهنة فى التاريخ » فيلم يحكى قصة وتاريخ الدعارة وتطورها ·· سينما كايرو « الزواج وحبوب منع الحمل · ما معنى هذا هل هناك خطة مسبقة لدعوة الشعب المصرى لان يغرق همومة وثورته فى مجموعة الانفعالات الجنسية وماذا كان رد فعل ذلك ·· !! امتلأت الستريوهات والملاهى بالشبان والشابات يرقصون اسما ويمارسون الجنس بأشكال غريبة ·· فى بعض الملاهى شاهد صديقنا من خلال الاضواء الخافتة جدا بعضهم يزوال الجنس :· وانتشرت الدعارة وطوقت شرائح واسعة ومختلفة من الناس ·· وهكذا بعد الحروب ·· تتحلل جميع الأشياء والقيم ·· والافكار ·· ولم ينج أحد · ·

بعد أيام زار صديقنا مندوب من المخابرات الحربية ·· ثم أخذه معه فى عربة سوداء طويله عليها ستائر ·· ركب فى الخلف بين رجلين من المخابرات مسلحين وفى الامام كان آخر وسائق ··

ـ الى أين ••

ـ لا نعـرف ••

ـ ماذا تريدون ••

ـ لا نعرف ••

ـ من الذى أمركم بذلك ••

ـ لا نعرف •• فصمت حتى وصلوا الى مبنى صغير بخـل أحدهم قفل جميع الابواب ثم قاده الى حجرة صغيرة وخرج وقفل الباب خلفه •• الحجرة بها سرير صغير ومرآة ومنضدة بكرسيين وستائر على الشبابيك المغلقة ••

الزمن يمر ببطء خمس دقائق •• عشرة •• ربع ساعة •• نصف ساعة ••ساعة ••• ويدخل احدهم يضـع أمامه مجموعة من الاوراق وقلم هـذه وثيقه تعارف أرجو أن تملأها بعناية ستحاسب على كل حرف تكتبه • ويسأله محاولا تخفيف الموقف بابتسامة •

ـ هل تتهموننى بشىء ••

ـ لا مجرد اجراء روتينى ••

احدهم يدخل حاملا كوبا من الشـاى يضعه أمامه ويخرج •

يملأ الوثيقة وهو يتأملها بعناية ببيانات متشعبة ينتهى منها ومن شرب الشاى •• ويجلس ينتظر •• يصفر بفمه •• يرقد على السرير •• يعيد قراءة الوثيقة •• ينظر الى المرآة ويلعب حواجبه وتمضى ساعتان قبل أن يحضر احدهم يدعوه لمقابلة الرائد ••

ـ رجل سمين أبيض الوجه احمره •• إبتدأ الصلع يزحف على شـعره المرتب بعناية خليق الذقن راض •• يدخن سيجارة طويلة من علبة• علبة سجائر تشبه علب السجائر السويسرية التى اخـذوها منهم يوم حضورهم •• مازالوا يدخنون منها حتى الان •• وأبتسم •

ـ صباح الخـير

ـ مشغول فى قراءة أوراق أمامه •• ثم ينظر له ويبتسم •

ـ أهلا •• أهلا •• اتفضل يا فندم •• أحنا أسفين جدا للتعطيل •

ـ لا •• لا يهم ••

ـ آه

ـ شوف يا فندم •• انت هنا فى بلدك وبين أهلك وموقفك من مخابرات العدو يخالف موقفك الان •• نحن نحاول قدر جهدنا أن نستفيد منكم

•• وأيضا أن نؤمنكم والان أمامك الفرصة الحقيقية لكى تصبح صفحاتك بيضاء •• وهى أن تقول كل ما تعرف •• وكل ما حدث••

ـ أنا قلت فى الورق اللى كتبناه يوم أن حضرنا •

أنا قرأته كلمة •• كلمة •• ممكن تقوللى •• أحب أسمع منك •• قصـــتك •

ـ أى قصـــة •

ـ قصه أسرك •

ـ كنا كتيبة مهندسين الفرقة

ـ بأختصار من فضلك فين أتاسرت ••• !!

ـ قرب مطـار المـليز •

ـ أسرتكم دورية أسرائيلية مش كده •

ـ آه

ـ ونقلوكم للمطـار •

ـ آه

ـ مين كان معـاك ؟

ـ كتير •• فلان وفلان وفلان

ـ آه

ـ اخذوا منكم حاجتكم مش كده •• انت ليه مشربتش حاجة يا سلام•

ـ آه الا مائتى جنيه احتفظت بهـا ••

ـ يا ســلام مائتى جنيه •• ازاى كانوا بتوع أيه •

وهنا ابتدأ صديقنا يفهم لماذا أحضروه فابتدأ يجس النبض

ـ أيه حاجة غريبة انى أرجع بمائتى جنيه •

ـ لا •• لا أبدا لكن أحب أفهم ازاى رجعت بيهم ؟

فقص عليه القصة كاملة •• بشهودها •• بتواريخها •• بجميـع التفاصـيل علق الاخـر •

ـ انت عارف يا فندم لم يحدث فى تاريخ المخابرات أن فر منا جاسوس لنا قصص كثيرة معهم •• جاســوس كان •• وجاســوس اخر •• وجاسوس آخر ورغم كل الاشكال العلمية والتوعية من المخابرات الاسرائيلية الا أنهم سقطوا فاهم •

وهنا غلى الدم فى رأس صديقنا واعتبر ذلك اتهاما وتهديدا فرد

ـ وما دخل هذا بى •••• !!

ـ مجرد معلومات عامة يمكن تحب تقول حاجة تانية ٠

مد صديقنا ساقيه على الكرسي المقابل واستعد للصراع ٠٠ بعد التصريح الواضح للاخر فسأله ٠

ـ انت بتشك فيه كام في الميه ٠.

يفاجأ الاخر ويرد بسرعة

ـ انا لا اشك فيك ولكن هذه الاحتياطات لمصلحتك ٠٠ ثم يستطرد احنا عندنا هنا تسجيل كامل لكل تصرفاتكم اثناء الاسر ٠

يبتسم الاخر ويسأل بخبث

ـ ياه وكيف حصلتم عليها ؟

يرد الاخر بتباهى

ـ لنا بالطبع رجالنا هناك ٠٠ ويمكن اللى كان بيستجوبك هناك منهم ٠

ضحك الاخر بصوت عال ورد

ـ ولكن هذا شيء خطير

امتعض وأجاب ـ لماذا ؟؟

رد الاخر بخبث ـ لان بالطريقة دى ما الضمان بأن من يستجوبني الان ليس من رجالهم ٠٠٠

اصفر وجه الاخر ونظر له بشراسة ٠.

فأكمل ليخفف الموقف ـ يا فندم التسجيلات التى عند سيادتك انا اللى حملتها من اسرائيل حتى هنا ٠٠ والرائد صفوت سجلها وخاف يحملها كان هذا كافيا لرد كرامته امام رجل المخابرات الذى يشك فيه ٠ ولكنه تمادى٠

ـ السجائر التى امامك دى كويسه ٠٠ طعمها كويس ٠

رد الاخر ٠

ـ آه اتفضل ٠

ـ لا ٠٠ اصلها سجايرى وانتم صادرتموها ٠٠

ـ رد الاخر ٠

ـ احنا آسفين جدا لكن انت منفعل ليه كده ٠٠ انا أؤدى واجبى هنا ٠٠ وكان من الممكن أن تكون انت مكانى وأكون انا مكانك ٠٠ الموضوع وظيفة وخدمة ودور ٠٠٠ وكما نرجو أن تؤدى دورك بصورة جيدة لا تستبعد أن يؤدى الاخرون دورهم ٠٠ ويجب أن تعطينى الفرصة كاملة لذلك فالمصلحة فى النهاية مصلحة وطننا ٠٠ وعموما أنا مقدر ظروفك لكن هل تعلم أن من ضمن خمسمائه ضابط أسير حاولت المخابرات الاسرائيلية تجنيد حوالى ثلاثمائة وأن هناك

أكثر من مائة ضابط استجابوا لها وجندتهم ولولا اعترافهم لما استطعنا أن نساعدهم ·· هل أنت راض الان ؟؟

قام الاخر وسلم عليه بحرارة محاولا الاعتذار عن لهجته الحادة وقال

ــ ولكن لم يحدث لي هذا ··· شكرا ··

خرج صديقنا مندهشا ··· كيف يحدث هذا ·· كيف يجرؤ انسان ما علي دعوة آخر لان يخون بلده ··· مجرد دعوة ·· فما بالك بأن يستجيب ولماذا لم يدعوه لذلك ··ان هذا يتوقف على مدى الذعر والسقوط الذى حدث للضابط بحيث توجه له مثل هذه الدعوة ·

اجتمع بهم بعد ذلك نائب مدير السلاح ·· كانوا مجموعة المهندسين العائدين من الاسر ·

قال ــ انتم أخر من ترك السلاح ·· الذين عشتم التجربة حتى نهايتها ورأيتم العدو رأى العين ·· ولذلك فسنستفيد من خبرتكم الطويلة ·

سأله احدهم ــ ما حال الجيش اليوم ·

ــ فى أحسن حال ··· بعد الهزيمة حدث انهيار ولكننا عوضنا اليوم اكثر من سبعين فى المائه من خسائرنا ·· وطعمنا صفوفنا بجنود مؤهلات عليا سيعود كل منكم لوحدته فيجد تغييرا كبيرا ·

ــ · · · · · · · ·

الفريق مرسى فقط ·· وحل محله سياده اللواء جمال محمد على · والقيادات اصبحت أفضل ·

ــ سيادتك بتقول القيادات · ألم يزل قائد كتيبتى ورئيس عملياته اللذان هربا من المعركة قادة ·· ؟؟

ــ لا··لا··انتم أعصابكم تعبانة ·· من قال لك أنه لم يحدث تحقيق ·

ــ أنا أعرف

ــ يابنى لا تكن مندفعا هكذا كل القيادات هربت ·· سلاحنا أحسن سلاح ·

ــ ولذلك لا تعلنون ما تم ليبقى سلاحنا أحسن سلاح ·

ــ هذا مخالف للواقع ·

ــ اسمح لى انتم القيادات الكبيرة يغطى بعضكم على بعض ·

لا ·· لازم تعرف انك لسه ضابط وانه يمكن محاسبتك على مثل هذا الكلام سأقدر مدى تعبك ولكن قبل أن تتكلم فكر فى مستقبلك ·

ـ .. .. .. صمت طويل
ـ الحمد لله على السلامه أن شاء الله نشوفكم فى وخداتكم قيادات جيدة تطـور الجيش المصرى وشكرا ...

لا شـك أن حرب ٧٣ بعد ذلك كانت حرب سـلاح المهندسين فالسـلاح هو الذى ابتكر هدم الساتر الترابى برشاشات المـاء ... وهو الذى متـح الثغرات وهو الذى أنشـأ الكبارى والمعديات وهو الذى أمن الطـرق فى الارض المفتوحة وأزال الالغام ورص الغاما جديدة ولقد حدث هذا من خـلال تدريب شاق .. وكان نائب مدير السلاح له الحق .. ولكن صديقنا كان مطعونا .. لانه لم يجد أى أذن تصغى له وتفسر ... هل يمكن أن يهرب قائد من المعركة ويترك رجاله بدون أوامر أو تعليمات ولا يحاسب .. ولو بشد أذنيه .. ولقد اعترف بعد ذلك صديقنا .. وندم أن صبرة قد نفذ مبكرا فلم يصمد مع القوات المسلحة حتى تحقق نصر ٧٣ . فلقد كان ومازال لا ترى عيناه الا الاخطاء .. ولا يستطيع أن يميز الخيوط البيضاء الرقيقة فى الرقعة المظلمة .. وهذا حـال أغلبنا بعد النكسة فماذالت أرواحنا محبوسة ..

حملت له سـؤالى هذا ـ الم يحن الوقت الان لكى تتحرر الارض المحبوسة داخلنـا ... ؟

قال : هذا السؤال أوجهه لك بصفتك طبيبى .. هل هنـاك امـل لان تتحرر الارض المحبوسه داخلى ؟

وأنا انقل لكم هذا السؤال أعزائى القراء هل هناك امل لان تتحرر الارضى المحبوسـه داخلنا منذ ٦٧ ... ؟

انتهت بعد خمسة أيام من تحرير*

الأرض المحبوسة فى سيناء

أبريل ١٩٨٣

المؤلف :

- محمد حسين على يونس
- من مواليد القاهرة ٣/٣/١٩٤٠
- حاصل على بكالوريوس العماره ١٩٦٢
- عمل بالقوات المسلحة حتى اكتوبر ١٩٧٠
- رائد بالمعـــاش .

مؤلفـــات

- احاديث عن الغوله	مجموعة قصص قصيرة
- طعام لنا بدلا من طعام الالهه	مجموعة قصص قصيره
- جدى الملك الأله	مجموعة قصص قصيرة
- على شفا الموت على شفا الجنون	قصـــة طويلة
- أجمل الكلمات لم اقلها بعد	قصـــة طويلة
- خطوات على الأرض المحبوسة	قصـــة طويلة

رقم الايداع ٨٣/١٨١٥

دار الكاموتا للطباعة والنشر

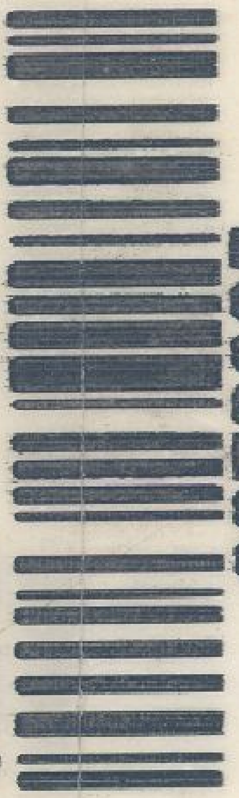
امام سنترال الهرم ـ الطالبية ـ جيزة ـ ت : ٨٥٦٨٢٠

خطوات على الأرض المحبوسة

الكتاب الذى بين أيدينا يقدمه مهندس شاب عاش بين صفوف القوات المسلحة المصرية وشارك فى حرب الايام الستة التى عرفت بأيام النكسة ... وهو يقدم من خلال رؤيته الخاصة ومشاركته الفعلية فى الحرب والاسر الكثير مما يراه السبب فى الكارثة التى حلت بالجيش المصرى أنذاك ويتعرض بقلب الوطنى الغيور على مصير شعبه وأمته لكثير من السلبيات التى شابت حرب ٦٧ مستهدفا التبصير بمستقبل أفضل للأنسان المصرى والعربى .

كتب الكتاب بأحساس شاعر وروح فنان عاش لحظة حرجة فى تاريخ الشعب المصرى وهو أحيانا لفرط حساسيته يسخر من نفسه يعريها ويصلبها ويلفحها بالكرباج حتى تبدو لعينيه الحقيقة المختفية تحت جلده

انها لحظة صدق قد نتفق أو نختلف فى تفسير بعض ظواهرها ولكنها فى النهاية حرية الرأى وحرية التعبير بما ينير الطريق الى المستقبل



دار المستقبل العربى
٤١ شارع بيروت . مصر الجديدة
ت / ٦٦٥٩٠٠ القاهرة